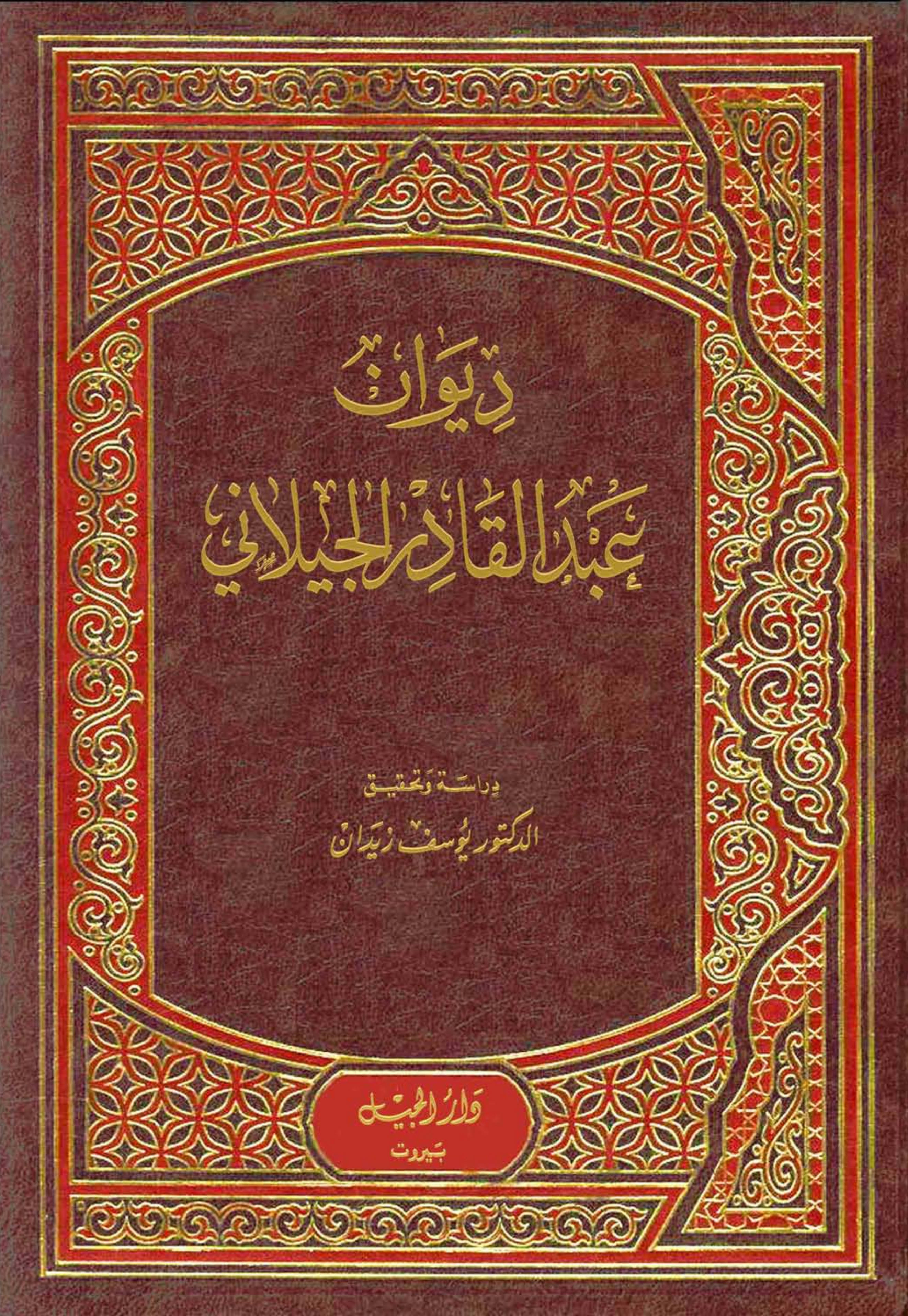


ديوان
عبد القادر الجيلاني
دراسة وتحقيق
الدكتور يوسف زيدان
دار الجيل
بيروت

دِيوَان

عَبْدِ القَادِرِ الجِيلاني رضي الله عنه

دِراسة وَتحقيق

الدكتور يُوسف زيدان

دار الجيل

بيروت

الإهداء :

إلى الأجلَّاء ..
شيوخ القادرية الذين يغرسون
بذور النور
فى أرض الظلمة

يوسف زيدان

تمهيد

ظل الشعر دوما ، معينا يرده الصوفية للارتواء من نبع التعبير الصادق ، وأداة مناسبة لتصوير أدق حقائق الطريق .. تلك الحقائق التى تلوح لقلوب أتقياء هذه الأمة فى ارتحالهم الذوقى لمنابع النور الالهى ، سيرا بأقدام الصدق والتجرد عن الأكوان ، وطيرا بأجنحة المحبة لاختراق سماوات الأحوال والمقامات .. حتى تحط عصا الترحال والسفر عند خيام القرب من الله .

وكنا قد انتهينا من النظر فى الآثار الصوفية ، إلى القول بأن هناك ثلاثة أشكال رئيسية ، عبر خلالها أصحاب الطريق الصوفى عن أدق رقائقهم وحقائقهم ، وعبروا بها تلك الاشكالية الكامنة فى عجز اللغة العادية وقصورها عن ترجمة هذه المعانى بدقة ، فكانت هذه الأشكال التعبيرية : الكتابة النثرية بألفاظ اصطلاحية موغلة فى الاستغلاق ، القصص الرمزى المفعم بالتلويحات ، ثم الشعر الصوفى . (١)

وتأتى ضرورة بحث هذه الأشكال التعبيرية الثلاثة من كونها السبيل الوحيد لفهم التصوف وطريق الولاية بعمق ، وإن كانت للشعر أهميته الخاصة .. فهو

---

(١) تظهر هذه الاشكال الثلاثية أحيانا ، ممتزجة فى مؤلف صوفى واحد ، ومثال ذلك ما نجده فى كتاب (الانسان الكامل) لعبد الكريم الجيلى .

من حيث طبيعته ، وبما يتميز به من ايجاز لفظى ودلالة رحبة ، خليق بأن يُلَمِّحَ به الصوفى الى مكاشفات الوصول ومشاهدات الولاية ، دونما إسهاب من شأنه أن يوقع أهل التحقيق فى مزالق اللغة ومضايق الفهم ومشانق الفقهاء القشريين ! ومن هنا قال الصوفى فى شعره ، ما لم يقله فى كلامه لأهل زمانه ، وقصائد الامام الجيلانى التى نقدمها فى هذا الديوان ، خير شاهد على ذلك .

ولما كان الشعر الصوفى فى أبياته القصار وقصائده المطولة على هذه الدرجة من الأهمية ، ولما كان الصوفية قد ارتضوه قالبا تعبيريا منذ فجر التصوف وحتى اليوم ، ولما كنا بصدد تقديم نموذج منه فى هذا الديوان ، ولأنه فى خاتمة المطاف نمط مستقل من الانتاج الشعرى ، فالمقام يقتضى أن نتوقف حينا لتحديد الخصائص العامة التى يتميز بها هذا اللون الشعرى :

إن أولى خصائص الشعر الصوفى وأبرزها ، هو ما يتعمده الشاعر من سلوك سبيل الرمز والكناية وضرب الأمثال ، ليحمل البيت الشعرى بين طيات تفعيلاته ما لا حصر له من الدلالات الخاصة ، وهذا ما يصرح به شعراء الصوفية أنفسهم ، فنجد منهم عبد الكريم الجيلى يفصل الأمر بقوله :

مَفَاتِيحُ أَقْفَالِ الْغُيُوبِ أَتَتْكَ فِى
خَزَائِنِ أَقْوَالِى فَهَلْ أَنْتَ سَامِعُ

وَهَا أَنَا ذَا أُخْفِىَ وَأُظْهِرُ تَارَةً
لِرَمْزِ الهَوَى مَا السِّرُّ عِنْدِىَ ذَائِعٌ

وَإِيَّاكِ أَعْنِى فَاسْمَعِى جَارَتِى فَمَا
يُصَرِّحُ إلاَّ جَاهِلٌ أو مُخَادِعُ

سَأُنْشِى رِوَايَاتٍ إِلَى الْحَقِّ أُسْنِدَتْ
وَأَضْرِبُ أَمْثَالاً لِمَا أنا واضِعُ[١]

---

[١] الجيلى : قصيدة النادرات العينية أبيات ١٢٥/ ١٢٧/ ١٢٨/ ١٣٤ . تحقيق يوسف زيدان (دار الجيل - بيروت ١٩٨٨) .

ورموز الشعر الصوفى ، هى ذاتها تلك الاصطلاحات التى تواضع القوم على التحدث بها لكشف معانيهم لأنفسهم ، والتى عنى بعض مشايخهم بالكشف عن دلالاتها للمريدين خلال قائمة طويلة من المؤلفات فى هذا الباب ، كالرسالة القشيرية ، واللمع ، وكشف المحجوب ، وكتابى (اصطلاحات الصوفية) لابن عربى والقاشانى .

وأبرز هذه الرموز وأكثرها ورودا فى الغالب الأعم من شعر الصوفية ، هو إشاراتهم للذات الالهية بمحبوبات العرب المشهورات ، مثل ليلى وهند وسلمى ولبنى ، وغيرهن . فمن ذلك ما نراه عند عفيف الدين التلمسانى حين يريد التعبير عن رؤيته لآثار جمال الذات الالهية فى الكون ، فيقول :

مَنَعَتْهَـــا الصِّفَـــاتُ وَالْأَسْمَـــاءُ
أَنْ تُـــرَى دُونَ بُـرْقُـعٍ أَسْمَـاءُ

قَـدْ ضَلَلْنَا بِشَعْـرِهَـا وَهْـوَ مِنْهَـا
وَهَـــدَتْنَـــا بِهَـــا لَهَـا الأَضْـــوَاءُ

نَحْنُ قَـــوْمٌ مِتْنَـا وَذَلِـكَ شَـرْطٌ
فِى هَـــوَاهَـا فَلْيَيْأَسِ الأَحْيَـاءُ[١]

وهذا الاشتقاق الرمزى يرجع فى المفهوم الصوفى ، إلى كون كل مظاهر الحسن فى الوجود ، إنما هى تجليات للجمال الالهى الذاتى ، فتلك المحبوبات العربيات لا يتعدين كونهن إشارة حسية باهتة للجمال الأزلى ، هذا الجمال الذى اشتركن فيه بحسنهن ، وتواضعهن عنه بتعالى جمال الذات عنهن علوا كبيرا . يقول ابن الفارض :

وَتَـــظْهَرُ لِلْعُشَّـاقِ فِى كُلِّ مَـظْهَـرٍ
مِنَ اللَّبْسِ فِى أشْكَالِ حُسْنٍ بَدِيعَةِ

[١] التلمسانى . الديوان (مخطوط مكتبة الاسكوريال ـ أسبانيا ، رقم 385) ورقة ٣ أ .. وسوف يصدر هذا الديوان .. بتحقيق د / يوسف زيدان ـ عن إدارة الكتب والمكتبات بمؤسسة أخبار اليوم ، خلال بضعة أسابيع .

فَفِى مَــرَّةٍ لُبْنَى وَأُخْــرَى بُثَيْنَــةً
وَآوِنَـــةً تُـــدْعَى بِعَـــزَّةَ عَـزَّتِ
وَلَسْنَ سِوَاهَا لَا وَلَا كُنَّ غَيْرَهَا
وَمَا إِنْ لَهَا فِى حُسْنِها مِنْ شَرِيكَةِ (١)

إلا أن هذه الرموز ليست بحال من الأحوال مسوغا للوقوف عند هذه المظاهر والوجوه المُستحسنة ، وإنما هى محض تلويحات يوهم بها الصوفى العامة بأن محبوبه إنسانى ، صونا لسر محبته من الشيوع فى غير أهله ، واشفاقا على السامعين من أهل السلامة أن يفتتنوا بصريح أقواله . وعلى الحقيقة ، فليس للصوفى توقف ولا كلام ، إلا فى محبة مولاه عز وجل ، ولهذا عُنِّىَ ابن عربى حين سمع من مريديه أن ديوانه (ترجمان الأشواق) حمل على المعنى الظاهر ، وأنه أتهم بغزل ابنة شيخه تصريحا . فشرح ديوانه شرحا ذوقيا ، منه قوله :

كُـــلُّ مَـــا أَذْكُـــرُ مِنْ طَلَلٍ
أَوْ رُبـوُعٍ أَوْ مَغَـــانٍ كُـلُّ مَـا
وَكَذَا إِنْ قُلْتُ هِيَ أَوْ قُلْتُ هُـو
أَوْهُمـــو أَوْ هُنَّ جَمْعاً أَوْ هُمـَا
كُلُّمَـــا أَذْكُـــرهُ مِمَّـــا جَـــرَى
ذِكْـــــــرُهُ أَوْ مِثْلُهُ أَنْ تَفْهَمـَا
مِنْـــهُ أَسْـــرَارٌ وَأَنْـــوَارٌ جَلَت
أَوْ عَلَتْ جَـاءَ بِهَـا رَبُّ السَّمَـا

---

[١] ابن الفارض : الديوان (تحقيق د/ عبدالخالق محمود ـ دار المعارف ١٩٨٤) ص ١١٤

فَـاصْرِفِ الْخَـاطِرَ عَنْ ظَـاهِـرِهَـا
وَاْطْلبِ الْبَـــاطِنَ حَتَّى تَعْلَمَـــا[1]

وإن كان الشيخ الأكبر قد أسهب فى هذه الأبيات وأطال ، كعادته دوما ، فإن ما أراد قوله هنا قد ورد فى بيت شعرى مفرد يتداوله الصوفية ، يقول :

عِبَـــارَاتُنَـا شَتَّى وَحُسْنُــكَ وَاحِـدٌ
وَكُـــلٌّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيـرُ[2]

※ والخاصية الثانية فى الشعر الصوفى ، تبدو فى هذا القدر من التهويل والمبالغة اللذين نجدهما فى الأبيات التى يعبر فيها الصوفى عن الأحوال غير العادية التى يعايشها ، والأمواج العالية من الأنوار التى يعاينها ، وتظهر تلك الخاصية بأوضح ما يكون ، حين يحكى الشاعر الصوفى عن محبته وما يلاقى فيها من وجد وشوق واحتراق :

وَطُوفَانُ نُوحٍ عِنْدَ نَوْحِى كَأَدْمُعِى
وَإِيقَـــادُ نِيـرانِ الْخَلِيــلِ كَلَوْعَتِى
فَلَوْلَا زَفِيـــرِى أَغْـــرَقَتْنَى أَدْمُعِـى
وَلَـوْلَا دُمُـوعِى أَحْـرَقَتْنِى زَفْـرَتِـى
وَحُـــزْنِى مَـــا يَعْقُـــوبُ بَثَّ أَقَلَّهُ
وَكُـلُّ بَـلَا أَيُّـوبَ بَعْضُ بَلِيَّتِى[3]

ومن هذه المبالغة ، ما نجده فى تلك الرباعية الصوفية التى كان الشبلى والجنيد كثيرا ما يستنشدان المنشدين إياها فى مجالس السمـاع

[1] ابن عربى : ذخائر الاعلاق شرح ترجمان الأشواق (نشرة محمد الكردى ـ القاهرة ، بدون تاريخ) ص ٥ ، ٦

[2] النابلسى : المعارف الغيبية شرح العينية الجيلية . (ملحق بالنص المحقق للقصيدة) ص ١٧٩ .

[3] ابن الفارض : الديوان ، ص ٨٦

الصوفى[1] ـ والتى لا تخرج عن الاطار العام لتهاويل الشعر الصوفى :

فَلَوْ أَنَّ لِى فِى كُـلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
ثَمَـانِينَ بَحْراً مِنْ دُمـُوعٍ تُدَفَّقُ
لأَفْنَيْتُهَـــا حَتَّى ابْتَـدَأْتُ بِغَيْـرِهَـا
وَهَـــذَا قَلِيــلٌ لِلْفَتَى حِينَ يَعْشَقُ
أُهِيمُ بِـــهِ حَتَّى الْمَمَاتِ لِشَقْـوَتِى
وَحَوْلِى مِنَ الْحُبِّ الْمُبَرِّحِ خَنْدَقُ
وَفَوْقِى سَحَابٌ يُمْطِرُ الشَّوْقَ والْهَوَى
وَتَحْتِى عُيُـونٌ لِلْهَـوَى تَتَـــدفَّقُ[2]

وعلى هذه المحبة ، يجعل الصوفية من الموت عنوانا . فيكثرون فى شعرهم من ذكر موت المحبين عشقا ، قاصدين الموت فى مفهومه الصوفى ـ إماتة تعلقات النفس ـ وفى مفهومه العام ، ومن هنا قال ذو النون المصرى فى مطلع إحدى قصائده :

أَمُـــوتُ وَمَا مَـاتَتْ إِلَيكَ صَبَـابَتِى
وَلاَ قُضِيَتْ مِنْ صِدْقِ حُبِّكَ أَوْطَارِى[3]

ولاقتراب الطائفتين فى هذا الموضوع ، فقد أعجب الصوفية دوما بالعذريين من الشعراء وتمثلوا فى شرح أحوالهم بأبيات الشعر العذرى التى تفيض رقة وتذوب حبا ، خاصة أن الشعر العذرى تندر فيه الصور الحسية الفجة ، التى تندر أيضا فى شعر الصوفية .. اللهم إلا ما نجده عند عبد الغنى النابلسى ،

---

[1] مجالس السماع ، عبارة عن اجتماع صوفى حول منشد لأشعار القوم ، وهى من مظاهر التصوف الباقية إلى اليوم .

[2] أبو نعيم : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (دار الكتاب العربى ـ بيروت) ، الجزء العاشر ص ٣٧١ .

[3] السلمى : طبقات الصوفية ، ص ١١

الذى عمد فى بعض الأحيان إلى إغراق شعره فى الرمز الحسى ، بحيث وقف بأبياته على أبواب الشعر الصوفى ، ولم يتسام بها لِتَلِجَ فيه [1].

* وللشعر الصوفى خاصية تتعلق بعدد الأبيات ، فباستثناء بعض القصائد الصوفية المطولة التى ابتغى أصحابها ترجمة التجربة الروحية بأسرها ، كالتائية الكبرى والنادرات العينية وأشعار العطار والرومى الفارسية ، التى تُعدّ أبياتها بالمئات . فإن الأغلب الأعم من شعر الصوفية يأتى على هيئة أبياتٍ قصارٍ ، تُلمح كل مجموعة منها عن لطيفةٍ ذوقيةٍ مفردةٍ ، أو بضعة لطائف سرعانَ ما يحجم الصوفى عن الإسهاب فيها ، بحيث يقف بقصيدته عند أقل عدد من الأبيات .. ولهذا فإن العديد من الدواوين الشعرية لكبار الصوفية ، تشتمل على مقطوعات شعرية لا تزيد أبياتها عن الخمسة ، بل تقف أحياناً عند بيت أو بيتين فقط ! والمثال على ذلك تجده فى دواوين الحلّاج والشِبْلى وابن عربى والتِّلمسانى والشُّشَترى وعبدالهادى السُّودى اليمنى[2]

* ومن الناحية العروضية وعيار الشعر ، جاءت أغلب أشعار القوم من البحور المشهورة المتداولة ـ كالطويل والوافر والكامل ـ لما تتميز به هذه البحور من اتساع يعطى للشاعر خلال كمية كبيرة من السواكن والمتحركات ، إمكانية وافية للتعبير عن أغراضه ، ومع ذلك فقد كان الصوفية كثيرا ما يضيقون بقواعد الشعر باعتبارها قيودا ، فيكسرون جدران التفعيلات فى بعض أبياتهم ، دون التفات إلى المباح وغير المباح للشعراء ـ مما يُغضب أهل العروض كثيرا ـ وقد عبر عن هذا الضيق بقيود بحور الشعر ، شاعر صوفى لا نظير له ، أعنى مولانا

---

[1] النابلسى : ديوان الحقائق ومجموع الرقائق(طبعة بولاق ١٢٧٠ هجرية) ص ٩٨/ ٢٦٨/ ٢٧٠/ ٣٢٩

[2] قام الدكتور كامل الشيبى بنشر ديوانى الحلاج والشبلى ، وطبع ديوان ابن عربى فى بولاق بدون تحقيق . اما ديوانا التلمسانى والسودى فهما لا يزالان بعد فى نسخهما الخطية الموزعة بين مكتبات العالم ، فتوجد لهما نسخ فى دار الكتب بالقاهرة ومكتبة الاسد بدمشق وبلدية الاسكندرية ومكتبة الاسكوريال ومكتبات استانبول . وعن ديوان الششترى ، نعرف ان الدكتور سامى النشار كان قد حققه فى رسالته للدكتوراه بجامعة كامبردج ـ تحت إشراف المستشرق جون أربرى ـ لكننا لم نره مطبوعا .

جلال الدين الرومى ، فعلى الرغم من أنه وضع ديوانه (المثنوى) على قاعدة النظم الذى يعرف فى العربية بالمزدوج ، والذى يعتمد فى التقفية على توحيد القافية بين شطرى كل بيت ، بحيث تتحرر المنظومة من القافية الموحدة - إلا أنه يعود فيضيق بتحكم التفعيلات فى آفاق النقش بالكلمات ، فيقول :

إِنَّنِي أُفَكِّرُ فِي الْقَافِيَةِ ، وَحَبِيبِي يَقُولُ : لَا تُفَكِّرْ فِي شَيءٍ سِوَاى !

ويقول :

الْمَعْنَى فِي الشِّعْرِ ، كَحَجَرِ الْمِقْلَاعِ - لَيْسَ لَهُ اتِّجَاهٌ مُحَدَّدٌ [1].

ويقول :

مُفْتَعِلُنْ مُفْتَعِلُنْ مُفْتَعِلُنْ .. قَتَلْتَنِى [2].

وبطبيعة الحال ، فالشاعر الصوفى لم يكن ليلجأ إلى المهجور من البحور الشعرية ليعبّر بها ، فذلك بالنسبة له تكلف لا طائل تحته . فالصوفى لا يرمى إلى الإبهار اللغوى ولزوم ما لا يلزم ليُسعد به الفصحاء ، وإنما هو فى نهاية الأمر يترجم بالأبيات،معنىً عاينه عند فيضان الوجد .

* وأخيرا ، فثمة خاصية يمكن اعتبارها سمة مميزة فى الشعر الصوفى ، تتمثل فى هذا الحشد الوافر من الأبيات المجهولة المؤلف . ففى الكتب المتون التى أرخت للتصوف ورجاله فى القرون الأولى ، تتوالى المقطوعات الشعرية المجهولة المؤلف ، مسبوقة بكلمات مثل : وقال بعضهم ، وأنشد فى معناه ، ولله در القائل ، وقيل .. بل نراهم أحيانا ينسبون عددا من الأبيات لغير واحد من أهل الطريق . ومن أمثلة ذلك ، الرباعية الشهيرة (أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ . .) التى نسبتها بعض الكتب إلى رابعة العدوية ، وذكرتها كتب أخرى عند ترجمة صوفى متأخر عليها بسنوات عدة ، هو ذو النون المصرى .. ومن الأمثلة أيضا ، تلك الأبيات الرقيقة التى لم يُعرف حتى اليوم مؤلفها :

قَـوْمٌ هُمـومُهمُ بِـاللَّهِ قَـدْ عَلَقتْ
فَمَا لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إلَى أَحَـدِ

---

[1] جلال الدين الرومى : المثنوى (ترجمة د/ عبد السلام كفافى - بيروت) ١/ ١٥٢٨

[2] د/ الدسوقى شتا : التصوف عند الفرس (دار المعارف) ص ٥٨

فَمَـطْلَبُ الْقَوْمِ مَـوْلاَهُمْ وَسَيِّدَهُمْ
يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ لِلْوَاحِدِ الصَّمَدِ
مَـا إنْ تَنَـازَعَهُمْ دُنْيَـا وَلاَ شَـرَفُ
مِنَ الْمَـطَاعِمِ وَاللَّذَّاتِ وَالْـوَلَـدِ
وَلاَ لِلُبْسِ ثِيَـابٍ فَـائِقٍ أَنِقٍ
وَلاَ لِـرَوْحِ سُـرُورٍ حَـلَّ فِى بَلَدِ
إلاَّ مُسَـارَعَـةً فِى إثْـرِ مَنْـزِلَـةٍ
قَدْ قَارَبَ الْخَطْو فِيهَـا بَاعِدُ الْأَبَدِ
فَهُمْ رَهَـائِنُ غُـدْرَانٍ وَأَوْدِيَـةٍ
وَفِى الشَّوَامِخِ تَلْقَاهُمْ مَعَ الْعَدَدِ[1]

.. تلك هى الخصائص العامة للتراث الشعرى الذى تركه الصوفية ، واذا كانت هذه الخصائص عامة ، فإن من ورائها بعض السمات المميزة لكل شاعر صوفى على حدة . كهذا الولع بالتصغير والجناس الذى نجده فى شعر ابن الفارض ، وجمود اللفظ وتوالى المترادفات عند ابن عربى ، والخيال الواسع ورقة التصوير عند عفيف الدين التلمسانى .. وغير ذلك ؛ إلا أن هذه السمات الخاصة بأبيات كل شاعر منهم ، لا تخرج عن الخصائص العامة للشعر الصوفى ، وإنما تنضاف إليها .

* * *

وديوان عبدالقادر الجيلانى لا يتضمن شعر الامام فحسب ، بل يشتمل أيضا على مجموعة منتقاة من النصوص النثرية التى تقع فى المنطقة الممتدة

---

[١] جاءت هذه الأبيات فى العديد من أمهات كتب التصوف ، على لسان امرأة عابدة ، لقيها ذو النون المصرى ببعض سواحل الشام ، وسألها عن صفة الصوفية .. أنظر :
- التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٣٥
- نشر المحاسن الغالية ص ٢٤٤

ما بين الشعر والكتابة بلغة الاصطلاح ، فهى نثر شعرى يتناول موضوعات التصوف بعبارة يغلب عليها التركيز الشديد فى اللفظ مع اتساع المعنى وَبُعْدِ الدلالة . وقد جعلنا لها القسم الثانى من الديوان ، وجمعناها تحت عنوان : المقالات الرمزية .

وبتأمل هذا النوع من التعبير الصوفى ، تبدو لنا أدق حقائق التصوف التى اختبأت بين حروف الكلمات ، وأُشير إليها تلويحا وتلميحا لنفس الأسباب التى جعلت شعر الصوفية رمزيا .

ولم يكن الامام الجيلانى هو أول من كتب بالشكل الذى جاءت عليه هذه المقالات الذوقية الرمزية ، فهو مسبوق بانتاج رائع من هذا النوع .. أعنى كتابة النِّفَّرى فى مواقفه ومخاطباته التى جاءت على نفس النحو من التركيز والالماح وعمق الدلالة ، لتعبر عن هذه المشاهد الذوقية التى ذكر النِّفَّرى أنها كلما اتسعت فيها الرؤية ، ضاقت العبارة .

كذلك فالامام الچيلانى لم يكن آخر من استخدم أسلوب هذه المقالات ، فقد اصطنعه بعده أبو المواهب الشاذلى المتوفى أواخر القرن الثامن الهجرى ، ووضع به كتابه المعروف باسم (قوانين حكم الاشراق) وسار عليه أيضا ـ بتركيز أشد ـ شاذلىٌّ آخر ، هو ابن عطاء الله السكندرى ، فى مؤلفه الصوفي الشهير : الحكم .

وأخيرا ، فإن ما يضمه هذا الديوان من شعر الامام الچيلانى ومقالاته ، هما فى النهاية أمر ذوقى ، احتاج جمعه وتحقيقه الى تعلم الأبجدية الصوفية .. تلك الأبجدية التى لا تقرأ ، إلا بعين القلب !

يوسف زيدان

الاسكندرية فى يناير ١٩٨٩

منهج التحقيق



هناك خطوط رئيسية لمنهج تحقيق ونقد وإخراج النصوص من نسخها المخطوطة الى طبعتها المحققة ، وهذه « الخطوط الرئيسية » تتمثل فى جمع أكبر قدر من النسخ المخطوطة للنص المراد إخراجه ، ثم المقابلة بين افضل النسخ ، مع إضافة ما يلزم النص من تعليقات هامشية وفهارس تفصيلية .

وبالاضافة لذلك ، فهناك « ملامح خاصة » لهذا المنهج .. فالمحقق يرى نفسه مضطرا لرسم بعض التفصيلات التى تختلف من تحقيق لآخر ، بما يتناسب مع طبيعة النص المحقق ، وأهميته ، وحالة الأصول المخطوطة التى استطاع المحقق الوصول إليها .

لهذا ، فإنه يتعين ـ قبل الدخول الى النص المحقق ـ الاشارة الى خطوط منهج التحقيق وتفصيلاته ، إذ أن ذلك يعد مدخلا مهما لقراءة النص قراءة جيدة .. وذلك ما نحن بصدده الآن :

ديوان الجيلانى

نال الامام الجيلانى « محيى الدين عبدالقادر ، المتوفى ٥٦١ هجرية » مكانة رفيعة فى تاريخ التصوف ، ووضع قواعد طريقته الصوفية التى نشرها أتباعه بعد وفاته ، حتى أصبحت « الطريقة القادرية » واحدة من أوسع الطرق الصوفية انتشارا فى العالم الاسلامى [١] .. ومع ذلك ، فإن معظم مؤلفات الامام الجيلانى لم تلق العناية الكافية اللائقة بها ! فنجد بعضها منشورا بدون تحقيق ، والبعض الآخر ما زال مخطوطا [٢] .

وكان المؤرخون قد أفاضوا فى ذكر أخبار الامام الجيلانى ، وخصص له البعض ترجمات مفردة تحكى أحواله وتبرز أعماله ومؤلفاته .. وفى هذا الحشد الهائل من ترجمات الامام الجيلانى وأخباره ، تستوقفنا عبارتان الأولى وردت فى

---

[١] يمكن الرجوع ـ فيما يتعلق بحياة الامام الجيلانى ومكانته ـ الى بحثنا (عبدالقادر الجيلانى ، باز الله الأشهب) أما التفاصيل الخاصة بتصوف الامام وانتشار طريقته ، فيمكن الرجوع بصددها الى بحثنا الآخر ، بعنوان (الطريق الصوفى ، وفروع القادرية بمصر ـ نشرته دار الجيل ، بيروت ١٩٩٠) .

[٢] صدرت مؤخرا طبعة محققة من كتاب الجيلانى الشهير « الغنية » ، قام بتحقيقها فرج توفيق الوليد ، وأصدرتها مكتبة الشرق الجديد ببغداد .

« شذرات الذهب » حيث يقول ابن العماد : وللجيلانى نظم فائق رائق[١] .. والعبارة الأخرى نجدها عند اليافعى حين يشير قائلا : وله كلام غامض[٢] .

هذا النظم الفائق ، وذلك الكلام الغامض ، هو ما نقدمه اليوم محققا بعنوان (ديوان الجيلانى) إذ يشتمل هذا التحقيق على قسمين ، الأول يضم قصائد الامام ومنظوماته الصوفية التى أنشدها بلسان القوم .. والقسم الآخر يضم مجموعة المقالات الرمزية التى حشد فيها الامام ما لا حصر له من الاشارات والتلويحات ـ وهى ما أشار اليافعى له بقوله : كلام غامض .

والحقيقة فإن الامام الجيلانى لم تُعرف له أية دواوين ، لا مطبوعة ولا مخطوطة . وانما بضعة قصائد متفرقة ومقالات موزعة هنا وهناك ، قمنا بجمع الصحيح منهن ، ليظهر فى النهاية هذا « الديوان » للمرة الأولى .. وهنا لنا وقفة مع كلمة : ديوان .

يفهم البعض كلمة « ديوان » كمرادف للمجموع الشعرى .. وذلك هو المفهوم المشهور القاصر للكلمة ! فديوان ـ هذه الكلمة الفارسية المعربة ـ تعنى الكتاب ومجتمع الصحف والأوراق فى مجلد واحد ، أيا ما كانت به من أشعار أو غير ذلك . وبذلك التعريف جاءت الكلمة فى قواميس اللغة [٣] ، وبذلك التعريف نستخدمها هنا .

---

[١] ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (مكتبة القدس ١٣٥٠ هجرية) الجزء الرابع ص ١٩٩ .

[٢] ابن أسعد اليافعى : خلاصة المفاخر فى اختصار مناقب الشيخ عبدالقادر (مخطوط رواق المغاربة ـ بالأزهر ، رقم ١٢٠١) ورقة ٩٥ ب .

[٣] انظر :

ـ ابن منظور : لسان العرب (دار لسان العرب ـ بيروت) المجلد الأول ص ١٠٣٩ .

ـ الفيروز أبادى : القاموس المحيط (دار الجيل ـ بيروت) المجلد الرابع ص ٢٢٦

وقد اشار كلا المرجعين الى ان اول من دوّن الديوان ، هو الخليفة عمر بن الخطاب ، حين أمر بوضع دفتر يدون فيه أسماء الجند واهل العطية .

وقد اهتممنا بالإشارة الى هذه النقطة ، لما تثيره أحيانا من فهم خاطىء عند البعض ، فنجد من يقرأ عبارة جعفر الخلدى(١) الشهيرة : « عندى مائة ونيف وثلاثون ديوانا من دواوين الصوفية »(٢) فيظن أن المراد هو الشعر وحده ، فيقول إن هذه العبارة المنقولة من الخلدى « ينبغى التحفظ فى تناولها ، لما فيها من المبالغة »(٣) والحقيقة فإن مراد الخلدى من كلمة « ديوان » هو المعنى الذى أوردناه فى التعريف السابق . فقد كان الرجل يحتفظ بهذا القدر من المجلدات التى تحوى أخبار وأقوال وأشعار الصوفية وأحوالهم .. ومن هنا نفهم ما يرويه السلمى حين يقول : « حين قال الخلدى هذه العبارة ، قيل له : هل عندك من « كتب » الترمذى شىء ؟ فقال : ما عددته من الصوفية (٤) ».

بهذا ننتهى الى القول بأن المراد بالديوان ، هو مجموعة آثار الواحد من الأعلام ، أو بعض هذه الآثار ، سواء كانت شعرا أو نثرا .. فيكون للامام الجيلانى ـ بالاضافة الى مؤلفاته المعروفة ـ هذا الديوان الذى نقدمه اليوم .

وقد تم اختيار وجمع وتحقيق مشتملات الديوان ، من جملة ما وجدناه منسوبا للامام الجيلانى . وهو قدر وافر من القصائد والمقالات . إذ ظل الامام يتكلم على الناس ببغداد أربعين سنه (٥) ، كان فيها يلقى مواعظه وعباراته الرمزية ، كما كان كثيرا ما ينشد الشعر .. وكان التلامذة والمريدون يكتبون مجالس الامام بما فيها من لطائف العبارات ومتفرقات الأشعار ، ولولا الكوارث التى تعرضت لها مكتبة المدرسة القادرية ، بداية من سقوط بغداد بأيدى التتار

---

[١] هو أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير الخواص الخلدى . المتوفى ٣٤٨ هـ .. راجع ترجمته فى : طبقات الصوفية ص ١٠٦ ـ حلية الأولياء ٣٨١/١٠ ـ تاريخ بغداد ٢٢٦/٧ ـ الرسالة القشيرية ص ٣٠ ـ الأنساب ١٦١/٥ ـ المنتظم ٣٩١/٦ ـ البداية والنهاية ٢٣٤/١١ ـ معجم البلدان ٣٨٢/٢ ـ العبر ٢٧٩/٢ ـ مرآة الجنان ٢٤٢/٢ ـ طبقات الأولياء ص ١٧٠ ـ النجوم الزاهرة ٣٢٢/٣ ـ شذرات الذهب ٣٧٨/٢ ـ سير أعلام النبلاء ٥٥٨/١٥ .

[٢] أبو عبد الرحمن السلمى : طبقات الصوفية (طبعة دار الشعب) ص ١٠٦ .

[٣] عدنان العوادى : الشعر الصوفى (دار الشئون الثقافية ـ بغداد ١٩٨٦) ص ١١٢ .

[٤] السلمى : طبقات الصوفية ، ص ١٠٦ .

[٥] راجع التفاصيل الخاصة بمجالس الامام الجيلانى ببحثنا : عبدالقادر الجيلانى ، باز الله الأشهب .

سنة ٦٥٦ هجرية (١) .. لكان لدينا الآن هذا القدر الوافر من آثار الامام الجيلانى الشعرية والنثرية ، ولكنا قد استرحنا من هذه النصوص التى وضعها القادرية ونسبوها الى شيخهم ، كما ستأتى الاشارة .

وتبقى هنا نقطة أخيرة ، تتمثل فى السؤال الآتى : هل كان للامام الجيلانى ديوان شعرى باللغة الفارسية ؟.

ومثار هذا التساؤل ، أن ميرزا على مدرس قد أشار الى وجود ديوان أشعار « صوف عرفانى » يعرف بديوان : غوث الأعظم (٢) .. كما يؤكد الدكتور ابراهيم الدسوقى شتا على أن الامام الجيلانى قد نظم ديوانا من الغزليات باللغة الفارسية (٣)

وبسؤال الدكتور شتا ، استشهد على هذا الديوان الفارسى بما ذكره إتيه Ethe فى كتابه [تاريخ أدبيات فارسى] حين ذكر أن النسخة الوحيدة من هذا الديوان الفارسى ، محفوظة فى خزانة المكتب الهندى India office بلندن ، تحت رقم 1430 .

ونرى من جانبنا ، أن هذه الأشعار الفارسية ، هى محض ترجمات متأخرة قام بها الصوفية الفرس .. ذلك أن الامام الجيلانى لم يُعرف عنه الكتابة بالفارسية بعد نزوله بغداد وهو فى الثامنة عشرة من عمره ، ولو كان فعل ، لكانت قائمة ترجماته الطويلة قد أشارت لذلك . كذلك فقد وردت هذه الترجمة

---

[١] تعرضت مكتبة المدرسة القادرية للتخريب فى كل مرة نزل فيها البلاء ببغداد . فإلى جانب التدمير الشامل الذى لحق بها بيد المغول ، تعرضت للدمار على يد الصفويين مرتين .. الأولى عند احتلال الشاه اسماعيل الصفوى لبغداد سنة ٩١٤ هجرية ، والأخرى حين احتل الشاه اسماعيل الصفوى بغداد ، فدمر المدرسة القادرية ونهب مكتبتها . ثم عم الغرق بغداد سنة ١٢٤٦ هجرية ، فذهبت المكتبة ضحية الغرق (أنظر : الشيخ عبدالقادر ، ليونس السامرائى ص ٥٦) وبالاضافة الى هذه الكوارث العامة ، فإن للزمان اثره وفعله فى المخطوطات التى كانت غالبا ما تحفظ بطرق بدائية .

[٢] ميزرا على مدرس : ريحانه الأدب فى ترجمة المعروفين بالكنية واللقب (باللغة الفارسية)

[٣] طبعة تبريز ، چانچانة سفق ، جلد بنجم ص ٢٥٢ .

د . ابراهيم الدسوقى شتا : التصوف عند الفرس (دار المعارف بمصر ـ كتابك) ص ٢٢

الفارسية لبعض أشعار الامام ، كملحق ببعض المخطوطات ، كما وردت فى مخطوطات أخرى ترجمة تركية لنفس القصائد التى كتبها الامام بالعربية . وبالاضافة لذلك : فمن المستغرب والمستبعد أن يترك الامام الجيلانى اللغة العربية ، التى كانت فى وقته لغة الثقافة السائدة ، ليكتب بلغة أخرى .. وإن كان غيره من المشاهير ـ كابن سينا والسُّهروردى ـ قد كتبوا بالفارسية والعربية معا ، فان ذلك كان بحكم الاقامة ببلاد فارس .

.. ولما كان تحقيقنا لديوان الامام الجيلانى يتضمن القصائد والمقالات معا ، فسوف نتحدث عن كل منهما بشيء من التفصيل ، مع الاشارة الى ما نُسب للامام الجيلانى من شعر غيره ، وما نُسب من شعره لغيره .

قصائد الديوان :

لم يكن الامام الجيلانى شاعرا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وانما كان الشعر عنده أداة تناسب التعبير عن المعانى الصوفية الدقيقة . لهذا فان أهمية القصائد التى يحتويها هذا الديوان ، لا تكمن فى قيمتها الأدبية ، بقدر ما ترجع الى خطورتها فى التعبير عن الحقائق الصوفية لدى واحد من أكبر أقطاب التصوف .

ويضم الديوان تسع قصائد من الشعر الصوفى ، تشتمل على مائتين وثمان وخمسين بيتا ، هى خلاصة ما اطمأنت إليه النفس ، بعد النقد الداخلى لمجموع هائل من الشعر المنسوب الى الامام الجيلانى ، بعدة مخطوطات وطبعات قديمة تناثرت فيها تلك القصائد .

ومن خلال القصائد التسع الصحيحة النسبة ، نرى أن أغراض شعر الامام الجيلانى وخصائصه ، هى أغراض وخصائص الشعر الصوفى بعامة ـ كما عددناها فى تمهيدنا للديوان ـ بالاضافة الى بعض السمات الخاصة التى تميز بها شعره ، وهى سمات يمكن إيجازها فى الآتى :

(١) تعلو نغمات الإدلال والفخر فى أبيات الامام ، بشكل لا نكاد نجده فى شعر غيره من الصوفية .. ولعل هذه الأبيات ـ وبضعة عبارات أخرى للامام -

هى ما حدت بابن عربى ، لاتخاذ عبدالقادر الجيلانى ، مثالا على إدلال الأولياء وزهوهم بمراتبهم عند الله [1] .

(٢) غالبا ما تختتم قصائد الامام بأبيات تشير الى اسمه أو أحد ألقابه المشهورة ، وهى الظاهرة المعروفة باسم : التخلص[2] .. وتبدو هذه الظاهرة عند بعض الشعراء ، فمنهم من يتخلص فى شعره بلقب معروف له ـ كما هو الحال فى شعر الامام الجيلانى ـ ومنهم من يتخلص باسم آخر ، كما كان ملا هادى السبزوارى (المتوفى ١٢٨٩ هـ) يتخلص فى أشعاره بلقب : أسرار .

(٣) تلتحق بغالبية قصائد الامام الجيلانى (أبيات الترجيع) وهى أبيات يضعها المريدون على نفس الوزن والقافية ، بهدف الانشاد فى مجلس الذكر والسماع ، بحيث ينشدون عقب كل بيت من القصيدة بيتا للترجيع .. ومع مرور الزمن نجد النساخ قد أضافوا أبيات الترجيع الى متن القصيدة .

(٤) حال مقام الامام الجيلانى ـ كواحد من اعلام الفقه والتصوف فى عصره ـ دون العناية بشعره وتطويله وتنميقه .. فلا نجد عنده القصائد الروائع المطولة التى نجدها عند ابن الفارض وعبدالكريم الجيلى وغيرها من الصوفية غير المشتغلين بالفقه ، وهذا يذكرنا بعبارة الامام الشافعى الشهيرة :

وَلَوْلَا الشِّعْرُ بِالعُلَمَاءِ يُزْرِى
لَكُنْتُ اليَوْمَ أَشْعَرُ مِنْ لَبِيدِ

تلك هى أهم السمات التى رأيناها فى شعر الامام الجيلانى ، وفيما عداها ، لا يخرج شعره عن الاطار العام للشعر الصوفى .. وعلى الحقيقة ، فإن النظرة

---

[١] ابن عربى : الفتوحات المكية (تحقيق د / عثمان يحيى ـ الهيئة المصرية العامة) السفر الثالث ص ٤١١ .

[٢] التخلص : هو إتيان البلغاء باسم الواحد منهم فى شعره (التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ٢١١/٣) وهى ظاهرة معروفة فى الشعر الفارسى .

الناقدة لقصائد الامام الجيلانى ، لا تلحقه بكبار أقطاب الشعر الصوفى ! فعلى الرغم من قوة المعانى الصوفية عنده ، واشتداد النفحة الكشفية فى أبياته ، إلا أن هذه الأبيات - من حيث اللغة - لا تخلو من ضعف .

.. وفيما يلى نشير بإيجاز الى قصائد الديوان التسع ، بعد ترتيبها على حروف المعجم بحسب الروى[1] ، كما هو متبع فى أغلب دواوين الشعر :

★ **ما فى الصبابة** :

وهى بائية مشهورة من بحر الكامل ، تقع فى ١٢ بيتا ، كان الامام الجيلانى قد أنشدها عقب مقالته فى وصف القطب . وفى الأبيات يتحدث الامام بلسان الإدلال عن علو مقامه فى المحبة ، ورفعته على سائر المحبين ! وقد اعتنى القادرية بأبياتها عناية بالغة ، واهتموا بترديدها وتخميسها وتشطيرها[2] ، فمن ذلك نجد تخميس الشيخ عبدالغنى النابلسى (المتوفى ١١٤٣ هجرية) الذى يقول فى البيت الأول منها :

قَلْبِى الَّـــذِى فِى ذَاتِكُمْ يَتَقَلَّبُ
وَعَلَى مُقَـامِ الهَـاشِمِىِّ مُهَــذَّبُ

فَلِأَجْلِ ذَا مِنْ كُلِّ مَعْنًى أَطْرَبُ
مَـا فِى الصَّبَابَـةِ مَنْهَـلٌ مُسْتَعْـذَبُ

إِلَّا وَلِى فِيــهِ الأَلَــذُّ الأَطْيَبُ[3]

---

[١] الروى : هو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة فى القافية .. ومنه يقال ، قصيدة بائية أو لامية أو غير ذلك .

[٢] التخميس والتشطير : من فنون الشعر الملحقة بالبحور الستة عشر . والتخميس هو أن يقدم الشاعر على البيت من شعر غيره ، ثلاثة أشطر على قافية الشطر الأول ، فتصير كلها خمسة أشطر . أما التشطير فهو أن يعمد الشاعر الى أبيات غيره ، فيضم الى كل شطر منها شطرا يزيده ، عجزا لصدر وصدرا لعجز (الهاشمى : ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب ، ص ١٤٢) .

[٣] النابلسى : ديوان الحقائق ومجموع الرقائق ، ص ٥٩ .

كما خمسها قادرى متأخر ، هو الشيخ محمد الامام المنزلى ، فقال :

شَمْسُ كَمَالِى دَائِماً لَا تَغْرِبُ
وَمُقَامُ عِزِّى عِنْدَ رَبِّى مُقَرَّبُ
لِى مِنْ بِحَارِ (سَيِّد) الخَلْقِ مَشْرَبُ
مَا فِى الصَّبَابَةِ مَنْهَلٌ مُسْتَعْذَبُ
إلَّا وَلِى فِيهِ الأَلَذُّ الأَطْيَبُ[1]

وخمسها الشيخ على بن يحيى ، صاحب كتاب (تحفة الأبرار) بقوله :

مَنْ رَامَ فِى طُرْقِ المَحبَّةِ يَذْهَبُ
بِى يَقْتَدِى وَلِسُؤْرِ كَأْسِى يَشْرَبُ
لِى مِنْ صَفَا أصفى المَوَارِدِ مَشْرَبُ
مَا فِى الصَّبَابَةِ مَنْهَلٌ مُسْتَعْذَبُ
إلَّا وَلِى فِيهِ الأَلَذُّ الأَطْيَبُ[2]

وهناك تخميس آخر للأديب عبدالباقى العمرى ، يقول فيه :

لِى مَنْهَلٌ عَذْبُ المَوَارِدِ طَيِّبُ
مِنْهُ سِوَاى مُقَرَّبٌ لَا يَشْرَبُ
فَلِذَا أَقُولُ وَثَغْرُ قَوْلِى أَشْنَبُ
مَا فِى الصَّبَابَةِ مَنْهَلٌ مُسْتَعْذَبُ
إلَّا وَلِى فِيهِ الأَلَذُّ الأَطْيَبُ[3]

---

[١] المنزلى : السفينة القادرية ص ٣٥٣ .
[٢] ظهير الدين القادرى : الفتح المبين ص ١٤١ .
[٣] المرجع السابق ص ١٤٣ .

وقد استخرجنا متن القصيدة بالمقابلة بين ثماني نسخ لها ، منها ما هو مخطوط وما هو مطبوع ، وقد أشرنا لهذه النسخ فى بداية النص المحقق للقصيدة ، وكذا الأمر فى بقية نصوص هذا الديوان ، سواء القصائد الصوفية أو المقالات الرمزية .

★ الوسيلة :

وهى واحدة من أهم قصائد الديوان ، تقع فى ٤٨ بيتا ، من قافية التاء وبحر الطويل . وأبيات القصيدة فى جملتها تعبير عن فرط المحبة وفيضان الوجد ، وقد عمد الامام فيها الى الرموز الصوفية ، فنجد بين كلماتها الخمر والحان والكأس .. وغير ذلك من الرموز الحسية ، التى طالما أشار بها الصوفية لمعانيهم الذوقية .

وعلى الرغم من اعتمادنا فى استخراج نص القصيدة من خمسة أصول ، إلا أن ترتيب أبياتها كان أمرا شاقا ! فالاصول الخمسة مضطربة غاية الاضطراب .

★ القصيدة الشريفة :

وهى تائية من بحر الطويل تقع فى ٢١ بيتا من النظم الرصين ، وفيها تظهر الأفكار الصوفية السائدة فى الحقبة التى عاش فيها الامام الجيلانى ، تلك الأفكار التى تفتحت من بعده ، بقوة ، فى شعر ابن الفارض والعفيف التلمسانى وعبد الكريم الجيلى ، فقد أشارت الابيات بوضوح الى فكرة المعراج الروحى ، وصفات الانسان الكامل المقرب من الله ، وتجلى الحقائق وكشف المحجوب ، والتحقق بمقام الشفاعة والغوثية .. وهى الأسس التى قامت عليها أهم النظريات الصوفية عند أهل الطريق ، أعنى نظرية القطب أو : الانسان الكامل [١] .

وهناك لواحق للقصيدة ، قام نساخ الأصول الخمسة ـ التى أخرجنا منها نص القصيدة ـ بوضعها ، وقد وضعناها بدورنا فى هامش التحقيق ، واستبعدناها من المتن ، لما يبدو عليها من سمات الوضع وتصرف المريدين .

---

[١] انظر تفاصيل هذه النظرية فى الباب الثالث من بحثنا : الفكر الصوفى عند عبد الكريم الجيلى (دار النهضة العربية ـ بيروت) .

★ **سقانى حبيبى** :

يفصح عنوان هذه القصيدة عن موضوعها ، فهى دالية تتألف من ١١ بيتا من الشعر الخمرى الرقيق ، يحكى فيها الامام الجيلانى أحواله بعد نشوته بكأس المحبة الالهية ، وكيف هام بسكر هذه المحبة ، فأفاق من غفلة الحياة الدنيا ، ووصل إلى حضرة القرب وتحقق بالقطبية .

★ **الأسماء الحسنى** :

تبدو هذه اللامية ، بأبياتها الأربعة والستين ، وكأنها من شعر المرحلة المبكرة فى المُنحنى الروحى لحياة الامام الجيلانى ، فلا نلمح فيها نغمات الإدلال الظاهر فى بقية القصائد . ومع ذلك ، فالقصيدة لا تخلو من الأفكار الصوفية الدقيقة ، كفكرة قيام الوجود بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ باعتباره دعامة أنطولوجية للكون ، وهى الفكرة التى اكتملت بها نظرية [القطبية] عند الصوفية فيما بعد .

وفى هذا النص الشعرى ، نرى الإمام يتوسل بأسماء الله الحسنى الواردة فى سورة الحشر ، تلك الأسماء التى ورد فى الحديث النبوى أن مَنْ أحصاها دخل الجنة !

★ **رفع الحجب** :

هى أقصر قصائد الديوان ، فلا تتعدى أبياتها عشرة أبيات من قافية اللام . وعلى الرغم من الضعف البادى على القصيدة من الناحية البلاغية ، إلا أنها من الناحية الذوقية ، تعد واحدة من أرق أشعار الامام ، ففيها وصف دقيق للمواجيد والأذواق التى تفعم قلب العاشق اذا ما ارتشف كأس المحبة .. وللشيخ محمد المنلا التونسى ـ وهو من القادرية المتأخرين ـ توجه ذوقى على هذه القصيدة ، منه قوله :

أَشْرَقَ الْبَدْرُ فِى سَمَاءِ المَعَالِى
وَتَبَدَّى بِنورِهِ الـمُـتَلالِى

أَنْـطِقُـوا سَـادَتِى جميعـاً وَقُـولُـوا
رُفِعَ الْحَجْبُ عَنْ بُدورِ الكَمَالِ [١]

★ القصيدة الخمرية (الغوثية)

هى أهم قصائد الديوان ، وأشهر أشعار الامام على الاطلاق ، تُعرف عند العوام بالقصيدة الغوثية ، وعند خواص أهل الطريق بالخمرية .. ولهذه القصيدة فى نفوس القادرية مكانة لا تعدلها مكانة أثر آخر للامام عبدالقادر الجيلانى ، فهم يجعلون لقراءتها خواص وفوائد لا تحصى ، بل ويذهب بعضهم الى أن لكل بيت منها ، خاصية مشهورة مفردة [٢].

وعلى الرغم من شهرة أبيات القصيدة ، واشتهار نسبتها للامام الجيلانى ، فإن أحد النساخ المتأخرين ينسبها للشيخ ابراهيم الدسوقى [٣] .. وهو خلط متعمد من الناسخ ، إذ أجرى بعض التعديلات بأبياتها . بما يناسب نسبتها المزعومة للدسوقى ! لكن هذا الناسخ سها ، ولم يحذف كلمة (الباز الأشهب) من نسخته ، فأبقى بذلك فى القصيدة التى ينسبها للدسوقى ، أشهر ألقاب الامام الجيلانى . كذلك فقد وجدنا الصوفى المتأخر ، ابن قضيب البان ، قد نسج أبياتا تضمنت نفس الألفاظ والمعانى الواردة فى الخمرية . مع تعديلات طفيفة [٤].

---

[١] السفينة القادرية ، ص ١١٨

[٢] انظر البيت الأول من نص القصيدة المحقق (هامش اختلاف النسخ) .

[٣] ديوان الدسوقى (مخطوط مكتبة بلدية الاسكندرية . رقم ٦٦٠٧/تصوف) ورقة ٣ ب ، ٤ أ .

[٤] هناك العديد من أقطاب التصوف ، يعرف الواحد منهم بابن قضيب البان .. وبخصوص ابن قضيب البان المذكور هنا ، يمكن الرجوع الى ترجمته ونص قصيدته المشار اليها فى المحبى : خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر (القاهرة ١٢٨٢ هجرية) الجزء الثالث ص ٤٦٥ وما بعدها .

★ **طف بحانى** :

فى هذه الميمية التى تتألف من ٢١ بيتا ، يصل إدلال المحب غايته .. فمن البيت الأول منها ، والامام يدعو الى الطواف بحانه واللجوء لذمامه . بل إن روح الادلال تأبى عليه - فى البيت السادس من القصيدة - أن يدعوه بالقطب ! فيقول : إنما القطب .. خادمى وغلامى .

وهناك تخميس لأبيات القصيدة ، وضعه الشيخ محمد الامام المنزلى ، نجده ضمن مجموعة الأشعار الواردة بكتاب السفينة القادرية[١].

★ **رفعت على أعلى الورى** :

تقع هذه النونية فى ١٧ بيتا ، كلها بلسان التمكين والإشارة الى مقام الكمال الذى يصل اليه قطب الأقطاب (الإنسان الكامل) حين يعرج الى المرتبة العليا فى ترقيه الروحى الى الله .

★ **على الأولياء** :

يفتتح الامام الجيلانى هذه النونية ، بالاشارة الى أنه « ألقى على الأولياء سره وبرهانه ، فهاموا به فى سر سره وإعلانه !» ويستطرد بعد ذلك فى الكلام عن حقيقة قطب الأقطاب وبحار علومه اللدنية ... وهذه القصيدة آخر النصوص الشعرية بالديوان ، وقد انتهت بتخلص جاء فيه :

أَنَــا قَــادِرِىُّ الْــوَقْتِ عَبْــدٌ لِقَــادِرٍ
أُكَنَّى بِمُحْيِي الدِّينِ وَالأَصْلُ جِيلانى

---

[١] السفينة القادرية . ص ٢٦٠

.. وخلف هذه القصائد التسع ، هناك بعض المقطوعات الشعرية والابيات المفردة ، كان الامام ينشدها أحيانا . فمن ذلك قوله فى لفظ الشهادة (لا إله إلا الله) هذا البيت المفرد .

مَلِيحَةَ التَّكْرَارِ وَالتَّثَنِّى
لَا تَغْفُلِي عِنْدَ الْوداعِ عَنِّى

وقوله حين سئل عن صلاة الرغائب:[2]

إذَا نَظَرَتْ عَيْنِي وُجُوهَ حَبَائِبِى
فَتِلْكَ صَلَاتِى فِى لَيَالِى الرَّغَائِبِ

وُجُوهٌ إذَا مَاأَسْفَرَتْ عَنْ جَمَالِها
أَضَاءَتْ لَهَا الأَكْوَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

حُرِمْتُ الرِّضَا إنْ لَمْ أَكُنْ بَاذِلاً دَمِى
أُزَاحِمُ شُجْعَانَ الْوَغَى بِالْمَنَاكِبِ

أَشُقُّ صُفُوفَ الْعَارِفِينَ بِعَزْمَةٍ
تُعَلِّى بِمَجْدِى فَوْقَ تِلْكَ الْمَرَاتِبِ

وَمَنْ لَمْ يُوَفِّ الحبَّ مَا يَسْتَحِقُّهُ
فَذَاكَ الّذِى لَمْ يَأْتِ قَطُّ بِوَاجِبِ[3]

---

[1] قلائد الجواهر ص ١٨/ الفيوضات الربانية ص ٧٢/ خلاصة المفاخر (مخطوط) ورقة ١٠٥ ب .

[2] صلاة الرغائب : هى صلاة الخميس الأول من شهر رجب ، وهى اثنتا عشرة ركعة فيما بين العشاء والعتمة ، روى ان من صلاها غفرت له جميع ذنوبه ! ولم يرد ذكر هذه الصلاة ضمن صلوات النافلة التى عددها الامام الجيلانى فى الغنية ، وانما ذكرها الغزالى فى الاحياء لما رأى أهل القدس يواظبون عليها ولايسمحون بتركها .. وقد استدل عليها الغزالى بحديثين نبويين . قال العراقى ان احدهما موضوع والاخر باطل (احياء علوم الدين ، بهامشه : المغنى عن حمل الأسفار ، للعراقى ـ المجلد الاول ص ٢٠٢ ، ٢٠٣) وقد تعرض على بن غانم المقدسى ، المتوفى ١٠٠٤ هجرية ، لهذه الصلاة تفصيلا فى كتاب مخطوط له بعنوان : ردع الراغب عن صلاة الرغائب

[3] بهجة الأسرار ص ٥٨/ قلائد الجواهر ص ٣٥

وبالاضافة الى هذه المتفرقات الشعرية ـ التى اكتفينا بذكرها هنا دون ضمها للديوان لقصرها ـ كان الإمام كثيرًا مايتمثل فى مجالسه بأشعار السابقين ، خاصة مجنون بنى عامر ، الذى طالما أعجب الصوفية شعره .

القصائد المنحولة :

كما نسب شعر الإمام الجيلانى لغيره ، نسبت اليه أشعار غيره ! وهذا الخلط يرجع ـ بشكل مباشر ـ الى انعدام المخطوطات الاصلية لمؤلفات الامام ، نظرا لما مر بمكتبة المدرسة القادرية من كوارث ، وهو الأمر الذى أدى الى اتساع دور المشافهة والتصرف فى الاثار الجيلانية ، خاصة الشعرى منها . وفى رحلة بحثنا عن الاصول التى استخرجنا منها أصول الديوان ، وجدنا الاتى :

★ ديوان مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٧٤٥ شعر/تيمور ، بعنوان (ديوان عبدالقادر الجيلانى) . وسرعان ماتبين لنا أن الأشعار الواردة بالمخطوطة مقطوعة الصلة تماما بالامام الجيلانى ، فهى أشعار حسية تكتسى بثوب الخلاعة والمجون وظرف الشعراء ! وبتقصى نسبة هذا الديوان المخطوط ، اتضح انه للشاعر المعروف بعبد القادر الجيلانى السحاقى ـ أحد ذرية الامام الجيلانى ـ وهو شاعر أديب مؤرخ نسابة ، توفى بعد سنة ١١٥٠ هجرية [١]

★ ديوان مخطوط ببلدية الاسكندرية ، برقم ٥٨٧٥ ح / أدب ، ذكرت الفهارس والورقة الاولى منه أنه (ديوان الكيلانى) .. واتضح بعد دراسته انه للشاعر : أحمد بن حسين بن كيوان ، المعروف بالجيلانى ، المتوفى سنة ١١٧٣ هجرية ! وقد ظهر لنا ذلك ، على الورقة الأولى من نسخة مخطوطة لنفس الديوان ، محفوظة بدار الكتب المصرية .

---

[١] عمر كحالة : معجم المؤلفين (دار احياء التراث العربى ـ بيروت) المجلد الخامس ص ٢٨٦

★ وهناك مخطوطتان لأرجوزة شعرية بعنوان (تذكرة الشفيق اللازمة لمعرفة الطريق) توجد المخطوطة الأولى بدار الكتب بالقاهرة ، تحت رقم ٢١٤٧٩/ب ، والأخرى ببلدية الاسكندرية ، تحت رقم ٣٨٢٦ ج/تصوف : وكلتاهما منسوبة للامام الجيلانى فى الفهارس وعلى الورقة الاولى .. وتبدأ الأرجوزة بقولها :

الحَـمْـدُ لله مُـفِـيضِ الخَـيْرِ
وَبَـاعِثِ الـرُّسْـلِ لِـدَفْـعِ الضُّـرِ

وبإمعان النظر إلى الأرجوزة ، نراها تختلف تماما عن الاطار العام لشعر الامام الجيلانى . بل ونرى فى الأبيات الأخيرة منها ، مايفيد بأنها نظمت سنة ٦٩١ هجرية ، أى بعد وفاة الامام الجيلانى بمائة وثلاثين سنة .

★ وتوجد تائية تتألف من ٣٠٠ بيت ، مخطوطة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٩٩٨ شعر/تيمور) جاء على الورقة الاولى منها : « هذه تائية الشيخ القطب الربانى والغوث ... عبدالقادر الكيلانى » ويقول مطلعها :

تَبَـارَكْتَ يَـاذَا الْقُـدْرَةِ الأَزَلِيَّـةِ
فَمُدْنِيَنِي بِـالْفَضْـلِ مِنْـكَ وَنِعْمَـةِ
وَأَيَّـدْتَنِي بِـالْعِلْمِ والحِلْمِ والتُّقَى
وَوَقَّيْتَنِي مِنْ كُـلِّ شَـرٍّ وَفِـتْنَـةِ

ولم نجد بأبيات هذه التائية شيئا من سمات شعر الامام الجيلانى ، ثم قطعنا بأنها منحولة ، حين وجدناها تنظم كرامات الجيلانى وتستغيث به .. وحين وجدنا بها ابياتا تقول بإسقاط التكاليف الشرعية !

★ وكانت الدهشة البالغة حين وجدنا قصيدة (النادرات العينية) تلك المطولة الشعرية التى تضم ٥٢٤ بيتا من روائع الشعر الصوفى ، والتى يقول سطلعها :

فُـوَادٌ بِـهِ شَمْسُ الْمَحَبَّةِ طَـالِـعُ
فَلَيْسَ لِنَجْمِ العَـذْلِ فِيهِ مـوَاقِعُ

صَحَا النَّاسُ مِنْ سُكْرِ الغَرَامِ وَمَاصَحَا
وَأَفْرَقَ كُلٌّ وَهْوَ بِالْحَانِ جَامِعُ

وجدناها منسوبة للامام عبدالقادر الجيلانى عند كل من : بروكلمان [1] ، السامرائى [2] ، صادق سهيل [3] .. بل انها طبعت بالفعل كواحدة من قصائد الامام ، كملحق لكتابه (فتوح الغيب) وكهامش على كتابى : بهجة الأسرار ، قلائد الجواهر .

والقصيدة ـ دون أدنى شك ـ لعبد الكريم الجيلى ، المتوفى ٦٢٨ هجرية . وقد سبق لنا تحقيق النص الشعرى لها ، مع شرح النابلسى عليها .. والأمر الغريب ، أن قصيدة (النادرات) قد احتوت على ترجمة ذاتية لمؤلفها ، جاء فيها تاريخ مولده (أول المحرم سنة ٧٦٧ هجرية) فاذا بالشخص الذى طبعها مع « فتوح الغيب » ونسبها للامام الجيلانى ، يحذف الأبيات التى وردت فيها ترجمة عبدالكريم الجيلى ، ويكتب فى الهامش : بياض فى الأصل ! مما يعنى أنه كان مدركا لتلفيقه .

عموما ، فالنادرات العينية لم تنسب للامام الجيلانى فحسب ، فقد نسبها مريدو الشيخ ابراهيم الزرقانى ـ المتوفى منذ بضع سنوات بالاسكندرية ـ لشيخهم ، فى مجموع شعرى نثرى نشروه بدار المعارف تحت عنوان : ديوان أهل الذكر [4]

(1) K.Brokelmann : Geschichte der Arabischen Literatur (suppl .) Vol 2 . 777
[٢] السامرائى الشيخ عبدالقادر الجيلانى ، ص ٢٥
[٣] صادق سهيل عبدالقادر الجيلانى ومذهبه الصوفى (رسالة ماجستير غير منشورة) ص ١٠٥
[٤] الزرقانى ديوان أهل الذكر (دار المعارف بمصر ١٩٨١) ص ٣٧٥ ومابعدها

★ وفى مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٩٤ شعر/ تيمور ، نُسبت للإمام الجيلانى تائية مضطربة يقول مطلعها :

دَعْنِي لَقَـدْ مَلَكَ الغَـرَامُ أَعِنَّتِي

لَـكِنَّنِى خُضْـتُ البِحَـارَ بِهِمَّتِي

وهذه التائية منسوبة أيضا للشيخ أحمد البدوى ـ نزيل طنطا الشهير ، المتوفى ٦٧٥ هجرية ـ وقد نشرها الدكتور عامر النجار كملحق لاحد مؤلفاته على انها للبدوى ، دون أن يفصح عن المصدر الذى جلبها منه [١] .. وأيا ماكان من صحة نسبة هذه التائية للبدوى ، فهى بالقطع ليست للامام الجيلانى ! فهى لاتعدو كونها نسخة مضطربة ناقصة من قصيدة (الوسيلة) التى تحدثنا عنها فيما سبق .

★ ووراء ذلك كله ، هناك مالا يحصى من الشعر الركيك المتأخر ، وجدناه منسوبا للامام الجيلانى بعدة مجاميع خطية، وبضعة مطبوعات بدائية لم تحقق .. وكلها فى النهاية أشعار منحولة لاتتصل بشعر الامام بأية صلات .

.. وأخيرا فقد رأينا عند أحد مشايخ القادرية المعاصرين وريقات ، بها كلام غير موزون يشبه الشعر ، فى نظام كتابته فقط ! وقال الشيخ انها منظومات لعبد القادر الجيلانى .. ولاندرى أى جيلانى يقصد ، فما هذه (الأشعار) الا عبث صبيانى لشخص لم يكمل دراسته الأولية .

---

[١] د / عامر النجار : الطرق الصوفية فى مصر (دار المعارف ـ الطبعة الثالثة ١٩٨٦) ص ٢٨٢ وقد وردت هذه القصيدة منسوبة للبدوى باحدى مخطوطات بلدية الاسكندرية .

المقالات الذوقية :

هذه المقالات ـ كما أسلفنا ـ تمثل القسم الثانى من الديوان ، وهى نموذج لشكل مهم من الأشكال التى انتهت إليها الكتابة الصوفية فى القرن السادس الهجرى .. وفى المقالات التسع التى يضمها الديوان نرى الامام الجيلانى وهو ينثر أشعارا ، وينظم عبارات مغلفة بستار كثيف من الرمز الصوفى ، بحيث تومىء وتلمح إلى تلك المشاهدات والحقائق الخاصة بأهل الولاية .

ومقالات الديوان التسع ، انتقيناها بعناية من جملة كلام الامام الجيلانى ، بحيث تعطى فى مجموعها صورة متكاملة لأسلوبه التعبيرى عن هذه المواقف التى تتسع فيها الرؤية ، فتضيق العبارة .. وبعد تحقيقها ، تم ترتيبها كما يلى :

★ عقيدة الباز الأشهب :

وتعرف أيضا بعقيدة (الغوث الأعظم) وهى إحدى المقالات المشهورة للامام ، يفصح فيها عن عقيدته وحقيقة توحيده ، ويرد أقوال الفرق الاسلامية ـ خاصةً المعتزلة [1] ـ بإشارات موجزة .. هذا فى الجزء الأول من المقالة ، أما الجزء الآخر فهو تلويحات ذوقية متتالية تؤكد رؤية الله ، تلك الرؤية التى سوف تتنعم بها النفس الراضية المرضية الراجعة الى ربها ؛ ويسوق الامام حججه على وجوب هذه الرؤية التى ينكرها بعض علماء الكلام .

---

[١] المعتزلة : فرقة من أكبر الفرق الكلامية فى تاريخ الاسلام ، اسسها واصل بن عطاء باعتزاله مجلس الحسن البصرى حين نشأ الخلاف حول حكم (مرتكب الكبيرة) هل هو مؤمن أم كافر ؟ ثم انضم إليه عمرو بن عبيد ، وتلاهم العديد من كبار المتكلمين . وكان المعتزلة غالبا مايرجحون الجانب العقلى ويتأولون الآيات بما يتفق مع نظرياتهم ، وقد اتفقوا على أصول خمسة من يدين بها يعد معتزليا : التوحيد ـ الوعد والوعيد ـ العدل ـ المنزلة بين المنزلتين ـ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وهناك عدة أصول من هذه المقالة ، كما توجد لها ترجمات تركية وأردية وفارسية .. وقد أخرجنا النص المحقق للقصيدة ، بالمقابلة بين ثلاثة أصول : الفيوضات الربانية ـ قلائد الجواهر ـ فتوح الغيب .

★ وصف القطب :

يشير عنوان هذه المقالة الى موضوعها : فقد تناول فيها الامام الجيلانى حقيقة القطب ، استجابة لخواطر جماعة ودوا لو سمعوا منه شيئا فى ذلك (انظر الهامش الأول من المقالة) وقد أنهى الامام مقالته بأبيات قصيدة « مافى الصبابة » .. وكان استخراج النص المحقق للمقالة من أصلين : بهجة الأسرار ـ مخطوط الأزهر رقم ١٢٠١/ رواق المغاربة .

★ الغوثية :

هى أهم مقالات الديوان ، وهى واحدة من أهم النصوص الصوفية على الاطلاق ، إذ يكشف البحث المكثف وراء مدلولاتها ومراميها عن أدق النظريات وأكثرها عمقا فى التصوف .

والغوثية خطاب فهوانى[١] من حضرة القرب ، صاغه الامام عبر حشد هائل من التلويحات والرموز ، ليعبر عن هذا الخطاب الإلهى الذى يتلقاه الغوث الأعظم (الإنسان الكامل) بطريق المكافحة : على نحو يذكرنا بمواقف النِّفَّرى ومخاطباته من جهة ، وبالغربة الغربية وأصوات أجنحة جبرائيل للسهروردى الاشراقى من جهة أخرى .. وان كانت الغوثية أقرب الى المواقف والمخاطبات

---

[١] الفهوانية ، لفظة صوفية مشتقة من قولهم « فاه الرجل » إذا تكلم (المعجم الصوفى ص ٤٠٠) وفى معناها الاصطلاحى عند أهل الطريق الصوفى ، يقول ابن عربى والقاشانى : الفهوانية خطاب الحق تعالى مكافحة فى عالم المثال (إصطلاح الصوفية لابن عربى ص ٢٧ ـ إصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٣٧) ويرى ابن عربى أن الكلمة الفهوانية للحضرة الالهية هى كن .. (التجليات ، رسائل ابن عربى ١٣/٢) ويختلف الخطاب الفهوانى عن « المحادثة والمسامرة » فهو يكون فى عالم المثال .. بينما تكون المحادثة من عالم الملك ـ كنداء الله لموسى من الشجرة ـ وتكون المسامرة من عالم الأسرار والغيوب (انظر : المعجم الصوفى ص ٤٠٢ ـ ترجمان الأشواق ص٤٣)

أكثر من قربها من رسائل السهروردى ، فقد تميزت المواقف والمخاطبات بنفس المباشرة والايجاز اللذين نجدهما فى الغوثية ، بينما تميزت رسالتا السهروردى بطابع دراماتيكى مشحون بالرؤى الكشفية [١] .

وهناك خلاف حول نسبة الغوثية لكل من : الامام الجيلانى ، محيى الدين إبن عربى ! فعلى حين نُسبت فى مخطوطة الاسكوريال لابن عربى ، نسبتها عدة مخطوطات للامام الجيلانى . بل ان الدكتورة سعاد الحكيم قد اعتمدت عليها فى معجمها الصوفى لمصطلحات ابن عربى ، استنادا الى مخطوطة لها بالظاهرية (برقم ٦٨٢٤) نُسبت فيها الغوثية لابن عربى .. والأغرب فى ذلك الأمر ، ان هناك مخطوطتين للغوثية ببلدية الاسكندرية ، إحداهما منسوبة لابن عربى ، والأخرى للامام الجيلانى .

وبخصوص هذا الخلاف ، فاننا نؤكد نسبة الغوثية للامام الجيلانى .. وذلك استنادا لما يلى :

[١] إن لفظ (غوث الأعظم) الذى يتكرر فى بداية كل عبارة من الغوثية ، هو لقب للامام الجيلانى ، ولم يُعرف به ابن عربى .. وقد مر علينا تسمية عقيدة الامام الجيلانى ، بعقيدة : الغوث الأعظم .

[٢] لم يعرف عن ابن عربى ، أنه يكتب بلغة الإدلال التى نلمحها فى الغوثية .. ولا توجد فى مؤلفات ابن عربى المعروفة ، نصوص تقترب أسلوبيا من لغة الغوثية ! بينما تبدو فى الغوثية ، تلك السمات الأسلوبية المشتركة بين مقالات الامام الجيلانى .

[٣] تطابق الإشارات الواردة فى الغوثية ، بعض إشارات الإمام الجيلانى فى غيرها من مؤلفاته .. كحديثه عن العباد المحترقين بالمحبة ، والمحب

---

[١] فيما يتعلق بالمواقف والمخاطبات للنفرى . يمكن الرجوع الى الطبعة المحققة التى قام بها المستشرق أربرى بعد مقابلة النص بين سبع نسخ خطية (نشرتها الهيئة المصرية العامة . مكتبة الكليات الأزهرية) وإن كان تحقيق أربرى للنص . يخلو من اية اضافات هامشية لتوضيح مشكلات هذا النص الموغل فى الرمزية .
أما رسالة « الغربة الغربية » للسهروردى . فقد نشرت ضمن كتاب (قراءات فى الفلسفة) الذى قام بجمعه الدكتور النشار والدكتور أبو ريان .. ويوجد نص رسالة « أصوات أجنحة جبرائيل » ضمن كتاب الدكتور بدوى (شخصيات قلقة فى الاسلام) بتحقيق بول كراوس

الذى يكون له الوالد والولد وقلبه فارغ منهما . وقد أشرنا لذلك فى هوامش التحقيق .

وأخيرا ، فقد جرت العادة على أن ينسب النساخ لابن عربى ما ليس من مؤلفاته ، إما لجهل غير متعمد ، أو لقصد إعلاء قيمة النسخة .. وربما جاء هذا الخلط فى نسبة الغوثية بالذات ، إلى أن كلا من ابن عربى والامام الجيلانى ، يلقب بمحيى الدين !

وقد أخرجنا النص المحقق للغوثية ، بعد المقابلة بين أربعة أصول : الفيوضات الربانية ـ مخطوطة الاسكندرية رقم ٣٠٢٥خ تصوف ـ مخطوطة الاسكندرية رقم ١٦٤٧خ/ تصوف ـ مخطوطة الاسكوريال رقم ٢/٤١٧ .. وهناك عدة نسخ أخرى للغوثية ، محفوظة بمكتبات القاهرة ودمشق واستانبول ، كما يوجد شرح عليها بعنوان : العونية فى شرح الغوثية الجيلانية (مخطوط بالسليمانية ـ استانبول) وترجمة الى التركية ، قام بها فيض الله الأيوبى ونشرتها دار الطباعة العامرة باستانبول سنة ١٢٦٦ هجرية ، بعنوان : ترجمة الرسالة الغوثية للكيلانى الشهير بغوث الأعظم !

★ الإيـــمان :

مقالة الإمام الجيلانى فى الايمان ، واحدة من أرق مقالات الديوان وأعذبها لفظا ، وفيها يتداخل المصطلح الصوفى مع اللفظ القرآنى ، ليعطى هذا المزيج نموذجا رائعا من نماذج التعبير الرمزى الصوفى .

وموضوع المقالة هو حقائق الايمان كما يراها أهل الطريق ، وضرورة التعلق بالشريعة باعتبارها مقدمة لكل حقيقة ، ثم تنتهى المقالة الى رحب المكاشفات والمشاهدات التى تتجلى على قلوب المؤمنين .. وتزخر المقالة برموز صوفية واصطلاحات ينحتها الامام نحتا ، منها : طفل العقل/ حجر التأديب/ عرائس أسرار الأزل/ تماثيل الوجود/ كهف الكرم/ بحر الدنيا .. إلى أخر هذه التعبيرات الموحية .

★ الاسم الأعظم :

الاسم الأعظم ، كلمة معروفة للخاصة والعامة . وقد تكثفت مفاهيمها بفعل النقل والتداول ، فكان سؤال شيخ من شيوخ الصوفية عن هذا الاسم

الأعظم ، أول ما يتبادر الى ذهن السائل ! بل أضحى هذا السؤال مقياسا لمعرفة : مقام المجيب [١] .. وقد ساد الاعتقاد بأن المقربين والصديقين من أهل الولاية ، يتصرفون بالاسم الأعظم فى الأشياء .

وترى الدكتورة سعاد الحكيم ـ فى ضوء بعض أقوال ابن عربى ـ أن الاسم الأعظم ، هو المتمم إحصاء الأسماء الحسنى التسعة والتسعين للعدد مائة ، وأنه يفعل بالخاصية ، وبذلك يغاير اسم [الله] الذى يفعل بصدق المتلفظ به [٢] .. أما الدكتور حسن الشرقاوى ، فيذكر أن الصوفية على اختلاف طوائفهم ، يستخدمون لفظ الجلالة باعتباره هو الاسم الأعظم ، لأن [الله] اسم جامع لمعانى الأسماء الحسنى كلها ، فهو سلطان هذه الأسماء عندهم [٣] .

وسوف نرى فى هذه المقالة ، أن الامام الجيلانى يوفق بين هذين الرأيين .. فهو يرى من جهة ، أن الاسم الأعظم هو الله : ويرى من الجهة الأخرى أن الاستجابة تكون عند قول [الله] وليس فى القلب غيره .

وبعدما يفيض الإمام الجيلانى فى الكلام عن اسم [الله] نراه فى بقية المقالة يستطرد ، ويردف العبارات المتتالية ، فى توجه صوفى لقوله تعالى فى سورة البقرة : اذكرونى أذكركم (٤) .

★ الذكـــر :

الذكر عند الصوفية ، أحلى ينابيع الإيمان والكشف .. ولذا اهتم أهل الطريق الصوفى بالذكر فى العلن والخفاء ، وأوصوا مريديهم بدوام ذكر الله باللسان وبالقلب .

وفى هذه المقالة ، يبدو الإمام وكأنه يستكمل مقالة [الاسم الأعظم] التى ترتبط مع مقالة [الذكر] بوحدة عضوية . فهو يشير إلى حقائق ذكر « الله »

---

[١] د/ سعاد الحكيم : المعجم الصوفى (بيروت) ص ٧٨ .
[٢] المرجع السابق ص ٧٩ .
[٣] د/ حسن الشرقاوى : ألفاظ الصوفية (دار الكتب الجامعية ١٩٧٥) ص ٥١ .
[٤] سورة البقرة ، آية ١٥٢

والرابطة بين صدق الذكر ووجد الذاكر [1] ، ثم يعرج الى الكلام عن محبة الذاكرين وما تثمره من سطعات المعارف الربانية المدهشة للعقول .

★ الوصـــال :

تميزت هذه المقالة برقه إشاراتها .. فعلى الرغم من مسايرتها للأسلوب العام لبقية المقالات ، إلا أن رقة موضوعها ، أضفت على كلماتها لطف التلويح .

وفى هذه المقالة يستخدم الإمام الجيلانى أسماء الأنبياء ، كرموز يشير بها الى حقائق الطريق الصوفى . وهو الاستخدام الذوقى الخاص الذى بلغ مداه على يد الشيخ الأكبر « ابن عربى » فى مؤلفه الرائع : فصوص الحكم [2] .. وتنتهى المقالة بالكلام عن القرب من الله ، ومشاهدات الحضرة الالهية ، ثم دعوة الأرواح والقلوب الى تلبية نداء الشوق والتنعم بالوصال .

★ الحـــلاج :

لم يشتعل الجدل والخلاف حول شخصية صوفية ، مثلما جرى حول أبى المغيث الحسين بن منصور الحلاج ، المقتول ببغداد سنة ٣٠٩ هجرية [3] . فقد كانت أحواله وأقواله [4] مجالا رحبا لمختلف التأويلات

---

[١] يرتبط الذكر والسماع والوجد عند الصوفية ارتباطا خاصا (راجع : التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص ١٦٠/ اللمع للسراج الطوسى ص ٣٤٠ ، ٣٧٥/ قوت القلوب لأبى طالب المكى ٦١/٢/ احياء علوم الدين للغزالى ٢٢٦/٢) فالذكر هو استحضار الله فى القلب ، والسماع هو اجتذاب القلب بقرب الحق .. ومن ذلك كله ، ينشأ الوجد .

[٢] انظر : فصوص الحكم لابن عربى ، بتحقيق ودراسة الدكتور أبو العلا عفيفى [دار الكتاب العربى - بيروت]

[٣] انظر ترجمته واختلاف المؤرخين حوله ، فى المصادر لتالية : طبقات الصوفية ص ٧٤ - كشف المحجوب ٣٦١ - تجارب الأمم ٧٦/١ - الفهرست ص ٢٦٩ - تاريخ بغداد ١١٢/٨ - الأنساب ص ١٨١ - المنتظم ١٦٠/٦ - الكامل فى التاريخ ١٢٦/٨ - وفيات الأعيان ١٤٠/٢ - العبر ١٣٨/٢ - ميزان الاعتدال ٥٤٨/١ - دول الاسلام ١٨٧/١ - مرآة الجنان ٢٥٣/٢ - البداية والنهاية ١٣٢/١١ - المختصر ٧٠/٢ - لسان الميزان ٣١٤/٢ - النجوم الزاهرة ١٨٢/٣ - شذرات الذهب ٢٥٣/٢ - روضات الجنات ٢٢٦/٣ - معجم المؤلفين ٦٣/٤

[٤] جمع ماسينون (أخبار الحلاج) ونشره بباريس ١٩٣١ ، كما جمع (ديوان الحلاج) ونشره فى باريس سنة ١٩٥٨ ، ولماسينون أيضا (الأصول الاربعة) وهى نصوص تتعلق بسيرة الحلاج .. وقد كان الحلاج موضوعا لرسالة ماسينون لدرجة الدكتوراه ، بعنوان : La Passion d'AL—Hallag

والاجتهادات والرؤى [١] حتى أن معاصريه إختلفوا ف أمره ، فلم يقبله الجنيد والنورى وغيرهما ، وقبله آخرون كابن عطاء وابن خفيف والنصراباذى[٢] .. وقال الشبلى :

أَنَا وَالْحَلاَّجُ شَىء وَاحِدٌ

فَأَهْلَكَهُ عَقْلُهُ وَخَلَّصنِى جُنُونِى !

وفى مقالة الامام الجيلانى حول الحلاج ـ التى جمعناها من عدة نصوص ـ يظهر الموقف الذوقى الذى اتخذه الامام من قضية الحلاج ، وهو الموقف الذى عبرت عنه عبارة الجيلانى الشهيرة :

عَثَرَ الْحَلاَّجُ وَلَمْ يَكُنْ فِى زَمَانِهِ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ

وَلَوْ أدركْتُهُ لَأَخَذْتُ بِيَدِهِ

★ الوصيــة :

الوصايا فن من الفنون النثرية التى لم تلق العناية الكافية من دارسى الأدب[٣] . ومقالة (الوصية) هى آخر مقالات هذا الديوان ، كان الامام قد أوصى بها ولده عبدالرزاق حينما سأله الوصية .. وقد وردت هذه الوصية فى إحدى مخطوطات الأزهر منسوبة لابن عربى ، مع أنها لم ترد فى وصاياه التى نُشرت فى طبعة مستقلة بعنوان : الوصايا[٤] .

ووصية الامام الجيلانى فى جملتها ، مجموعة نصائح ذوقية ممتزجة ببعض المأثورات الصوفية ، منها عبارات شهيرة للجنيد والروذبارى ، والصوفى

---

[١] راجع : الفكر الصوفى عند عبدالكريم الجيلى ص ١٦٢ وما بعدها

[٢] السلمى طبقات الصوفية ص ٧٤

[٣] د سهام الفريح الوصايا ومدى تطورها فى العصر العباسى الأول (حوليات كلية الآداب ـ الكويت ١٤٠٥) ص ٨

[٤] ابن عربى الوصايا (منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـ بيروت) وتجدر الاشارة إلى أن هذه الوصايا قد أوردها الشيخ الأكبر فى الجزء الرابع من الفتوحات المكية

الكبير الذى طالما أعجب به الامام الجيلانى ، أعنى أبايزيد البسطامى .. وقد تضمنت الوصية أيضا فقرة صوفية شهيرة تقول إن التصوف مبنى على ثمانى خصال (السخاء ـ الرضا ـ الصبر ـ الاشارة ـ الغربة ـ لبس الصوف ـ السياحة ـ الفقر) ثم يُرجع كل خصلة منها إلى نبى من الأنبياء . وقد وردت هذه الفقرة فى كشف المحجوب ، منسوبة لابى القاسم الجنيد ، مع تعليق طويل من الهجويرى يبين فيه نسبة كل خصلة لمن نسبت إليه من الأنبياء ، ووجه اتصاف هذا النبى بها (١) .

★ ★ ★

وأخيرا .. فإن هذه المقالات التى تضمنها الديوان ، هى محض نماذج من مجموع كبير لمقالات ذوقية تركها الإمام ، لم يصل معظمها إلينا . وقد أشار التادفى فى (قلائد الجواهر) إلى أن ابن الجوزى ، كان قد جمع مقالات الإمام فى مجموع كبير بعنوان : درر الجواهر من كلام الشيخ عبدالقادر (٢) .. وهذا المجموع مفقود .

أصول الديوان :

عادة ما يكون للنص المحقق نسخة خطية أصلية ـ أو عدة نسخ ـ لكنه لم يكن هناك مخطوط قائم بذاته ، يتضمن أشعار الإمام الجيلانى ومقالاته ، بالشكل الذى نقدم به هذا الديوان . وإنما جاءت الأشعار والمقالات موزعة بين عدة أصول مخطوطة ومطبوعة ، قد يحتوى الأصل الواحد على نص وحيد منها ، أو على بضعة نصوص .

ونظرا لأهمية قصائد الإمام الجيلانى ومقالاته الذوقية ، باعتبارها وثائق مهمة تعبر عن تصوف القادرية ، فقد جمعنا الأصول التى وردت بها النصوص الشعرية والنثرية للإمام الجيلانى ، حتى يمكن تقديم هذا الديوان ، مشتملا على الشعر والنثر فى مجموع واحد . وقد اقتضى هذا الأمر الرجوع إلى قدر وافر من النسخ المخطوطة ، بالإضافة إلى بعض الأعمال المطبوعة . وقد كانت

---

[١] الهجويرى : كشف المحجوب ص ٢٣٥
[٢] التادفى : قلائد الجواهر ص ٢١

هذه المطبوعات فى معظم الأحيان ، أسوأ حالا ، وأكثر احتفالا بالتصحيف والتحريف من المخطوطات ، وهذا يرجع إلى كونها جميعا ، مطبوعات بدائية ليس من بينها طبعة واحدة محقّقة ! وهكذا جمعت أصول الديوان بين المخطوط والمطبوع معا .

كما اقتضت دقة التحقيق ، عدم إخراج نص - شعرى أو نثرى - إلا إذا كان واردا بعدة أصول ، حتى يمكن المقابلة بينها لاستخراج نص سليم من الأخطاء . وذلك بعد التثبت من صحة نسبة هذا النص للإمام الجيلانى عن طريق النقد الداخلى .

وصف نسخ التحقيق :

تتضمن السطور التالية وصفا للنسخ المخطوطة والمطبوعة التى تم منها استخراج نصوص الديوان . مع ملاحظة أن وضع المخطوطات على الميكروفيلم ، ببعض المكتبات ، يحول دون تقديم الوصف الكامل للمخطوط [١] .

[أولا] المخطوطات :

- نسخة (ت)

وهى مخطوطة المكتبة (التيمورية) بدار الكتب المصرية ، المحفوظة تحت رقم ٢٩٤/ شعر ، بعنوان : نبذة من شعر سيدى عبدالقادر الكيلانى .. وتقع المخطوطة فى ٣٨ ورقة - الورقة صفحتان من القطع المتوسط - كتبت فيها الأشعار داخل إطار رسمه الناسخ بعناية ، بحيث احتوت كل صفحة على ١٨ سطرا شعريا .

وتضم هذه النسخة العديد من القصائد ، منها ما هو صحيح النسبة للإمام الجيلانى ، ومنها ما هو منحول ، بالإضافة إلى بعض قصائد لمريدى الطريقة القادرية وغيرهم من أهل التصوف ، ويبدو أن الناسخ كان جماعا متعجلا

[١] لا تظهر على النسخة الميكروفيلمية ، الحالة الحقيقية للمخطوط من حيث نوع الورق وسمكه وحالته ، كما أن عيوب التصوير تزيد فى حالة المخطوط سوءا على سوء .

ناسخا لكل ما يجده من أشعار ـ دون تحرى الدقة ـ حتى أنه اعترف بذلك فى الطرة الأخيرة حيث يقول (كتبت على طريق الاستعجال ، ثالث يوم عيد الفطر المبارك) وفى الهامش (كتبت فى ثمانية أيام والله أعلم) وبهذا تنتهى النسخة .

ولم يذكر الناسخ سنة النسخ ، إلا ان حالة المخطوطة تنبىء بأنها من القرن العاشر الهجرى أو بعده بقليل .

ـ نسخة (ط)

وهى نسخة ضمن المجموعة الخطية المحفوظة بمكتبة (طلعت) بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٦٥٥/ تصوف . وهى أفضل النسخ الخطية التى استخرجنا منها قصائد الديوان ، من حيث دقة النسخ وجمال الخط وصحة الكلمات .

وتشتمل المجموعة ـ من ورقة ١٢٢ أ : ورقة ٤٤ ب ـ على أربع قصائد للإمام الجيلانى ، هى : القصيدة الشريفة ـ الأسماء الحسنى ـ الخمرية .. أما الرابعة ، فهى قصيدة غير معروفة انفردت بها هذه النسخة ، يقول مطلعها :

يَـا مَنْ تُحَلُّ بِـذِكْـرِهِ عُقَـدُ النَّـوائِبِ وَالشَّـدَائِـد
يَـا مَنْ إلَيـهِ الْمُشْتَكَـى وَإلَيـهِ أَمْـرُ الْخَلْقِ عَـائِـد

ويبدو ناسخ المخطوطة عارفا باللغتين العربية والتركية ، فقد ظهر ذلك من مقدمته التركية للقصيدة الخمرية ، ومن تعليقاته التركية فى هوامش الصفحات . وتفيد هذه التعليقات الهامشية بأنه راجع نسخته على نسخ أخرى أقدم عهدا .

والمخطوطة بدون تاريخ .

ـ نسخة (د)

وهى مخطوطة المكتبة التيمورية رقم ٧٤٥/ شعر ، بعنوان (ديوان عبدالقادر الجيلانى) وهو الديوان الذى سبقت الاشارة إلى أنه لأحد ذرية الإمام الجيلانى ! وقد اعتمدنا عليه ، نظرا لاحتوائه على بعض قصائد الإمام الجيلانى ، فى تخميس وتشطير قام به الشاعر صاحب الديوان

وعلى الورقة الاخيرة من المخطوطة ، كتب الشاعر انه بدأ فى إنشاء الديوان سنة ١١٣٦ ، وأنه انتهى منه ـ ومن نسخه ـ سنة ١١٤٢ هجرية

ـ نسخة (هـ)

مخطوطة (الأزهر) المحفوظة تحت رقم ٧٧٢/٨ خصوصية ، سقا .. وهى نسخة عتيقة ، سيئة الحالة ، إلا أنها مقروءة فى معظم المواضع . وتقع المخطوطة فى ٣٠ ورقة ، مكتوبة بخط مغربى ، مسطرتها غير منتظمة ، ويبدو من إشارات الناسخ فى هوامش المخطوطة ، انه قابل نسخته على نسخ اخرى .

وتحتوى المخطوطة على القصائد (الخمرية ـ الوسيلة ـ الشريفة) مع قصيدة عينية للصوفى المتأخر : عبدالرحمن بن عمر ، المعروف ببيركلى .

وعلى ورقات النسخة أختام أوقاف محمد عبدالعظيم السقا ، وختم (الكتبخانة الازهرية)

مؤرخ بسنة ١٣١٥ هجرية . وعليها أيضا تواريخ إيداع مؤرخة بسنوات ١٢٠٠/ ١٢٢٥ هـ ، مما يعنى أن المخطوطة أقدم من ذلك عهدا .. إلا أنها بدون تاريخ .

ـ نسخة (ر) .

وهى مخطوطة (خلاصة المفاخر) لليافعى ، المحفوظة برواق المغاربة ـ بالأزهر ـ تحت رقم ١٢٠١ ، وهى نسخة دقيقة ، كُتبت بخط عادى على ورق رقيق داكن اللون ، وتعتبر هذه النسخة واحدة من أصول الديوان ، لما جمعه اليافعى فيها من أشعار ومقالات خاصة بالامام الجيلانى[١] .

وتقع المخطوطة فى ١٢٧ ورقة ، جاء على الورقة الأخيرة منها : كتبت ضحوة يوم الأربعاء المبارك ، لعله رابع وعشرين من ذى الحجة الحرام ، سنة ثمانية وألف ، بمكة المشرفة ، بخط عبدالله الفقير !

---

[١] فى تراثنا العربى أمثلة عديدة لاحتواء مؤلف على مؤلف أخر . فبالاضافة الى ما احتوته خلاصة المفاخر وقلائد الجواهر وبهجة الأسرار من نصوص خاصة بالامام الجيلانى .. احتوى شرح عبدالغنى النابلسى لديوان ابن الفارض وللنادرات العينية على نص جيد لكليهما . انظر المزيد من هذه الأمثلة فى : تحقيق النصوص ونشرها لعبدالسلام هارون (مطبعة الخانجى ـ القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٣١ .

نسخة (ز) .

مخطوطة الأزهر ضمن المجموعة رقم ٧٤١ خصوصية /حليم ، وتشتمل على عدة مؤلفات لابن عربى ، وقد اعتمدنا على هذه النسخة فى إخراج النص المحقق لمقالة الإمام الجيلانى التى بعنوان: الوصية .

وقد وردت الوصية بهذه النسخة منسوبة لابن عربى على النحو التالى : هذا كتاب وصية الغوث الفرد الجامع الربانى .. الشيخ محيى الدين بن عربى قدس الله سره العزيز ، وقد سئل بعض أولاده الوصية ! هذا على الرغم من اشتهار نسبة الوصية للإمام الجيلانى وورودها بنسخ أخرى تؤكد نسبتها إليه .

وفى الطُرَةِ الأخيرة : تمت فى أواسط رمضان المبارك سنة ١٠٣٤ .

ـ نسخة (ك) .

مخطوطة (الاسكوريال) بأسبانيا ، المحفوظة تحت رقم (٤١٧/ ٢) وتضم مقالة الغوثية مع مجموعة رسائل صوفية منسوبة لابن عربى .

وعلى الورقة الأولى من المخطوطة (مشترى من الحجازى فى الكتبية) ثم بيانات بالأسبانية ، ويوجد بأسفل الورقة رقم حفظ المخطوطة بمكتبة الاسكوريال .. وتقع الغوثية فى خمس صفحات ، من الورقة ١١ ب : ورقة ١٦ أ ، وأعلى كل صفحة ، يوجد ترقيم مغربى .

والمقالة بخط معتاد ، كُتبت بقلم سميك أسود ، وتاريخ النسخ هو سنة ٩٩٩ هجرية .

ـ نسخة (ل) .

وهى نسخة الغوثية المحفوظة بمكتبة (بلدية الاسكندرية) ضمن المجموعة رقم ٣٠٢٥ ج /تصوف ، وتشتمل المجموعة على : جمع الأسرار فى منع الأشرار عن الطعن فى الصوفية الأخيار ، للنابلسى ـ حكم الشيخ محيى الدين بن عربى[١] ـ رسالة الشيخ البليسانى فى التصوف ـ رسالة الشيخ ابراهيم الحلبى الأزهرى فى التصوف ـ الرسالة الغوثية للشيخ عبدالقادر الجيلانى .

---

[١] هى رسالة ابن عربى المعروفة بعنوان (الحكم الحاتمية) وتسمى ايضا (الكلمات الحكمية والمصطلحات الجارية على ألسنة الصوفية) وهى إحدى المؤلفات الصغرى المنسوبة لابن عربى ، توجد لها نسخ خطية وفيرة ، وبعض الطبعات .

والمجموعة كتبها ناسخ واحد بقلم معتاد ، مسطرتها مختلفة ، وكلماتها واضحة تماما ، نظرا لجودة الورق وحداثة النسخ (كتبت سنة ١٣٠١ هجرية ، بقلم الفقير محمد وفا .. الطيبى) .

ـ نسخة (ى) ..

مخطوطة (بلدية الاسكندرية) رقم ٣٧٤٧ ج / تصوف ، وهى مجموعة تشمل عدة رسائل صوفية بينها الرسالة الغوثية ، وجاء فى فهرس المكتبة : اسم الناسخ ، لم يُعرف .. ولعله الشيخ محيى الدين بن عربى ، المتوفى ٦٣٨ هجرية .

وتقع الغوثية فى ثلاث ورقات ، مسطرتها متفاوتة ، وعلى هامش الصفحة الأولى ـ من أعلى ـ رباعيات صوفية ، بالفارسية . وفى آخر المقالة كتب الناسخ : تمت الغوثية .. فى مقام الأربعين بزاوية النوربخشية[١] ، فى شهر رمضان سنة ١٠٥٧ هجرية[٢] .

ـ نسخة (أ) . .

نص القصيدة الخمرية بمكتبة الحضرة القادرية (بغداد) وهى نسخة صغيرة الحجم ، تقع فى ثمانى صفحات ـ مقاس ١٦ × ١١سم ـ كتبت فيها أبيات القصيدة داخل إطار مزخرف ، وبعد كل بيت شعرى ترجمة فارسية له .

والقصيدة مكتوبة بخط نسخى جميل ، مشكولة الحروف .. وفى نهايتها بيت للترجيع ، مع ترجمة فارسية (أنظر الصورة فيما يلى) .

[ثانيا] المطبوعات :

هناك بعض المطبوعات الخاصة بتراث القادرية ، اشتملت على بعض قصائد ومقالات الإمام الجيلانى ، ولذا فقد كانت هذه المطبوعات ضمن الأصول التى

---

[١] النوربخشية : فرقة صوفية بالعراق ، يختلف الباحثون حول أصلها ! فيذهب الدكتور / كامل الشيبى الى ان شيخها هو محمد نور بخش المتوفى ٨٦٩ هجرية ، على حين يؤكد الدكتور / ابو ريان ان هذه الفرقة قامت على دعامات الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى المتوفى ٥٨٦ (انظر : الفكر الصوفى عند عبدالكريم الجيلى ، ص ٣٥) .

[٢] حصلنا على النسخة المصورة لهذه المخطوطة ، من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

استخرج منها الديوان ، وهى على التحديد سبع مطبوعات ، نشير إليها فيما يلى :

ـ **نسخة (ب)** .

وهى الطبعة العتيقة التى أخرجتها مكتبة البابى الحلبى بمصر لكتاب (بهجة الأسرار) للشيخ نور الدين الشطنوفى[1] .

وجاء على الصفحة الأخيرة من هذه النسخة التى تقع فى ٢٣٨ صفحة ، ما يلى : تم طبع كتاب بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ، مطرزا هامشه بكتاب فتوح الغيب ، وبعقيدة الأستاذ ، بمطبعة شركة التمدن بمصر المحروسة ، على نفقة شركة دار الكتب العربية ، فى صفر الخير سنة ١٣٣٠ من الهجرة .

وعلى الرغم من وجود عدة مخطوطات للبهجة موزعة هنا وهناك ، إلا أننا آثرنا الاعتماد على هذه الطبعة التى ـ مع ورود العديد من الأخطاء المطبعية بها ـ أحسن حالا من النسخ الخطية للكتاب .

ـ **نسخة (و)** .

هى طبعة نادرة من كتاب (قلائد الجواهر) للتادفى[2] .. كانت المطبعة العثمانية قد أخرجتها منذ ما يزيد على قرن من الزمان ـ أوائل رمضان من عام ألف وثلثمائة وثلاثة ـ ولم يطبع هذا الكتاب مرة أخرى ، فيما نعلم !

وَ كُلٌّ من قلائد الجواهر وبهجة الأسرار ، ترجمة وافية للإمام عبد القادر وذكر لمناقبه وآثاره ، وكلاهما حافل بحديث الكرامات ، إلا أن (القلائد) تفردت بكلام مطول عن ذرية الامام ومواقعهم فى مدن الاسلام ، وما آل إليه أمرهم فى

---

[١] هو الشيخ نور الدين أبو الحسن على بن يوسف بن جرير بن فضل اللخمى الشطنوفى الشافعى ، ولد بالقاهرة سنة ٦٤٤ ، وتوفى بها فى ذى الحجة سنة ٧١٣ .. أنظر المزيد من ترجمته فى : الدرر الكامنة ، لابن حجر العسقلانى ٣/١٤١ ـ معجم المؤلفين ، لعمر كحالة ٧/٢٦٤ ـ كشف الظنون ص ٢٥٦ ـ هدية العارفين ١/٧١٦ ـ 147 Brockelmann .

[٢] هو جلال الدين ابو البركات محمد بن يحيى بن يوسف الربعى التادفى الحلبى الحنبلى ، ولد بحلب سنة ٨٩٩ وتوفى بها سنة ٩٦٣ .. تولى القضاء بحلب والقاهرة ورشيد والمنزلة وحوران ـ بدمشق ـ وله بعض الآثار . أنظر ترجمته فى : معجم المؤلفين ، لعمر كحالة ١٢/١١٣ ـ شذرات الذهب ، لابن العماد ٨/٣٣٩ ـ كشف الظنون ١٣٥٣ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ـ الأعلام ٨/١١ ـ Brockelmann 463 .

زمن التادفى .. وربما يرجع ذلك ـ فى المقام الأول ـ الى ارتباط مؤلف القلائد مع الذرية الجيلانية فى الشام ، بصلة المصاهرة .

ـ نسخة (س) .

هذه النسخة عبارة عن مجموعة أشعار وصلوات قادرية ، بعنوان (السفينة القادرية) كانت قد طبعت على الحجر بالمطبعة الرسمية بتونس فى بداية القرن الماضى . وفى آخر هذه السفينة القادرية كتب : نجز بعون الله هذا المجموع .. على غاية ما أمكن مصححه من التصحيح والتحرير ، لما فيه من التحريف الخطير ، حيث أن غالبه كتب على نسخة واحدة فقط ، فلا عجب أن عُثر فيه على بعض تحريف وسقط .. بالمطبعة التونسية فى يوم الاثنين عشرين من ربيع الأول من عام خمسة وثلاثمائة وألف .

وبالاضافة إلى بعض قصائد الإمام الجيلانى ، احتوى المجموع على قدر كبير من أشعار شيوخ القادرية ، كالشيخ محمد الإمام المنزلى [١] ، والشيخ محمد المنلا [٢] .. وغيرهما . كما تضمن الكتاب شروحا عديدة لصلوات القادرية وفوائدها ، بجانب شرح للسيد محمد الأمين الكيلانى [٣] على حزب الوسيلة المنسوبة للإمام عبدالقادر .

ـ نسخة (ف)

وهى مجموع آخر ، بعنوان (الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية) يختلف عن المجموع السابق فى أمر وحيد ، هو أن مؤلفه معروف ومصرح باسمه فى أول الكتاب : العبد الفقير .. الحاج اسماعيل القادرى [٤] .

---

[١] هو أحد مشايخ القادرية المتأخرين ، ينسب الى (المنزلة) بشمال مصر . وليس له غير الأشعار الواردة بالسفينة القادرية مؤلفات معروفة ، ولم نجد له إشارة مفردة بالمراجع .

[٢] هو شمس الدين محمد بن أحمد بن محمد الحصفكى الحلبى ، المعروف بالمنلا ، ولد بحلب سنة ٩٦٧ وتوفى بها سنة ١٠١٠ هجرية ، له بعض الآثار فى التاريخ والأدب : أنظر ترجمته فى : خلاصة الأثر ، للمحبى ٣٤٨/٣ ـ هدية العارفين ٢٦٥/٢ ـ الاعلام ٢٣٦/٦ ـ معجم المؤلفين ١٥/٩ ـ Brockelmann 407 .

[٣] هو الشيخ محمد الأمين بن أحمد الكيلانى التونسى ، توفى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى ، وضع بعض المصنفات فى ترجمة الشيخ عبدالقادر وأخباره . أنظر : إيضاح المكنون ، للبغدادى ٦٠٠/١ ـ معجم المؤلفين ٦٩/٩ .

[٤] هو اسماعيل بن محمد بن سعيد القادرى الكيلانى ، أحد مشايخ القادرية بمصر فى النصف الأول من القرن الثالث عشر ، انظر : معجم المطبوعات ، لسركيس ص ١٥٨١ ـ معجم المؤلفين ٢٩١/٢

وتشتمل الفيوضات الربانية على نصوص شعرية ونثرية للامام الجيلانى ، مع صلوات وأدعية وأوراد وأحزاب قادرية .. جمعها اسماعيل القادرى ، وطبعت بالقاهرة سنة ١٢٨٣ هـ ، وتلاشت هذه الطبعة مع الأيام ! والنسخة التى اعتمدنا عليها هى طبعة المشهد الحسينى بالقاهرة ـ بدون تاريخ .

والغوثية هى أول مشتملات المجموع .

ـ نسخة (ح) .

هى طبعة عتيقة من كتاب (الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين) لظهرالدين القادرى ، اشتملت على ملحق بأبيات للإمام الجيلانى ، بالاضافة الى تخميسات قادرية[١] . وعلى الصفحة الأخيرة من هذه النسخة ، كتب : تم طبعه وحسن وضعه مصححا بقدر الامكانْ فى أوائل صفر من عام ست بعد الثلثمائة والألف .

ـ نسخة (غ) .

الطبعة الثانية من كتاب (فتوح الغيب) الذى يجمع طرفا من خطب الإمام الجيلانى وكلامه لمريديه ، قامت بإخراجها مكتبة البابى الحلبى بمصر .. وبهذه النسخة ملحق ، يحتوى على عدة قصائد وأخبار ووصايا للإمام الجيلانى ، بالإضافة الى مئات الأبيات من « النادرات العينية » منسوبة للإمام عبدالقادر .

وكان الكتاب قد طبع منذ عشرات السنين بالقاهرة ، ثم نفدت نسخه ، فقامت نفس المكتبة باخراج طبعة ثانية له ـ هى التى اعتمدنا عليها فى التحقيق ـ نظراً لاختفاء طبعته الأولى .

ـ نسخة (ن) .

وهى طبعة (ديوان الحقائق ومجموع الرقائق) للنابلسى[٢] ، التى أخرجتها

---

[١] جاءت إلينا هذه النسخة ، مع رسالة من السيد أمين مكتبة الحضرة القادرية ببغداد ، أفاد فيها بأنه لا يوجد للامام الجيلانى مجموعة شعرية بمكتبة الحضرة القادرية .

[٢] هو الشيخ عبدالغنى بن اسماعيل بن عبدالغنى النابلسى الحنفى الدمشقى النقشبندى القادرى ، ولد بدمشق سنة ١٠٥٠ وتوفى ١١٤٣ هجرية . يعد أكبر شخصية صوفية فى القرن الحادى عشر الهجرى ، وقد حفلت كتب مؤرخى هذا القرن ـ كالمحبى والمرادى والغزى ـ بترجماته . أما أشمل ما كتب عنه ، فهو البحث الجيد الذى وضعه عبدالقادر أحمد عطا بعنوان : التصوف الاسلامى بين الأصالة والاقتباس فى عصر النابلسى (نشرته دار الجيل ـ بيروت) .

مطابع بولاق الرائدة بمصر ، سنة ١٢٧٠ هجرية . وهذا الديوان يقع فى مجلدين يحويان شعر ومواليا عبدالغنى النابلسى ، بالاضافة إلى بعض التخميسات التى وضعها النابلسى على قصائد السابقين عليه .. وقد أخذنا منها التخميسات الخاصة بشعر الجيلانى ، لما هو معروف عن النابلسى ، من تحرى الدقة فى نقل آثار السابقين . وهو الأمر الذى جعل لشروحه لمؤلفات الصوفية ، وتخميساته لأشعارهم ، قيمة كبرى لما تحتويه من نصوص جيدة [١] .

★ ★ ★

تلك كانت الأصول ـ المخطوطة والمطبوعة ـ التى استخرجنا منها هذا النص المحقق لديوان عبدالقادر الجيلانى[٢] .

المقابلة بين النسخ :

المقابلة واحدة من أهم الخطوات الواجب اتباعها فى إخراج نص محقق ، وتختلف طرق المقابلة باختلاف قيمة الأصول الخطية للنص . ولما كانت جميع أصول ديوان الجيلانى متأخرة نسبيا عن عصر المؤلف ، وليس من بينها نسخة واحدة بخطه أو بخط ناسخ من عصره ، فقد اعتبرنا هذه الأصول على درجة واحدة من الأهمية ، فتمت المقابلة بينها جميعا ، والغاية فى النهاية هى استخراج نص سليم من الأخطاء ، مع وضع الاختلافات بين النسخ فى هامش التحقيق .

وقد جرت المقابلة ، بمراعاة خصائص الأسلوب الشعرى والنثرى الخاص بالإمام الجيلانى ، ومراعاة مصطلحاته ومراميه ، وفهم مراده ، حتى يساعد ذلك على اختيار الكلمة الصحيحة إذا ما اختلفت الأصول فيما بينها .

---

[١] للنابلسى قائمة طويلة من الشروح التى وضعها على امهات كتب التصوف ، لايزال معظمها مخطوطا تزخر به المكتبة الظاهرية بدمشق ، ومكتبات دار الكتب المصرية ، وغيرها .

[٢] هناك بعض المخطوطات التى يمكن اعتبارها أصولا جيدة لديوان الجيلانى ، موزعة بين مكتبات المتحف العراقى والمكتبة الوطنية بباريس والمكتب الهندى بلندن ومكتبات تركيا العريقة .. وقد اكتفينا بما سبق الاشارة اليه ، نظرا لصعوبة الحصول على هذه الاصول ، ولان ما اعتمدنا عليه كان كافيا لاستخراج النص المحقق للديوان .

الاضافات :

هناك إضافتان أساسيتان يتم إلحاقهما بكل نص محقق على أسس علمية ، وهما الهوامش والفهارس .

(أ) الهوامش :

تتضمن هوامش تحقيق هذا الديوان : اختلافات النسخ التى تم استبعادها من متن النص - تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية - شرح المفردات اللغوية - معانى الألفاظ والمصطلحات الصوفية الواردة فى المتن - التعليق على بعض الموضوعات المشار اليها فى النصوص الشعرية والنثرية .

(ب) الفهارس :

هناك أنواع متعددة لفهارس التحقيق ، يضع المحقق منها ما يناسب موضوع النص المحقق . وقد ألحقنا بالديوان ثلاثة فهارس : فهرس الآيات القرآنية - فهرس الأحاديث النبوية - فهرس المصطلحات الصوفية .. ولم يكن هناك داع لعمل المزيد من الفهارس للديوان .

النماذج :

على الصفحات التالية ، نماذج للأصول الخطية التى اعتمدنا عليها فى التحقيق .. مع ملاحظة أن بعض المخطوطات تم نسخها باليد - نظرا لعدم السماح بتصويرها فى بعض المكتبات العتيقة الموظفين - وبالتالى لا توجد لها هنا نماذج ! وقد أردفنا بالنماذج ثبتا بالرموز المستخدمة فى هوامش التحقيق .



بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل
الحمد لله ولي النعم والسلام على نبي الرحمة اما بعد فهذه
الرسالة الغوثية هي مخاطبة الغوث نفسه بنفسه
قال الغوث الاعظم المستوحد عن غير اجمه (?) المستانس بالله كل طور
بين الناسوت والملكوت فهو شريعة وكل طور بين الملكوت
والجبروت فهو طريقة وكل طور بين الجبروت واللاهوت
فهو حقيقة قال لي يا غوث قلت لبيك يا رب الغوث قال ما ظهرت
في شي كظهوري في الانسان قلت يا رب هل لك مكان قال انا
المكان وليس لي مكان سوى الانسان قلت يا رب هل لك اكل
وشرب قال اكل الفقير وشربه هو اكلي وشربي سالته من اي شي
خلقت الملايكة قال خلقت الملايكة من نور الانسان وخلقت
الانسان من نور ظهوري يا غوث جعلت الانسان مطيتي و
جعلت ساير الاكوان له يا غوث نعم المطلوب انا ونعم الطالب
الانسان ونعم الراكب الانسان ونعم المركوب له ساير

جميع الاكوان

الحيوان يا غوث الانسان سري وانا سره ولو عرف الانسان
منزلته عندي لقال في كل نفس من الانفاس لمن الملك اليوم الي (?)
يا غوث ما اكل الانسان وما شرب وما قام وما قعد وما نطق

وقا هرت (?) وما فعل فعلا

نسخة (ك)
مخطوطة الاسكوريال رقم ٢/٤١٧
الورقة الأولى أ

وما صمت وما فعل فعلا وما توجه لشيء وما غاب عن شيء الا
وانا فيه ساكنا محركه ومسكنه يا غوث جسم الانسان وقلبه
وروحه ونفسه وسمعه وبصره ويده ورجله كل ذلك هو آلة
بنفسي لنفسي لا هو الا انا ولا انا غيره يا غوث اذا رأيت
المحترق بنار الفقر والمنكسر بكثرة الفاقة والعيال فتقرب اليه فلا
حجاب بيني وبينه يا غوث من قصر عن سفره في الباطن ابتلي
بسفر الظاهر ثم لم يزده مني الا بعدا في السفر الظاهر يا غوث
حال لا يعبر عنه بالمقال فمن آمن بي قبل وجود الحال فقد
كفر ومن اراد العيان بعد الوصول فقد اشرك بالله العظيم
يا غوث جعلت الفقر والفاقة مطيتان للانسان فمن ركبهما
فقد امن ان تقطع المفاوز والبوادي قال عليه الصلاة
والسلام كفى بالتوحيد عبادة وعبادة لهما رؤية الله
في كل شيء يا غوث السعيد سعادة الازل فطوبى له لم يكن
محزونا بعد ذلك قط ومن شقي بشقاوة الازل فويل له لم
يكن مقبولا بعد ذلك قط يا غوث لو علم الانسان ما كان
بعد الموت ما تمنى الحياة ابدا في الدنيا ويقول في كل لحظة امتني
امتني يا غوث عجز الخلق عند الله الصم البكم العمي المتحير

نسخة (ك)
الورقة الأولى ب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

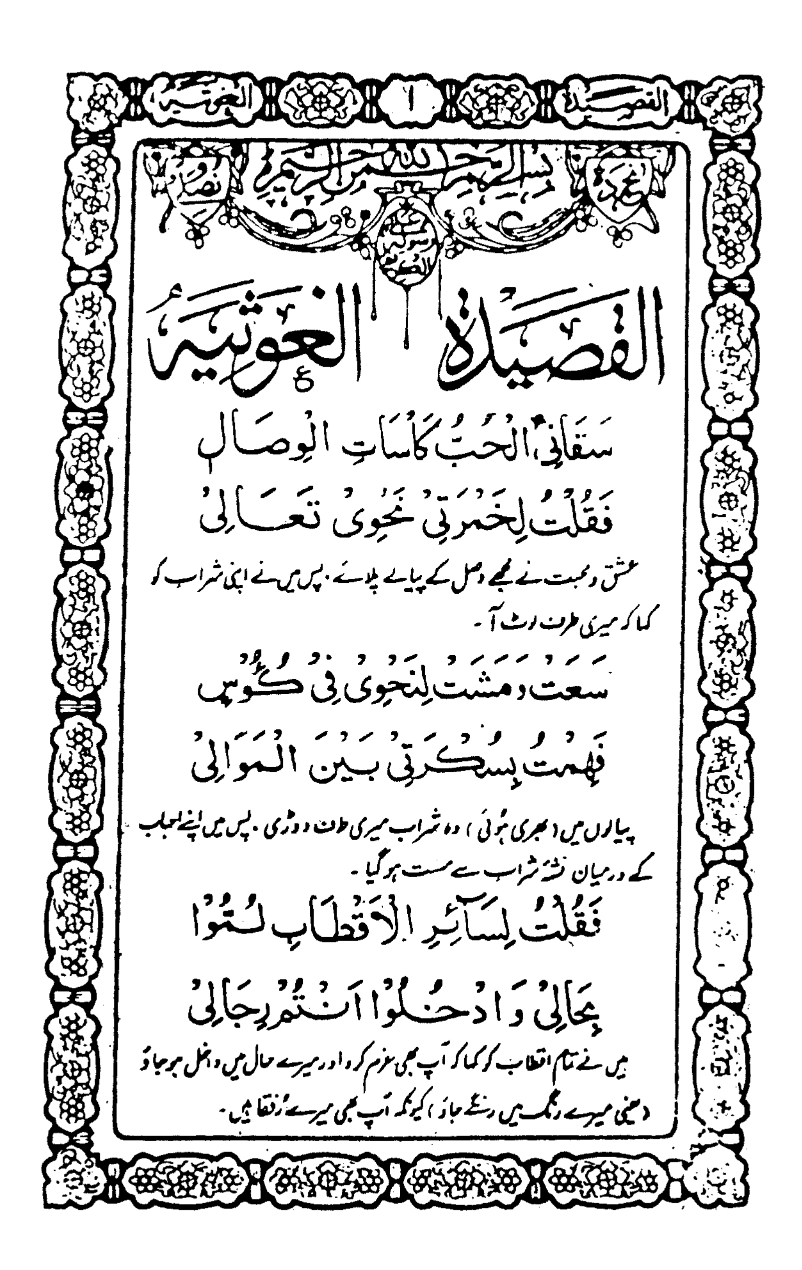
اما بعد قال الغوث الاعظم المستوحش من غير الله المستأنس بالله قال لي
يا غوث الاعظم قلت لبيك يا رب قال كل طور بين الناسوت والملكوت فهو
شريعة وكل طور بين الملكوت والجبروت فهو طريقة وكل طور بين
الجبروت واللاهوت فهو حقيقة قال يا غوث الاعظم ما ظهرت
في شيء كظهوري في الانسان فقال ثم سالت ربي هل لك مكان قال يا غوث
الاعظم انا مكان المكان وليس لي مكان سوى سر الانسان ثم سالت يا رب
هل لك اكل وشرب قال اكل الفقير وشربه اكلي وشربي ثم سالت يا رب من اي
شيء خلقت الملائكة قال خلقتهم من نور الانسان وخلقت الانسان من نوري
يا غوث الاعظم خلقت الانسان مطيتي وجعلت ساير الاكوان مطية له
يا غوث الاعظم نعم الطالب انا ونعم المطلوب ونعم الانسان ونعم المركوب له
ساير الاكوان يا غوث الاعظم الانسان سري وانا سره ولو عرفوا منزلته
عندي لقالوا في كل نفس لا ما الملك اليوم الا لي يا غوث الاعظم ما اكل الانسان وما شرب
وما قام وما قعد وما نطق وما صمت وما فعل فعلا وما توجه لشيء وما غاب عن
الا وانا فيه ساكنه ومحركه ومسكنه يا غوث الاعظم جسم الانسان ونفسه

وقل

نسخة (ى)
مخطوطة الاسكندرية رقم ٣٧٤٧ ج/تصوف
الورقة الأولى

فليس له الحزن بموت الوالد ولو مات له الولد فليس له هم بموت الولد فاذا
بلغ هذه المرتبة والمنزلة فهو عندى بلا والد ولا ولد ولم يكن له كفوا احد
ياغوث المجاهدة بحر المشاهدة واختاره الموافقون فمن اراد الدخول فى بحر
المشاهدة فعليه باختيار المجاهدة لان المجاهدة بحر من المشاهدة من اختارنى
فله مشاهدتى شاء او ابى ياغوث من حرم المجاهدة فلا سبيل له الى المشاهدة
ياغوث ان اردت ان تنظر الىّ فى كل محل فاختر قلبا حزينا حتى بى الىّ
فارغا عن سواى قلت رب وما علم العلم قال ياغوث علم العلم هو الجهل عن العلم
ياغوث هنيئا العبد مال قلبه الى المجاهدة وويل لعبد مال قلبه الى الشهوات
ثم سالت عن المعراج قال ياغوث هو العروج من كل شئ وكمال المعراج
مازاغ البصر وما طغى ياغوث لا صلاة لمن لا معراج له ياغوث
المحروم من الصلاة هو المحروم من المعراج عندى تمت الغوثية
١٠٥٦
والحمد لله وحده وصلى الله على النبى بعده وآله [illegible] الاربعين [illegible] النوربخشية فى شهر رمضان

نسخة (ى)
الورقة الاخيرة



١

القصيدة الغوثية

القصيدة الغوثية

بسم الله الرحمن الرحيم

سَقَانِي الحُبُّ كَاسَاتِ الوِصَالِ
فَقُلْتُ لِخَمْرَتِي نَحْوِي تَعَالِي

عشق و محبت نے مجھے وصل کے پیالے پلائے۔ پس میں نے اپنی شراب کو کہا کہ میری طرف لوٹ آ۔

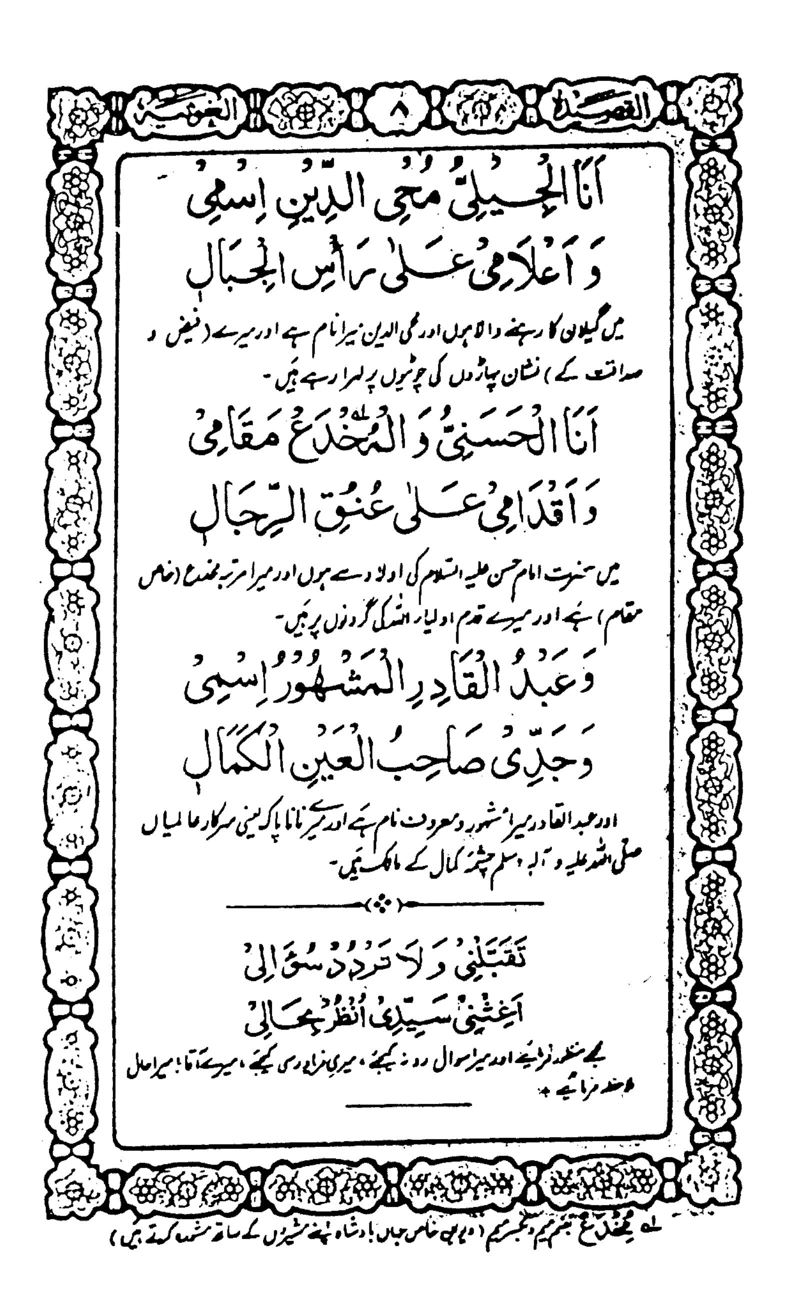
سَعَتْ وَمَشَتْ لِنَحْوِي فِي كُؤُوسٍ
فَهِمْتُ بِسُكْرَتِي بَيْنَ المَوَالِي

پیالوں میں (بھری ہوئی) وہ شراب میری طرف دوڑی۔ پس میں اپنے احباب کے درمیان نشۂ شراب سے مست ہو گیا۔

فَقُلْتُ لِسَائِرِ الأَقْطَابِ لُمُّوا
بِحَالِي وَادْخُلُوا أَنْتُمْ رِجَالِي

میں نے تمام اقطاب کو کہا کہ آپ بھی عزم کرو اور میرے حال میں داخل ہو جاؤ (یعنی میرے رنگ میں رنگے جاؤ) کیونکہ آپ بھی میرے رفقا ہیں۔

نسخة (أ)
مخطوطة مكتبة الحضرة القادرية - بغداد
الورقة الأولى



القصيدة ٨ الغوثية

أَنَا الْجِيلِيُّ مُحْيِ الدِّيْنِ اِسْمِيْ
وَ اَعْلَامِيْ عَلٰى رَأْسِ الْجِبَالِ

میں گیلان کا رہنے والا ہوں اور محی الدین میرا نام ہے اور میرے (فیض و صداقت کے) نشان پہاڑوں کی چوٹیوں پر لہرا رہے ہیں۔

أَنَا الْحَسَنِيُّ وَ الْمُخْدَعُ مَقَامِيْ
وَ اَقْدَامِيْ عَلٰى عُنُقِ الرِّجَالِ

میں حضرت امام حسن علیہ السلام کی اولاد سے ہوں اور میرا مرتبہ مخدع (خاص مقام) ہے اور میرے قدم اولیاء اللہ کی گردنوں پر ہیں۔

وَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْمَشْهُوْرُ اِسْمِيْ
وَ جَدِّيْ صَاحِبُ الْعَيْنِ الْكَمَالِ

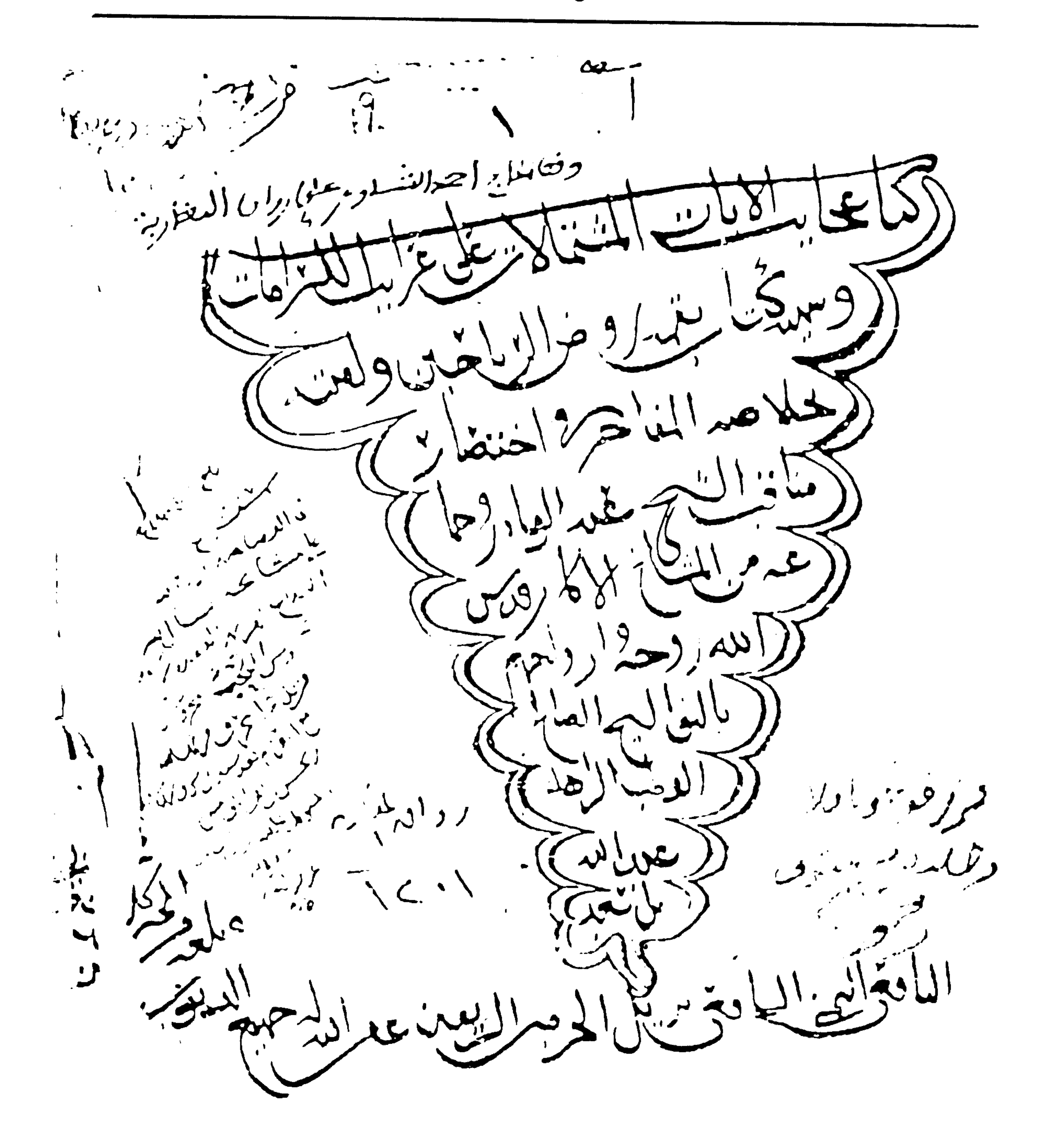
اور عبد القادر میرا مشہور و معروف نام ہے اور میرے نانا پاک یعنی سرکار دو عالم صلی اللہ علیہ و آلہ وسلم چشمۂ کمال کے مالک ہیں۔

تَقَبَّلْنِيْ وَ لَا تَرْدُدْ سُؤَالِيْ
اَغِثْنِيْ سَيِّدِيْ اُنْظُرْ بِحَالِيْ

مجھے منظور فرمائیے اور میرا سوال رد نہ کیجئے، میری فریاد رسی کیجئے، میرے آقا! میرا حال ملاحظہ فرمائیے۔

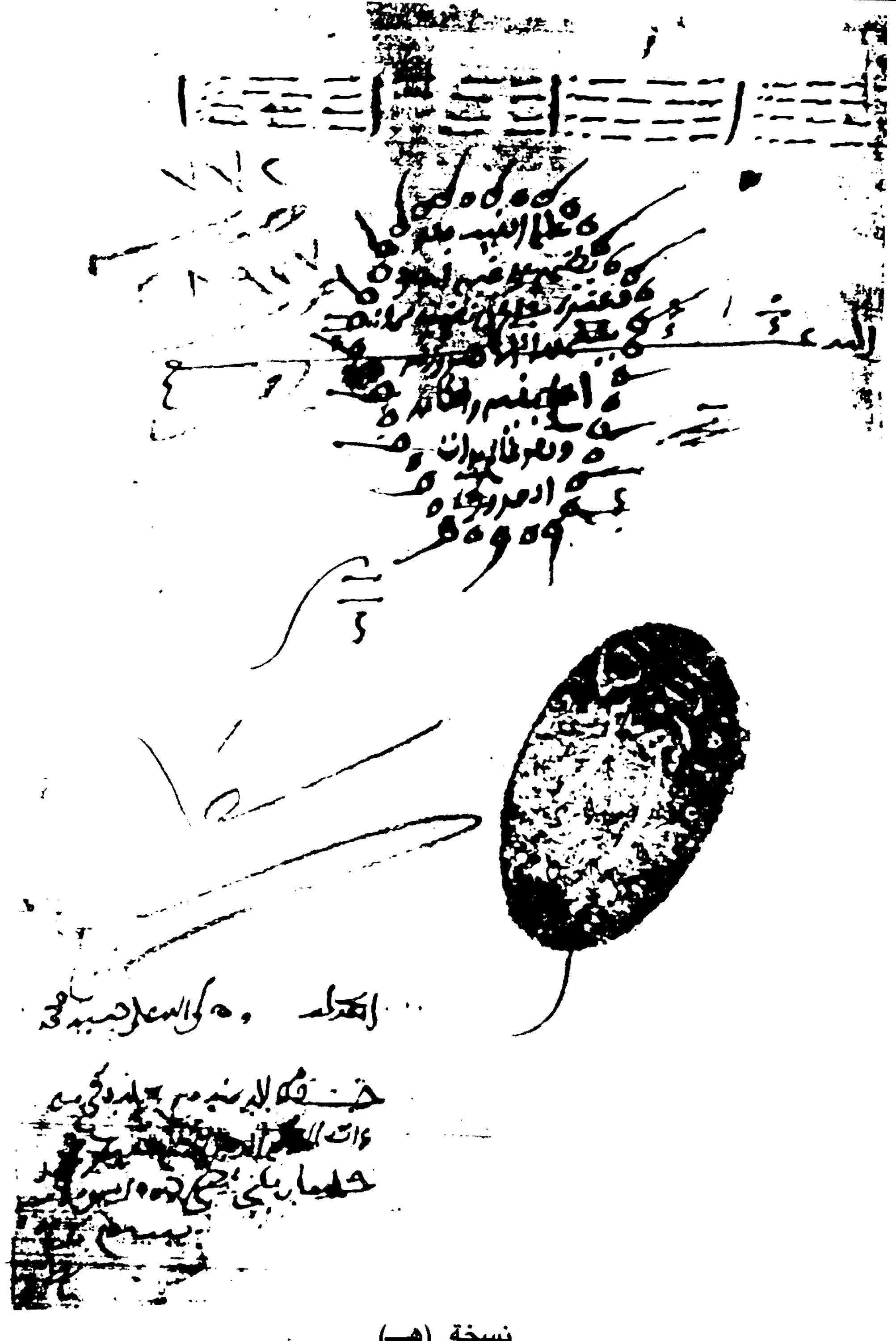
لہ مخدع بفتح میم و بکسر میم (وہ جگہ خاص جہاں بادشاہ بیٹھ کر مشیروں کے ساتھ مشورہ کرتے ہیں)

نسخة (أ)
الورقة الاخيرة



نسخة (ر)
مخطوطة الازهر رقم ١٢٠١/رواق المغاربة
الورقة الأولى

نسخة (ر)
الورقة الاخيرة



نسخة (هـ)
مجموعة الازهر رقم ٧٧٢ خصوصية/سقا
الورقة الاولى من المجموعة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

هذه قصيدة الشيخ

محيي الدين الشيخ

عبد القادر الجيلاني

رضي الله عنه

ولما صفا قلبي وطابت سريرتي • ونادمني صحو بفتح البصيرة

شهدتك بان الله ولي الولاية • سقاني إلهي من كؤوس شرابه

فأسكرني حقا فهمت بسكرتي • وكل ملوك العالمين رعيتي

وجالت خيولي في الأراضي جميعها • ودانت لي الأملاك من كل جهتي

وكانت لي الكاسات في الأرض والسما • وأهل السما والأرض تعلم منزلتي

نسخة (هـ)

مجموعة الازهر رقم ٧٧٢ خصوصية/سقا

نسخة (هـ)
الورقة الاخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عز جلاله فلا تدركه الأفهام، وسما كماله
فلا تحيط به الأوهام، ونشهد أنا نعرف له بأنه الواحد الملك
الحليم العلام، الموصوف بالحياة والعلم والقدرة والسمع
والبصر والكلام، صفات قديمة لا تشبه صفات خلقه
فقد شابه عبدة الأصنام، جل الواحد الصمد، فلا يحيط به
فكر ولا يحده حصر ولا يحويه قطر ولا يجب عليه حق ولا يتوجه
إليه ملام، هو الله الملك القدوس السلام، تعرف إلى خلقه
بصنعته ونصب على معرفته الأعلام، وأوضح الدليل على عموم حكمته
بإرسال الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام، وخص هذه الأمة
بأشرف الرسل والنبيين وجعلنا خير أمة أخرجت للناس آمرين بالمعروف
وعن المنكر ناهين، صيرنا شهداء على الأمم الماضين والشاهد إن لم
يكن عدلا لم يصلح للشهادة [illegible] سبحانه وتعالى على ما أولى من
الإنعام، ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة من قال ربي الله ثم استقام،
ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أزال ظلم الشرك وجلا غياهب الظلام
صلى الله عليه وعلى آله وصحابته البررة الكرام ما انهل قطر [illegible]
غصن وغرد حمام، وبعد فيقول أضعف العباد وأقلهم

العباد

نسخة (د)
مخطوطة دار الكتب رقم ٧٤٥ شعر/ تيمور
(الورقة الأولى)

١٣٥

١١٣٦

ثم قلت بعون الله وتوفيقه فيه تاريخا وجعلته ختام
ديواني بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

ديوان نخل القادري لقد غدا • بهجا بمدح محمد وتعطرا
الغر صلاة كل آن أرخوا • اخصص بها طه نبيا الورى

سنة ١١٤٢

ما قيل في الخليسي

للوماز الشاهج بجريل والرجل والمزاة مع لسحاج • اغنم دحاء ببشائر يا من هو الجود لكنه
وجاء آخاه يطلبه مباه لعالمه تيم بكنزاله • ما القصد شي جديد من فصنا شيء نلعه

نسخة (د)
الورقة الاخيرة

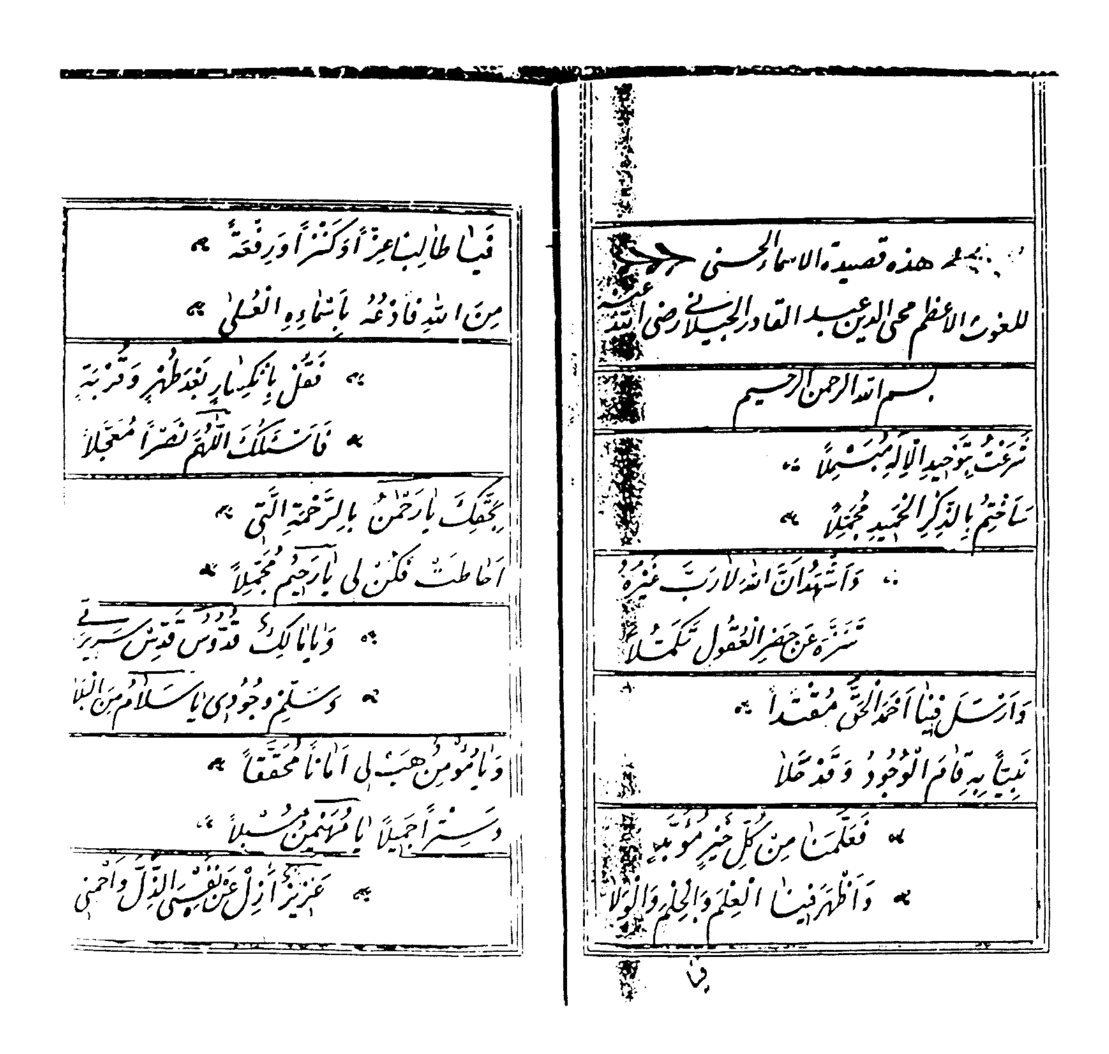
هذه القصيدة ... الأعظم الشيخ السيد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرت بعين الفكر في حان حضرتي
حبيبا تجلى للقلوب فحنت

سقاني بكأس من مدامة حبه
فكان من الساقي خماري وسكرتي

نسخة (ط)
مجموعة دار الكتب رقم ٦٥٥ تصوف/طلعت
(نموذج مصغر)



هذه قصيدة الاسماء الحسنى
للغوث الأعظم محي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم
شرعت بتوحيد الإله مبسملا
سأختم بالذكر الحميد مجملا
وأشهد أن الله لا رب غيره
تنزه عن حصر العقول تكملا
وأرسل فينا أحمد الحق مقتدا
نبيا به قام الوجود وقد حلا
فعلمنا من كل خير مؤدبا
وأظهر فينا العلم والحلم والولا

فيا طالبا عزا أو كنزا أو رفعة
من الله فادعه بأسمائه العلى
فقل يا كبير بعد طهر وقربة
فأسألك اللهم نصرا معجلا
بحقك يا رحمن بالرحمة التي
أحاطت فكن لي يا رحيم مجملا
ويا مالك قدوس قدس سريرتي
وسلم وجودي يا سلام من البلا
ويا مؤمن هب لي أمانا محققا
وسترا جميلا يا مهيمن مسبلا
عزيز أزل عن نفسي الذل واحمني

نسخة (ط)
مجموعة دار الكتب رقم ٦٥٥ تصوف/طلعت
(نموذج مصغر)

من كلام السيد الجليل العارف بالله تعالى الشيخ الامام
سلطان الاولياء وامام الاتقياء القطب الغوث الفرد
الرباني سيدي الشيخ محيي الدين ابو محمد [illegible] عبد
القادر الكيلاني رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

شهدت بان الله والى الولاية ... وفي قدرة التصريف مع كل خطوة

سقاني الهي من لذيذ شرابه ... فاسكرني حقا فهمت بسكرتي

وحكمني جمع الخزائن بما حوت ... وكل ملوك العالمين رعيتي

وجاويش ملكي صاح شرقا ومغربا ... فصرت لاهل الكون غوثا برحمتي

فمن حاننا فادخل ترى الكاس دايرا ... وما شرب العشاق الا بقيتي

نعم نشاتي في الحب من قبل آدم ... وسري في الاكوان من قبل نشاتي

انا كنت في العليا ونور محمد ... بمكنون سر الله قبل النبوة

انا كنت مع نوح بسفرته حزت ... بحار الطوفان على كف قدرتي

انا كنت مع ادريس لما ارتقى العلا ... واسكنه الفردوس احسن جنتي

انا كنت مع ايوب في زمن البلا ... وما برات بلواه الا بدعوتي

انا كنت مع عيسى وفي المهد ناطقا ... واعطي داود حلاوة نغمة

انا كنت في روبا الذبيح فداه ... وما انزل الكبش الا بعوتي

وتماد في الحضرا انشعشع في الهوى ... ويدخل مريدي غدا في حميتي

مريدي تمسك بي وكن بي واثقا ... انا احميك في الدنيا ويوم القيمة

نسخة (ت)
مخطوطة دار الكتب المصرية ، رقم ٢٩٤ شعر/تيمور
الورقة الأولى

يا من يرجى للشدائد كلها ... والكل باب للنوائب يغلق
يا خير من يعطي الشفاعة في غد ... والى الجنان بوفده هو يسبق
يا من اقول انا لها يوم اللقا ... حين الجوارح بالفضائح تنطق
يا من ترد جهنم بذمامها ... لما تفور على العصاة وتشهق
تاتي له في الحشر تاتي كلنا ... ونفوسنا كادت لكرب ترهق
ندعوك يا خير الانام بجمعنا ... ان العذاب من الخلائق يحدق
فيجيبنا ودموعه منهلة ... لا تخشوا يا امتي لا تفرق
اشكوا اليك جرائمي وماثمي ... يا سيدي انت الرحيم المشفق
امنن علي بلطفه يا سيدي ... يهدي بها قلب الكئيب المقلق
وعناية وشفاعة يوم اللقا ... انت الكريم السيد المتصدق
ولوالدي ولاهل ودي كلهم ... ولاخوتي واحبتي كي يعتقوا
ومشائخي وللمنشد ولسامع ... ولكاتبها انهم قد صدقوا
صلى عليك الله جل جلاله ... ما ناح في وادي الاراك مطوق
عد الرمال مع النجوم مع الحصا ... والقطر والموج الذي يترقرق
والال والصحب الكرام وتابع ... ما دام رب العرش يرزق

تمت القصيدة المباركة في ثالث
يوم عيد الفطر على طريق
الاستعجال

لكاتبه عفى عنه
تم والله اعلم

نسخة (ت)
الورقة الاخيرة



ت	مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ٢٩٤ شعر/ تيمور
ط	مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ٦٥٥ تصوف/ طلعت
د	مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ٧٤٥ شعر/ تيمور
هـ	مخطوط الأزهـــر ، رقم ٧٧٢ خصوصية/ سقا
ر	مخطوط الأزهـــر ، رقم ١٢٠١/ رواق المغاربة
ز	مخطوط الأزهـــر ، رقم ٧٤١ خصوصية/ حليم
ل	مخطوط بلدية الاسكندرية ، رقم ٣٠٢٥ج/ تصوف
ى	مخطوط بلدية الاسكندرية ، رقم ٣٦٤٧ج/ تصوف
ك	مخطوط مكتبة الاسكوريال ، رقم ٤١٧/ ٢
أ	مخطوط المكتبة القادرية ـ بغداد ، بدون ترقيم
ب	بهجة الأسرار ، طبعة دار الكتب ١٣٣٠ هجرية
و	قلائد الجواهر ، المطبعة العثمانية ١٣٠٣ هجرية
س	السفينة القادرية ، طبعة تونس ١٣٠٥ هجرية
غ	فتوح الغيب ، طبعة الحلبى ١٣٩٢ هجرية
ح	الفتح المبين ، طبعة القاهرة ١٣٠٦ هجرية
ن	ديوان الحقائق ، طبعة بولاق ١٢٧٠ هجرية
ف	الفيوضات الربانية ، طبعة القاهرة ـ بدون تاريخ
+	زيادة فى هامش احدى النسخ
-	ساقط فى الأصل
×	بيت شعرى فى غير موضعه
.˙.	اتفاق الأصول
( )	الأرقام المشرقية ، هامش اختلافات النسخ
( )	الأرقام المغربية ، هامش التعريف والتخريجات



الـــديـوان

القســم الأول

القصــائد الصُّوفيَّــة



(١) قصيدة :

ما في الصَّبَابَةِ

[الكامل]

★ بهجة الأسرار
★ الفتح المبين
★ قلائد الجواهر
★ ديوان الحقائق
★ الفيوضات الربانية
★ مخطوط الأزهر (رقم ١٢٠١/رواق المغاربة)
★ مخطوط دار الكتب (رقم ٢٩٤ شعر/تيمور)
★ مخطوط دار الكتب (رقم ٧٤٥ شعر/تيمور)



مَا فِى الْصَبابَةِ [1] مَنْهَلٌ مُسْتَعْذَبُ
إلَّا وَلِى فِيهِ ٱلْأَلَذُّ ٱلْأَطْيَبُ
أَوْ فِى الْوِصَالِ (٢) مَكَانَةٌ [2] مَخْصُوصَةٌ
إلَّا وَمَنْزِلَتِى أَعَزُّ وَأَقْرَبُ
وَهَبَتْ (٣) لِىَ ٱلْأَيَّامُ رَوْنَقَ صَفْوِهَا
فَحَلَتْ مَنَاهِلُهَا وَطَابَ الْمَشْرَبُ [3]
وَغَدَوْتُ (٤) مَخْطُوباً لِكُلِّ كَرِيمَةٍ [4]
لَا يَهْتَدِى فِيهَا اللَّبِيبُ فَيَخْطُبُ (٥)

---

(١) د ، ت ، ح ، ف ، ت : المناهل
(٢) ف : المكان
(٣) × ت
(٤) × ت
(٥) ت : فيرهب/ ب : ويخطب

---

(1) الصبابة (في اللغة) الشوق وحرارته ، وقيل : رقة الهوى (لسان العرب ٢/ ٤٠١) وهى هنا إشارة إلى المحبة في المفهوم الصوفي - راجع المفهوم الصوفي للمحبة فيما بعد .
(2) المكانة (في الاصطلاح الصوفي) هى المنازل الرفيعة عند الله ، وقد يطلق عليها أيضا لفظ المكان .. يقول القاشاني : وإلى ذلك الاشارة في قوله تعالى « في مقعد صدق عند مليك مقتدر (اصطلاحات الصوفية ص ٨٨) .
(3) المشرب كلمة قرآنية وردت في قوله تعالى : (قد علم كل أناس مشربهم .. البقرة/ ٦٠ - الأعراف/ ١٦٠) وهى في لغة الصوفية تشير الى تذوق الحقائق الربانية .
(4) يتطابق ما يشير اليه الامام هنا ، مع ماسبق أن اشار اليه في وصف القطب حين قال : لا رأى لواصل إلا وهو مالك لنهايته ، ولا مكرمة إلا وهو اليها مخطوب (انظر مقالة القطبية بالقسم الثاني من الديوان) وقوله : مخطوبا لكل كريمة ، إشارة الى تحقق القطب بكل خلق كريم ، وتخلقه بالأخلاق الربانية في الظاهر والباطن .

أَنَا مِنْ رِجَالٍ (1) لَا يَخَافُ جَلِيسُهُمْ
رَيْبَ الزَّمَانِ وَلَا يَرى مَا يَرْهَبُ (2)

قَــوْمٌ (3) لَهُمْ فِى كُلِّ مَجْدٍ رُتْبَةٌ
عُلْوِيَّةٌ (4) وَبِكُلِّ جَيْشٍ مَــوْكِبُ

أَنَا بُلْبُلُ الْأَفْرَاحِ أَمْلَأُ دَوْحَها (5)(١)
طَرَباً وَفِى الْعَلْيَاءِ بَازٌ (٢) أَشْهَبُ (6)

[١] ت : روحها
[٢] ف : بازا

(1) يشير الامام الجيلانى بالرجال هنا ، إلى (الأولياء) الذين ورد فى حقهم قوله تعالى :«ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » يونس / ٦٢ . وقد وردت فى هذا المعنى آيات عديدة (راجع : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٩٩) كما جاء فى الحديث الشريف ما ورد فى البيت من أن هؤلاء الرجال : لا يشقى بهم جليسهم .. (انظر : الترمذى ، كتاب الدعوات ١٣٩ ـ ابن حنبل ، المسند ٢/٣٥٣ ، ٣٥٦ ، ٣٨٣) .

(2) كتب هذا البيت على البوابة الغربية لجامع الامام الجيلانى ببغداد ، بخط الخطاط المشهور عثمان ياور ـ المتوفى ١٣٢٠ هجرية ـ ولايزال مقروءا الى اليوم (الشيخ عبدالقادر الجيلانى ، للسامرائى ص ٥٤) .

(3) كلمة (القوم) فى لغة أهل الذوق تشير لأصحاب الطريق الصوفى .

(4) المراتب العلوية المشار اليها هنا ، كناية عن المقامات التى يصل اليها السالك للطريق الصوفى (راجع ما قلناه عن الأحوال والمقامات عند الامام الجيلانى ، فى كتابنا : الطريق الصوفى ، القادرية بمصر) .

(5) الدوح فى اللغة ، جمع دوحة .. وهى الشجرة العظيمة المتسعة ، من أى الشجر كانت (لسان العرب ١٠٣٠/١) .

(6) الباز الأشهب ، واحد من أشهر ألقاب الامام الجيلانى (راجع سبب التسمية ومعنى الباز ، فى كتابنا : عبدالقادر الجيلانى ، بازالله الأشهب) .
وقوله : وفى العلياء باز أشهب .. أشارة الى علو مقامه فى سماء الولاية ، وكونه بين أهل الولايات مميزا ، كما يتميز الباز عن بقية الطيور . ومن هنا قال الواعظ المعروف بجرادة وهو يمدح الامام الجيلانى :

البَازُ أَنْتَ فَإِنْ تَفْخَرْ فَلَا عَجَبٌ — وَسَائِرُ النَّاسِ فِى عَيْنِى فَوَاخِيتَ

أَضْحَتْ جُيُوشُ الْحُبِّ[1] تَحْتَ مَشِيئَتِي
طَوْعاً وَمَهْمَـا رُمْتُهُ لَا يَعْـزُبُ[2][١]

أَصْبَحْتُ[٢] لَا أَمَـلاً[٣] وَلَا أُمْنِيَّـةً
أَرْجُـو وَلَا سَـوْعُـودَةً أَتَـرَقَّبُ[3]

[١] د : يغرب
[٢] × : ت
[٣] ت : أمنا

(1) المحبة من المعانى القرآنية التى تشير إلى حب الله لعباده وحبهم إياه ، كما فى قوله تعالى (يحبهم ويحبونه ..) وقد جعل الامام الجيلانى من المحبة ، آخر علامات سلوك الطريق الى الله ، وفى معناها يقول : المحبة تشويش فى القلوب ، يقع من المحبوب ، فتصير الدنيا معه كحلقة خاتم أو مجمع مأتم . والمحبة سكر لا صحو معه ، والمحبون سكارى لا يصحون إلا بمشاهدة محبوبهم ، حيارى لا يأنسون بغير مولاهم ، ولا يلهجون إلا بذكره ، ولا يجيبون إلا داعيه (بهجة الأسرار ص ١٢٠ ـ قلائد الجواهر ص ٨٨) ويرى الدكتور حسن الشرقاوى أن هناك فرقا ما بين الحب والمحبة فى لغة الذوق ، فالأول إشارة للتعلق الحسى ، والمحبة تعلق القلب بالله .. وهى تفرقة غريبة !

(2) لا يعزب ، أى لا يغيب ـ كما فى قوله تعالى (لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض .. سبأ/٣) والمعنى الذوقى للبيت : إن الامام وقد وصل الى التمكين فى محبة الله . صار الحب والمحبون تحت لوائه طائعين .. وهذا المعنى يتكرر كثيرا فى شعر الامام ، تنبيها منه على تحققه بأصول المحبة .

(3) يشير الامام الجيلانى هنا الى ما يعرف عند الصوفية بسقوط هم الدارين (الدنيا والآخرة) وهو ما أشارت اليه رابعة فى قولتها المشهورة (إن صح منك الود فالكل هين) وذلك هو الفناء المرتبط بالمحبة عند الامام ، فالصادق فى المحبة لا يبقى له طلب فى شىء ، سوى محبوبه عز وجل فإذا تعلق قلبه بأمل أو أمنية من الدنيا فقد وقف عند الدنايا ، وإن ترقب الموعودة (الجنة) فقد وقف عند مطلب آخر غير مولاه . فمن كانت هجرته للدنيا أو الآخرة ، فهجرته إلى ما هاجر اليه أما من تجرد من الكونية اشتياقا لوجه ربه ، فربما نالته يد العناية بجذبه لطيفة من مولاه . فيصير محبوبا من الله كما هو محب له ، ويستحق آنذاك ما أشار اليه تعالى بقوله يحبهم ويحبونه .

مَازِلْتُ[١] أَرْتَعُ فِي مَيَادِينِ الرِّضَا[1]
حَتَّى بَلَغْتُ[٢] مَكَانَةً لَا تُوهَبُ[2]

---

[١] ت : لازلت

---

(1) الرضا واحد من الأسس السبعة للطريقة عند الامام الجيلانى (راجع : الطريق الصوفى ، الباب الثانى) وهو مقام صوفى عند سائر أهل الطريق . وقد رمز الأمام فى تعريفه للرضا حين قال : هو ارتفاع التودد والاكتفاء بما بسبق فى علم الله فى أزله وقدره (قلائد الجواهر ص ٩) وتلك إشارة الى انقطاع صاحب مقام الرضا عن التودد للخلق جميعا . لعلمه اليقينى أن ما قسمه له الله وقدره عليه ، لا محالة واقع وآت إليه .

(2) استشهد عبدالكريم الجيلى ، المتوفى ٨٢٦ هجرية . بهذا البيت فى معرض تأويله الصوفى لقوله تعالى (فلهم أجر غير ممنون) فقال : يعنى أنهم نالوا ما هو لهم ، فليس ذلك بموهوب حتى يكون ممنونا ، بل ظفروا بما اقتضته حقائقهم .. وإلى هذا المعنى أشار شيخنا الشيخ عبدالقادر الجيلانى رضى الله عنه بقوله :

مازلت أرتع في ميادين الرضا   حتى بلغت مكانة لا توهب

(الجيلى : الانسان الكامل ١٥/٢)

أَضْحَى الـزَّمَانُ كَحُلَّةٍ مَـرْقُومَـةٍ(3)
تَزْهُو[٣] وَنَحْنُ لَهَا الطِّرَازُ[٤] المُذْهَبُ

أَفَلَتْ(4) شُمُوسُ الأَوَّلِينَ وَشَمْسُنَا
أَبَداً عَلَى فَلَكِ الْعُلَى[٥] لَا تَغْرُبُ[٦]

---

[٢] .. وهبت

[٣] ت : نزهوا

[٤] ت : طراز

[٥] ت : ح ، ن : العلا

[٦] ت (والأولياء جميعهم فى قبضتى .. وأرى صدور قبورهم تتقلب)

د : (عبد الرازق لجدى أنسب .. الباز أشـهب فى المهام مجرب)

حـ ، ب ، و : ثم قال ، كل الطيور تقول ولا تفعل ، والباز يفعل ولا يقول ولأجل هذا صار كف الملوك سدته .

---

(3) الرقم : الخز الموشى ، وهو أيضا النقش والوشى .. ويقال رقم الثوب ، إذا خططه (لسان العرب ١٢١٠/١)

(4) أورد اليافعى هذه الابيات فى كتابه (نشر المحاسن الغالية) وتوقف عند البيت الاخير ، قائلا هذا البيت يحتاج إلى تاويل وتفسير لائق بجلالة الشيخ عبدالقادر ومحاسن ادابه ..

ثم يتأول اليافعى معنى البيت على وجهين ، الأول أن الضمير فى قوله (وشمسنا) يعود على طائفة الصوفية وجميع العارفين المكاشفين بأسرار الحقيقة ، وربما يعود أيضا على امة الذاكرين بأسرها

والوجه الآخر ، أن المراد من البيت هو أن شموس الأولين من الصوفية ، غربت بموتهم فلا يهتدى أحد بنورها بعد موتهم ، أما شمس الامام الجيلانى فهى لا تغرب أبدا من سماء المجد ، لعدم انقطاع اتباعه إرثا بعد إرث على تعاقب الدهور .. يقول اليافعى : والتاويل الأول أوسع مسلكا واقل مؤاخذة (انظر نشر المحاسن ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨)



(٢) قصـــيدة :

الوســــــيلة

[الطـــويل]

★ فتوح الغيب
★ سفينة القادرية
★ الفيوضات الربانية
★ مخطوط الأزهر (رقم ٧٧٢/سقا)
★ مخطوط دار الكتب (رقم ٢٩٤ شعر/تيمور)



(2)
وَلَمَّا[١] صَفَا قَلْبِى(1) وَطَابَتْ سَرِيرَتِى

وَنَـادَمَنِي[٢](3) صَحْـــوِى(4) بِفَتْـحِ الْبَصِيرَةِ(5)

شَهِدْتُ(6) بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى[٣] الْوِلَايَةِ(7)

وَقَدْ مَنَّ بِالتَّصْرِيفِ(8) فِى كُلِّ حَالَةِ[٤]

---

[١] ـ ف ، س ، ت (ويبدو أن هذا البيت قد ألحق بالقصيدة للترجيع) وفى س (صلاتى وتسليمى وأزكى تحيتى ∴ على المصطفى المختار خير البرية)

[٢] غ : ومنى دنا

[٣] ف : والى

[٤] هـ : ولى قدم التصريف فى كل خطوتى/ ت : وفى قدم التصريف مع كل خطوتى

---

(1) القلب عند الصوفية ، اسم جامع يقتضى مقامات الباطن كلها . ولهذا فإن ذكر القلب ، ينوب فى كلام الصوفية عن ذكر سائر المقامات (الترمذى الحكيم : بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ص ٣٣) فالقلب حقيقة جامعة بين الأوصاف والشئون الربانية ، وبين الخصائص والأحوال الكونية ، سواء كانت روحانية أو طبيعية (ابن عربى : العجالة ص ١٤) ويرى الصوفية أن القلب إذا صفا ، تجلت عليه سطعات الانوار الشهودية ، حتى يصبح محلا للوسع الالهى المشار إليه فى قوله تعالى : ما وسعنى أرضى ولا سمواتى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن (راجع : عبدالكريم الجيلى فيلسوف الصوفية ص ١٧٣)

(2) السريرة والسر ، الفاظ مشتقة من الأسرار التى تكتم وتخفى ، وجمعها سرائر (لسان العرب ١٣١٧/٢) والمراد بالسريرة هنا : انمحاق السالك إلى الحق تعالى عند الوصول التام (اصطلاحات الصوفية ص ١٠٣)

(3) للمنادمة دلالة صوفية خاصة ، انظر ما سنقوله عنها فيما بعد

(4) الصحو فى الاصطلاح الصوفى ، يقابل المحو (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٧٩ ـ الفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى ص ٢٨٣) وهو رجوع الصوفى إلى الاحساس بعد الغيبة بوارد قوى ، ولا يكون الصحو إلا بعد سكر ومحو ، اما قبل السكر فلا يقال صحو ! كذلك فمالا يعطى علما ، لا يقال عنه عند الصوفية صحو ولا سكر (المعجم الصوفى للدكتورة سعاد الحكيم ص ١٢٠٧)

(5) انظر [البصيرة] فيما بعد

(6) انظر [الشهود] فيما بعد

(7) انظر [الولاية] فيما بعد

(8) انظر [التصريف] فيما بعد

سَقَانى إلهى (١) مِنْ كؤوس شَرَابِهِ (٢)
فَأَسْكَرَنى (٣) حَقاً فَهِمْتُ بِسَكْرتِى (1)

وحَكَّمَنِي (٤) جِمْع (٥) الْدِّنَانِ (٢) بِمَا حَوَى (٦)
وَكُـــلُّ مُلُوكِ الْعَـــالَمِينَ رَعِيَّتى (3)

وَفى (٧) حَانِنَا (4) فادْخُلْ تَرَ الْكَأْسَ دَائِراً
وَمَـــا شَـــرِبَ الْعُشَّـــاقُ إلاَّ بَقِيَّتى

---

[١] س ، ف ، غ : ربى
[٢] ت : من لذيذ شرابه
[٣] س ، ف : واسكرنى
[٤] غ ، س ، ف : وحكمتى
[٥] س ، غ : كل
[٦] ت ، هـ : بما حدث / ع ، س : وما حوى/ ف : الجبان وما حوت
[٧] ت : ففى

---

(1) السكر فى المفهوم الصوفى ، غياب المحب الذى شرب من كأس المحبة الالهية ، بحيث لا يمكنه تمييز الأشياء (الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٣٩) وللسكر عند ابن عربى مراتب ، أخرها سكر الكمل من الأولياء - وهو الذى قال فيه النبى : اللهم زدنى فيك تحيرا (المعجم الصوفى ص ١٢٠٦) ولابن تيمية رأى صائب حول السكر الصوفى حين يقول : وكثيرا ما يعترى أهل المحبة من السكر والفناء ، أعظم ما يصيب السكران بالخمر ، فالحب له سكر أعظم من سكر الشراب .. وهؤلاء محمودون على ما معهم من محبة الله والأعمال الصالحة والايمان (ابن تيمية : قاعدة فى المحبة ، جامع الرسائل ٢٤٤/٢ ، ٢٤٥) إلا أن الكلمات التى يتفوه بها أهل الاحوال فى سكرهم ، ينبغى أن تطوى ، فلا ترد ولا تؤدى (ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ١٧٦/١)

(2) الدن ، إناء عظيم يرقد فيه الخمر ، لا يستقر إلا إذا حفر له (لسان العرب ١٠٢٠/١ - القاموس المحيط ٢٢٥/٤) والمراد هنا بقوله جمع الدنان ، التصرف فى أهل القرب من الله ، وخلع المواهب الربانية عليهم .

(3) يقصد بالملوك ، أهل المحبة من الصوفية ! لاحظ قول إبراهيم بن أدهم : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم ، لجالدونا عليه بأسيافهم (حلية الأولياء ٣٧٠/٧)

(4) أنظر [الحان] فيما بعد

رُفِعْتُ(١) عَلَى مَنْ يَدَّعِى الْحُبَّ فِى الْوَرَى(٢)

فَقَــرَّبَنِى الْمَوْلَى وَفُــزْتُ بِنَــظْرَةِ(1)

وَجَـالَتْ(2) خُيُولِى(٣) فِى الْأَرَاضِى جَمِيعهَـا

وَزُفَّتْ(4) لِىَ الْكَاسَاتُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ(٥)

وَدُقَّتْ(٦) لِيَ الْرَايَاتُ(٧) فِى الْأَرْضِ وَالسَّمَا

وَأَهْلُ السَّمَا وَالْأَرْضِ تَعْلَمُ سَطْوَتِى(٨)

[١] - هـ

[٢] س ، ع : الهوى

[٣] هـ : خيول

[٤] ف : ودقت

[٥] س : جهة/هـ : ودانت لى الحالات من كل جيهتى

[٦] هـ : ودانت

[٧] هـ ، ف : الكاسات

[٨] هـ : بنشوتى

(1) النظرة هنا كناية عن تجلى الجمال الالهى على قلب المحب الصادق فى محبته ، وهو التجلى الذى ينشا عنه السكر الصوفى الذى عرضنا له فيما سبق . وترد [النظرة] كثيرا فى شعر الصوفية ، خاصة عند ابن الفارض الذى ربط بين المحبة وتجلى الجمال والسكر ، فى مطلع تائيته الكبرى المسماة (نظم السلوك) حيث يقول :

سـقتنى حميا الحب رَاحةُ مقلتى وكاسى محيا مَن عَنِ الحسن جلت

فأوهمت صحبى أن شرب شرابهم به سر سرى فى انتشـائى بنظرة

(ديوان ابن الفارض ص ٨٣)

(2) تبدا قصيدة الامام من هذا الموضع فى الكلام عن حقائق الولاية الروحية التى عاينها الامام الجيلانى بعد وصوله بالمحبة الى قرب الحق فها هوذا فى الفيض الربانى تتواتر عليه التجليات ، حتى ترتفع رايات توليه القطبية ، شاهدة بنزوله الروحى إلى خيام القرب من الحق عز وجل (راجع ما ذكرناه عن منازل الوصول عند الامام الجيلانى فى بحثنا : الطريق الصوفى)

وَشَاءُوسُ(1) مُلْكِى سَارَ شَرْقاً وَمَغْرِباً
فَصِرْتُ[١] لأَهْلِ الْكَرْبِ غَوْثاً وَرَحْمَةِ[٢]

فَمَنْ[٣] كَانَ مِثْلِى[٤] يَدَّعِى فِيكُمُ الْهَوَى
يُطَاوِلُنِى إِنْ كَانَ يَقْوَى لِسَطْوَتِى(2)

---

[١] غ ، س ، ف : وصرت
[٢] غ ، س ، ف : ورحمة/ هـ ، ت : برحمتى
[٣] ـ ت ، × هـ
[٤] ف : قبلى

---

(1) وردت كلمة شاءوس فى معظم نسخ التحقيق (جاويش ـ شاوش) وكلاهما خطأ .. ولكلمة (شاءوس) معنى لغوى ودلالة صوفية ، اما فى المعنى اللغوى فهى مشتقة من فعل (شوس) وهو النظر بمؤخر العين ، ورفع الرأس تكبرا .. والشوس أيضا : تصغير العين وضم الاجفان للنظر (لسان ٢/٣٨١ ـ القاموس ٢/٢٣٣)

اما من حيث الدلالة الصوفية للكلمة ، فالشاءوس إشارة الى إعلان الولاية والقطبية للعبد فى الملكوت الأعلى ، وقد استخدمها الامام بنفس المعنى فى القصيدة الخمرية (عجز البيت رقم ٢٠) وحين تنبأ الشيخ حماد الدباس بعلو مقام الامام الجيلانى ، قال لبعض اصحابه : سمعت الشاءوس يصيح بولايته فى الأفق الأعلى (بهجة الأسرار ص ٨٢ ـ قلائد الجواهر ص ١٩)

(2) يحكى الامام الجيلانى أن اثنين من أصحاب الأحوال نازعاه ، فضرب أعناقهما فى حضرة الحق تعالى .. الأول يدعى بالشيخ عباد ، وكان يقول : أنا ساعيش بعد وفاة الشيخ عبدالقادر وأرث حاله ! فأمسك به الامام الجيلانى وقال : ياعباد ، لأرمين بينك وبين زيفك ، ولأجعلن خيول هجرى تجول فى حمى صفائك .. فسلب هذا العباد حاله وفقد معاملاته مع الله .

والآخر هو الشيخ أبو بكر الحمامى الذى كان يخالف فى حضرة الامام الجيلانى بعض آداب الشريعة ، فكان الامام ينهاه ولا ينتهى ! يقول الرواة : فمر الامام الجيلانى بيده على صدره . ففقد جميع أحواله وتوارت عنه منازلاته التى انخدع بها فخرج عن أدب الشريعة (راجع هاتين الروايتين بإسنادهما فى : بهجة الأسرار ص ٨٣ ، ٨٤) وقد روى اليافعى ـ فى خلاصة المفاخر ـ بعض الحكايات القريبة المعنى مما ذكره الشطنوفى فى البهجة .

أَنَا(١) كُنْتُ فِى الْعُلْيَا بِنُورِ مُحَمَّدٍ[1]

وَفِى(٢) قَابَ قَوْسَيْنِ[2] اجْتِمَاعُ الأَحِبَّةِ[3]

شَرِبْتُ(٣) بِكَاسَاتِ(٤) الغَرَامِ سُلاَفَةً[4]

بِهَا انْتَعَشَت روحِى (٦) وَجِسْمِى وَمُهْجَتِى

---

[١] × ف / الأبيات العشرة التالية ساقطة من ت !
[٢] ت : بمكنون سر الله قبل النبوة .
[٣] – ت .
[٤] هـ : بكأس الغرام مدامة .
[٥] هـ : به اجتمع قلبى / ف : بها انعشت قلبى .

---

(1) نور محمد : إحدى الأفكار القائلة بقدم الوجود المحمدى ، وهى فكرة ظهرت فى الفكر الاسلامى منذ وقت مبكر ، إستنادا للحديث الشريف (كنت نبيا و آدم بين الطين والماء) وقد ارتبطت هذه الفكرة عند الشيعة بتقديس الأئمة الذين يستمدون من النبى هذا النور الأزلى ، أما عند الصوفية فقد عرفت بالحقيقة المحمدية ، التى منها يلتمس الأولياء .. ولهذا ، فقد سر الدكتور كامل الشيبى بهذه الصلة ، التى كان المستشرق الانجليزى ر .أ . نيكلسون قد ألمح اليها قبلا (أنظر : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٥٦ ـ فى التصوف وتاريخه ص ١٦) وبرغم اتفاق الصوفية والشيعة حول أزلية النور المحمدى ، إلا أن الفكرة الشيعية تظل محصورة داخل الاطار الوراثى المذهبى ، فى حين تنبىء المقالة الصوفية حول الحقيقة المحمدية ونور محمد ، عن ذوق خاص ومشاهدة لا تلزم غير صاحبها .

(2) قاب قوسين : إشارة الى القرب من الله ، كما فى قوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى .. النجم / ٩) يقول القاشانى : قاب قوسين ، مقام القرب الأسمائى فى الأمر الالهى المسمى دائرة الوجود : وهو الاتحاد بالحق مع بقاء التميز والاثنينية ، ولا مقام أعلى منه إلا « أو أدنى » وهو أحدية عين الجمع الذاتية (اصطلاحات الصوفية ص ١٤٢) .

(3) الأبيات التالية من القصيدة (أرقام ١١ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥) وردت فى التائية المنسوبة للامام الدسوقى (مخطوط الاسكندرية رقم ٦٦٠٧ د / تصوف) والتى قام الدكتور عامر النجار بإصلاحها ، والحقها بكتابه : الطرق الصوفية فى مصر ص ٢٨٢ .

(4) سلاف الخمر ، أول ما يعصر منها .. والسلاف من الخمر : أخلصها وأفضلها (لسان ٣/ ١٨٥) .

وَصِرْتُ[١] أَنَا السَاقِى لِمَنْ كَانَ حَاضِراً
أُدِيـرُ[٢] عَلَيهِمْ كَـرَّةً بَعْــدَ كَـرَّةِ

وَقَفْتُ بِبَابِ اللَّهِ وَحْدِى مُـوَحِّدَاً
وَنُودِيتُ يَا جِيلاَنِىَ : ادْخُلْ لِحَضْرتِى

وَنُودِيتُ يَا جِيلَانِىَ[1] : ادْخُلْ وَلاتَخَفْ
عُطِيتُ[٣] اللـوَا[٤] مِنْ قَبْلِ أَهْلِ[٥] الحَقِيقَةِ[1]

---

[١] – ف / هـ : وكنت .
[٢] هـ : أطوف .
[٣] هـ : أعطيت .
[٤] س ، ف : اللوى .
[٥] س : أهل الولاية / ف : أهل العناية .

---

(1) تكرار النداء هنا إشارة الى الدعوة الربانية الاكيدة ـ بالخاطر الالهى ـ لدخول الحضرة .. ويذكر الصوفية أن لله عبادا يسمون (أهل الحظائر) هم نوع من العارفين ، جرت سنة الله تعالى أن لا يمنعهم الدخول لحضرته متى يشاءون ، فهم مأذون لهم بالدخول والخروج وقتما شاءوا (الجيلى : المناظر الإلهية ، منظر الحظائر ، ص ٥٨) .

(2) الحقيقة : هى عماد النظرة الصوفية ، يضعها بعض الدارسين للتصوف فى مقابل الشريعة ، بحيث يتكرر عندهم تعبير (الشريعة والحقيقة) وإن كانت الآثار والشواهد الذوقية تشير إلى أن الشريعة والحقيقة معا ، هما جوهر الأمر الالهى الذى تعبر الشريعة عن جانبه الظاهرى والحقيقة عن باطنه العميق .. وبهذا المعنى لا يتقابل لفظا (الشريعة والحقيقة) وإنما يتطابقان عند الصوفية فى طريقهم الى الله .
وقد أفرد أستاذنا الدكتور الشرقاوى بحثا بعنوان (الشريعة والحقيقة) أوضح فى مقدمته تلازم الأمرين عند الصوفية ، فالطريق إلى الله عندهم واحد .. فإذا كانت الشريعة هى الرسم والخريطة والدليل ، فان الحقيقة هى الصدق والاخلاص فى سلوك طريق الحق تعالى ، بحيث لا يكتمل البناء الصوفى إلا بهما معا . فشريعة بلا حقيقة عاطلة ، وحقيقة بلا شريعة باطلة (الشرقاوى : الشريعة والحقيقة ص ٩) وعلى هذا النحو يتضح أن الدين الحق يكون برسوم وتكاليف ظاهرة تعبر عنها الشريعة ، كما يكون بحقائق ومكاشفات وتأييد من الله ، وهو ما يعرف عند الصوفية بالحقيقة .

ذِرَاعِىَ(1) مِنْ فَوْقِ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا
وَمِنْ تَحْتِ بَطْنِ الحُوتِ أَمْدَدْتُ[١] رَاحَتِى

وَأَعْلَمُ نَبْتَ الأَرْضِ كَمْ هُوَ نَبْتَةٌ[٢]
وَأَعْلَمُ رَمْلَ الأَرْضِ عَدّاً[٣] لِرَمْلَةِ

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اللهِ(2) أُحْصِى حُرُوفَهُ
وَأَعْلَمُ مَوْجَ الْبَحْرِ عَدًّا[٤] لِمَوْجَةِ

وَمَاقُلْتُ[٥] هَذَا الْقَوْلَ فَخْراً وإِنَّمَا
أَتَى الإِذْنُ(3) حَتَّى تَعْرِفُوا مِنْ[٦] حَقِيقَتِى

---

[١] س ، هـ ، ت : مديت .
[٢] س : عن نباته / ف : هو ثابت .
[٣] فى كل الأصول (كم هو رملة) وبها لا يستقيم الوزن ولا الاعراب .
[٤] فى كل الأصول ، كالبيت السابق (كم هو موجة) .
[٥] × ف .

---

(1) تبدأ قصيدة الامام من هذا الموضع فى بيان حقائق مقام القطبية ، خاصة فيما يتعلق بالمعرفة الوهبية والاتصال بالحقيقة المحمدية . والملاحظ هنا أن ما تشير إليه الأبيات ، يتطابق مع ما أشار إليه من بعد ، كبار أقطاب التصوف الذين عرضوا لحقائق الكمال الصوفى (راجع : الفكر الصوفى عند عبدالكريم الجيلى ص ٩٥ وما بعدها) .
(2) من المؤكد أن قوله (علم الله) يراد به (القرآن الكريم) وإلا فلا يصح ادعاء مخلوق بأنه يحيط بمطلق علم الله : وقوله عقب ذلك (أحصى حروفه) يوضح بما لا يدع للشك مجالا ، أن المراد بالعلم هنا : القرآن .
(3) الاذن كلمة قرآنية ، وردت بمعنى الأمر الالهى (غافر / ٧٨ ـ المجادلة / ١٠ ـ الحشر /٥ ـ التغابن /١١ ـ القدر/٤) كما وردت بمعنى العلم والاعلام (البقرة /٢١٣ ـ الأحزاب /٤٦ ـ الحج /٢٧ ـ الأعراف /١٦٧) وعند الصوفية ، الاذن هو التمكين من الشىء المأذون فيه ، فإذا انضاف إليه قول فهو الأمر : يقول أبو المواهب الشاذلى : الاذن نور يقع فى القلب فيثلج الصدر ، ينفرد به الخاصة ، وهو ليس بحجة لعقد العصمة ، وقد يطلق لفظ « الاذن » فيراد به المشيئة العامة لله (قوانين حكم الاشراق ص ١٠٠) .

وَمَا قُلْتُ(١) حَتَّى قِيلَ لِي قُلْ(٢) وَلاَتَخَفْ

فَــأَنْتَ وَلِيٌّ فِي مَقَامِ الْــوِلاَيَةِ(1)

أَنَا(2) كُنْتُ مَعْ نُوحٍ أُشَاهِدُ فِي الْوَرَى(٣)

بِحَاراً وَطُوفَاناً(٤) عَلَى كَفِّ قُدْرَتِي

وَكُنْتُ(٥) وَإِبْرَاهِيمَ(٦) مُلْقىً بِنَارِهِ

وَمَــا بَرَّدَ النِّيـرانَ(٧) إِلاَّ بِـدَعْـوَتِي

وَكُنْتُ(٨) مَعَ اسْمَعِيلَ فى الذَّبْحِ شاهِداً

وَمَــا أَنْزَلَ المَــذْبُوح إِلاَّ بِفُتْيَتِي(3)

[١] × ف أ ـ هـ .. وترتيب الأبيات التالية مضطرب غاية الاضطراب فى سائر النسخ ؛

[٢] ت ، س ، هـ : قيل قل .

[٣] ت : بسفن به جرت / هـ : لما شهد الورى / ع ، س : بأعلى سفينة .

[٤] ت : بحار طوفان .

[٥] ت ، هـ ، ف ، أنا كنت .. وكذا فى الأبيات الخمسة التالية ؛

[٦] ف : مع ابراهيم .

[٧] كذا فى سائر الأصول ، والفاعل هنا ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة .

[٨] ف : أنا كنت مع راعى الذبيح فداءه   ومــا نــزل الكبشــان الا بفتــوتى

ت : أنا كنت فى رؤيا الذبيح [فداؤه]   ومــا أنــزل الكبشــين ألا بقــوتى

(1) الولاية فى اللغة : تملك الأشياء والتصرف فيها . وفى أسمائه تعالى (الولى . الوالى) فهو تعالى المتولى أمور الخلق ، المالك للأشياء جميعها (لسان العرب ٣/٩٨٤) وهي لفظة قرآنية وردت فى آيات عديدة ، تضمنت الاشارة الى أولياء الله (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٧٦٤ وما بعدها) الذين هم خاصة عباده المؤمنين .

وفى المفهوم الصوفى ، تتسع دلالات الولاية لتشمل حقائق الطريق الصوفى كله . ومن ذلك أطلق على الصوفية الأولياء . ولهذا فإن المقام لا يتسع لشرح الجوانب المتعددة لآفاق هذه الكلمة ، التى هى آفاق التصوف ذاته ؛ ويمكن الرجوع إلى (الباب الثالث من بحثنا : الطريق الصوفى) للتعرف على بعض المفاهيم الصوفية لهذه الكلمة ، وعلى تناول الامام الجيلانى لحقائق الولاية والأولياء .

(2) يقرأ هذا البيت ـ وما يليه ـ فى ضوء الاتحاد بالحقيقة المحمدية ، ونور محمد السابق على الخلق (أنظر ما ذكرناه عن النور المحمدى فيما سبق) .

(3) يوجد هنا لحن ظاهر . وكان الواجب أن يقول (بفتواى) لكنه حافظ على الوزن . على حساب اللغة .

وَكُنْتُ[١] مَعَ يَعْقُوبَ فِى غَشْوِ عَيْنِهِ
وَمَـــا بَـرِئَتْ عَيْنَـاهُ إلَّا بِتَفْلَتِى[(1)]

وَكُنْتُ[٢] مَعَ إدْرِيسَ لَمَّا ارْتَقَى الْعُلا[(6)]
وَأُسْكِنَ فِى[٣] الْفِرْدَوْسِ أَحْسَنَ جَنَّةِ[٤]

وَكُنْتُ[٥] وَمُوسَى فِى[٦] مُنَاجَاةِ رَبِّهِ
وَمُوسَى عَصَاهُ مِنْ عَصَاىَ اسْتَمَدَّتِ[(3)]

وَكُنْتُ[٧] مَعَ أَيُّوبَ فى زَمَنِ الْبَلا[(4)]
وَمَــا بَرِئَتْ بَلْوَاهُ إلَّا بِـدَعْـوَتِى[(5)]

وَكُنْتُ مَعَ عِيسَى وَفِى الْمَهْدِ نَاطِقاً[(4)]
وَأُعْطِيْتُ[٨] دَاوُداً حَلاوَةَ نَغْمَتِى[(5)]

---

[١] - غ ، هـ .
[٢] - ع / × ت .
[٣] ف : وأقعدته .
[٤] ف : أحسن جنتى / ت : أشرف بقعتى .
[٥] - ت ، هـ ،
[٦] ف : مع .
[٧] × غ .
[٨] ت : أعطى .

---

(1) الاشارة هنا إلى القصة القرآنية الخاصة برجوع البصر الى يعقوب عليه السلام ، حين ألقى اليه البشير قميص يوسف (أنظر : سورة يوسف ، آية ٩٣) .
(2) الاشارة الى قوله تعالى فى إدريس عليه السلام : ورفعناه مكانا عليا .. مريم / ٥٧ .
(3) راجع الآيات الخاصة بمناجاة موسى مع ربه على طور سينا ، وانقلاب عصى موسى إلى حية تسعى (سورة النمل ، آية ١٠ ـ القصص ، آية ٣١ ـ طه ، آية ١٨ ـ الأعراف ، آية ١٠٧ ـ الشعراء ، آية ٣٢) .
(4) قوله تعالى فى عيسى : ويكلم الناس فى المهد وكهلا .. آل عمران / ٤٦ .
(5) الاشارة إلى مزامير داود التى كان يناجى بها ربه ، فتانس إليه الطير والوحوش

وَلِى[١] نَشْأَةٌ في الْحُبِّ مِنْ قَبْلِ آدَمٍ[1]
وَسِرِّى سَرَى فِى الْكَوْنِ[٢] مِنْ قَبْلِ نَشْأَتِى[2]

أَنَا[٣] الذَّاكِرُ الْمَذْكُورُ ذِكْراً لِذَاكِرٍ[٤]
أَنَا الشاكِرُ الْمَشْكُورُ شُكْراً بِنِعْمَتِى[٥]

[١] - ت/ × ف/ هـ : أنا نشأتى
[٢] هـ : وسارت بى الاكوان

[٣] س : وسرى سرى فى العلياء بنور محمد مكنى بسر اللـــه قبـل النبـوة
ت : وسجادتى الخضرا تشعشع فى الهوى ويدخل مريدى غدا فى حميتى

وقد استبعدنا أن يكون كلا البيتين من متن القصيدة ، خاصة أن النسختين المشار اليهما قد انفردتا بهما .

[٤] هـ : للذكر ذاكر
[٥] هـ : فى كل نعمتى

(1) النشأة السابقة على آدم ، إشارة الى عالم الذر ، وهو عالم الأرواح - قبل خلق الاجساد - حيث أخذ الله تعالى الميثاق بقوله (ألست بربكم .. الأعراف/١٧٢) وتلك هى فطرة التوحيد التى فطر الخالق الناس عليها، من قبل وجود آدم (انظر الحديث النبوى الوارد فى هذا الشأن : جمع الجوامع ، رقم ١٤٦٠) ويرمز الصوفية الى هذه الحضرة الالهية باصطلاحات عديدة مثل : الخلق الأول - الفطرة - خمرة التوحيد - شراب الَنتُّ - عالم الأرواح - الذر - الصفاء الأول .. ومن هنا قال ابن الفارض فى مطلع قصيدته الخمرية :

شربنـــا عـــلى ذكـــر الحبيب مـــدامـــة سكرنا بها من قبل ان يخلق الكـــرم

وقال الجيلى وهو يصف قلب المحب ، فى البيت الثانى من النادرات العينية :

صحـــا الناس من سكـر الغرام ومـا صحا وأفـــرق كُلٌ وهـو فى الحـان جـامـع

وعلى هذا النحو تكون نشأة الحب التى يشير إليها الامام الجيلانى ، هى التوحيد الأول ، الذى أقرت به الأرواح من قبل الخلق الآدمى .

(2) النشأة الثانية ، إشارة الى الوجود الجسمانى فى زمن مخصوص .. وذلك فى مقابل النشأة الأولى الواردة فى الهامش السابق .

أَنَا(١) الْعَاشِقُ الْمَعْشوقُ فِى كُلِّ مُضْمَرٍ
أَنَا السَّامِعُ الْمَسْمُوعُ فِى كُلِّ نَغْمَةِ

أَنَا(٢) الْوَاحِدُ الْفَرْدُ الْكَبِيرُ بِذَاتِـهِ
أَنَا الْوَاصِفُ الْمَوْصُوفُ ـ عِلْمُ(٣) الطَّرِيقَةِ[1]

مَلَكْتُ(٢) بِلَادَ اللَّهِ شَرْقاً وَمَغْرِبـاً
وَإِنْ شِئْتُ أَفْنَيْتُ الأَنَـامَ بِلَحْظَةِ[2]

وَقَالُوا(٥) : فَأَنْتَ الْقُطْبُ[3] ـ قُلْتُ مُشَاهِدُ(٦)
وَتَالٍ(٧) كِتَابَ اللَّهِ فِى كُلِّ سَاعَةِ

[١] ـ ت/ ف : فى كل نعمة
[٢] ـ ت ، هـ
[٣] ف : شيخ
[٤] ـ ت/ × هـ ، س ، ف
[٥] ـ ت
[٦] : مشاهدا
[٧] هـ ، ف : واتلو

[1] انظر المفهوم الصوفى لألفاظ [الشريعة ـ الحقيقة ـ الطريقة] فى تعليقنا على الغوثية ، بالقسم الثانى من الديوان .

[2] اللحظة فى اللغة : النظر بمؤخرة العين ، وهى أشد التفاتا من الشزر (لسان ٣٤٩/٣ ـ القاموس ٤١٣/٢) وكلام الامام هنا بلسان الجمع ، حيث يُقبلُ الله تعالى على عبده ، ويحبه ، حتى يكون العبد الربانى الذى يقول للشىء كن فيكون ، كما ورد فى الحديث القدسى السابق ذكره ويتطابق مايرد هنا ، مع المعنى الذى أشار اليه عبدالكريم الجيلى حين يقول فى النادرات :

وأفنى اذا شئت الأنـــام بلمحـــة   وأحيى بلفظ مـا حـوتـه البـلاقـع

[النادرات العينية ، رقم ٥١٢]

[3] راجع التناول التفصيلى لحقائق القطب ، فى مقالة الامام الجيلانى تحت عنوان : وصف القطب (القسم الثانى من الديوان)

وَنَاظِرُ[١] مَا فِى اللَّوْحِ[1] مِنْ كُلِّ آيَةٍ
وَمَا قَدْ رَأَيْتُ مِنْ شُهُودٍ[2] بِمُقْلَتِى[٢]

فَمَنْ[٣] كَانَ يَهْوَانَـا يَجِى لِمَحَلِّنَا
وَيَدْخُلْ حِمَى[٤] السَّادَاتِ يَلْقَ الْغَنِيمَة[٥]

[١] - ت/ هـ : وانظرت

[٢] هـ : وقد علمت نفس علوم الحقيقة

[٣] - ت

[٤] هـ : هما

[٥] ربما كان البيت مدسوسا على القصيدة ، وكلمة الغنيمة هنا من حقها النصب [مفعول به] وليس الجر !

(1) المراد باللوح هنا : اللوح المحفوظ ، الذى لايعلم حقيقته إلا الله وبعض خواص أوليائه . وقد ورد ذكر اللوح المحفوظ مرة واحدة فى القرآن (بل هو قران مجيد . فى لوح محفوظ .. البروج ٢١/٢٢)وعند الصوفية . اللوح المحفوظ هو الموضع الذى تسطر فيه الأعمال والأفعال جميعا (ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٢٧٧) فهو محل التدوين والتسطير المؤجل الى حد معلوم (اصطلاح الصوفية لابن عربى س ٢٤) فلا تقتضى الهيولى صورة معنية ، الا وهى منطبعة اصلا فى اللوح المحفوظ (الانسان الكامل للجيلى ٢/٧) وقد جعله الصوفية مرادفا للكتاب المبين والنفس الكلية (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٧٣) وأطالوا فى الكلام عن حقائقه ومشاهدتهم له . ويمكن الرجوع الى التناول التفصيلى لهذا المصطلح ودلالاته الصوفية . والعلاقة بين اللوح المحفوظ والقلم الأعلى ، فيما كتبته الدكتورة سعاد الحكيم (المعجم الصوفى ص ٩٩٥ : ١٠٠١)

(2) الشهود - أو المشاهدة : إطلاع القلب على غيب المعارف. فحين يترقى السالك فى طريق الحق ، وتبدأ تجليات المعرفة اللدنية على قلبه . تكون أول الدرجات هى [المحاضرة] أو حضور القلب لتلقى التجلى الالهى . ثم ثانى الدرجات [المكاشفة] وهى اطلاع القلب على الحقائق الغيبية . والدرجة الثالثة الاخيرة فى هذا الترقى المعرفى ، هى [المشاهدة] حيث يرى العارف تلك الحقائق بعينى قلبه وبصيرته ، وتلك هى أعلى درجات التوحيد . كما فى قوله تعالى (شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم .. آل عمران١٨/) وقوله تعالى (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب . أو ألقى السمع وهو شهيد .. سورة ق/٣٧)

فَلَا[١] عَالِمٌ إلَّا بِعِلْمِىَ[٢] عَالِمٌ[1]
وَلَا سَالِكٌ[2] إلَّا بِفَرْضِى وَسُنَّتِى[٣]
وَلَا جَامِعٌ[٤] إلَّا وَلِى فِيهِ رَكْعَةٌ
وَلَا مِنْبَرٌ إلَّا وَلِى فِيهِ خُـطْبَتِى[3]

---

[١] - ت / × ف
[٢] هـ : بعلمنا
[٣] هـ : ومشيتى
[٤] غ ، ت : مسجد / ف : منبر

---

[1] الاشارة هنا الى تجلى العلم الالهى ، وتحقق القطب بمنازل المعرفة الربانية المحيطة بكل علم، حتى يصير هذا القطب واسطة معرفية بين الخلق والخالق . وهو مقام من أعلى مقامات الطريق ، كان ابن الفارض قد أشار اليه فى التائية الكبرى (بيت رقم ٣٣١) حين قال :

فمـــا عـــالم الا بفضـــلى عـــالم ولا نـــاطق فى الكـــون الا بمـــدحتى

وان كان ابن الفارض قد أشار نفس الاشارة الاجمالية التى سبقه اليها الامام الجيلانى ، فان عبدالكريم الجيلى قد تناول هذا الموضوع تفصيلا فى شعره (النادرات العينية ٥٠٠ : ٥٠٤) وفى نثره وكتاباته الرمزية (الانسان الكامل ٣٧/١)

[2] السالك فى لغة الصوفية ، هو العبد المتنقل بين أحوال الطريق ومقاماته ..فاذا بلغ المراحل المتقدمة ، قيل له : الواصل .

[3] ورد فى بعض نسخ التحقيق (غ ، س ، ف) البيت التالى :

وقـــالـــوا أيـــا هـــذا تـــركت صـــلاتـــك ولم يعلمـــوا أنى أصـــلى بمكـــة

وقد اقصينا البيت من متن القصيدة ، لاننا نراه - بالقطع - مدسوسا على السياق الشعرى . ففى ضوء الاتجاه العام لتصوف الامام الجيلانى ، لايمكن القول باسقاط التكاليف الشرعية وترك الصلاة (حتى لو نظرنا للبيت من خلال فكرة البدلية) كذلك فلا يستساغ أن يخاطب الامام الجيلانى فى هذا المقام بقولهم (أيا هذا) وهو نداء للنكرة ! أخيرا فمن حيث اللغة لايستحب استخدام كلمة (مكة) الممنوعة من الصرف - وبالتالى تكون مجرورة بالفتح - فى سياق القصيدة التى تلزم قافيتها أن يكون حرف الروى مكسورا .. وان كان صرف مالاينصرف ، مما يجوز للشاعر .

وَلَوْلَا(١) رَسُولُ اللَّهِ بِالْعَهْدِ سَابِقٌ(٢)
لَأَغْلَقْتُ أَبْوَابَ(٣) الْجَحِيمِ بِعَظْمَتِى(1)

مُرِيدِى(2) لَكَ الْبُشْرَى(3) تَكُونُ عَلَى الْوَفَا
وَإِنْ كُنْتَ فِى هَمٍّ(٤) أُغِثْكَ(٥) بِهِمَّتِى

---

[١] ـ ت ، هـ

[٢] ف : سابقا

[٣] ف : بنيان

[٤] :. إذا

[٥] غ ، س ، هـ : ضيق

[٦] غ ، س : فتنجو بهمتى/هـ : تأتيك همتى/ + هـ : أغثك بسرعة ـ والبيت ساقط بكامله من ت

---

(1) قارن هنا قول البسطامى : ما النار ، لاستندن اليها غدا واقول ، اجعلنى لأهلها فداء أو لأبلعنها (شطحات الصوفية ص ٣١) وقول الشبلى : ان لله عبادا لو بزقوا على جهنم لأطفأوها (اللمع فى التصوف ص ٢٠٥) وهذه الأقوال فى جملتها : إشارات رمزية لتحقق الصوفى بمقام الشفاعة والغوثية .. انظر ما سنقوله عنهما فيما بعد .

(2) المريد فى الاصطلاح الصوفى ، هو المبتدىء فى السلوك . وكلمة (مريد) مشتقة من (أراد) حيث تتوجه همة هذا المبتدىء وارادته الى ربه ، ثم انه لايصل الا بتحرير ارادته من كل ماسوى الله . فالارادة على هذا النحو . بدء طريق السالكين ، وأول منزلة للقاصدين الى الله ، وهى مقدمة كل أمر (الرسالة القشيرية ص ١٠١) وقد فرق الصوفية بين المريد والمراد : فالأول المبتدىء ، والآخر المقرب الواصل الى المنتهى : المريد يكابد ويجاهد وتتولاه سياج العلم ، والمراد يتنعم ويسعد وتتولاه رعاية الحق تعالى : المريد طالب يتقرب الى الله ، والمراد مطلوب مقرب من الله .. وبعبارة صوفية : المريد يسير ، والمراد يطير (ألفاظ الصوفية ص ٢٩٢)

البشرى : تأييد من الله للصالحين من عباده ، كما فى قوله تعالى (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .. يونس/ ٦٤) وقوله تعالى (وما جعله الله الا بشرى .. البقرة/ ٩٧ ـ آل عمران/ ١٢٦) وقد سئل النبى عن المبشرات . فقال عليه الصلاة والسلام : هى الرؤيا الصالحة ، يراها العبد فتتحقق .. وتلك هى الرؤيا التى جاء فى الحديث الشريف أنها : جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة (اللؤلؤ والمرجان : أرقام ١٤٥٧، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ .)

مُرِيدِى[1] تَمَسَّكْ بِى وَكُنْ بِىَ وَاثِقاً
لأَحْمِيكَ(١) فِى الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ(٢)

وَكُنْ(٣) يَا مُرِيدِى حَافِظاً لِعُهُودِنَــا
أَكُنْ حَاضِرَ الْمِيزَانِ[2] يَوْمَ الْوَقِيعَةِ(٤)

وَإِنْ(٥) شَحَّتِ الْمِيزَانُ كُنْتُ أَنَا لَهَا(٦)
بِعَيْنِ عِنَايَاتٍ(٧) وَلُطْفِ(٨) الْحَقِيقَةِ[3]

---

[١] ت : أنا أحميك / س ، هـ : فأحميك .
[٢] ت : أنا قدمى هذا على كل رقبة / غ ، س ، ف ·
أنا لمريدى حافظ ما يخافه وأنجيه من كل شر وبلوة
[٣] - ت .
[٤] ت ، ع ، س هـ : القيامة .
[٥] × ف / هـ : فان - وانفردت مخطوطة ت بالأبيات الآتية :
أنا الأول القدوس فى علم خالقى أنــا الآخــر المنعــوت بــالسرمــدية
وما قلت هذا القول فخرا وانمـا تكلم ربى عن لســـــان الحقيقـــة
وما قلت حتى قيل لى قل ولا تخف فـأنت وليـى فى مقام النيابة
[٦] ف : والله نالها / هـ - بالله أنا لها / غ : والله أنا لها .
[٧] ف : بعينى عنايات / س : بعين العنايات / ع : فعنى العنايات .
[٨] غ : بلطف .

---

(1) تبدأ القصيدة من هذا الموضع ، فى مخاطبة المريد القادرى وتوجيه النصح إليه . وكما نرى فإن الثقة فى الشيخ والتمسك بأخلاقه ، هو أول ما يذكره الامام للمريد ، جاعلا من ذلك حماية للمريد فى الدنيا والآخرة . ثم تتوالى الاشارات بعد ذلك إلى حفظ العهد ، والسير فى الطرق الحميدة ، وكسر النفس .. (انظر ما يأتى) .

(2) المراد بحضور الميزان : تحقق الامام الجيلانى بالشفاعة والغوثية ، وهى إحدى صفات [قطب الاقطاب] عند الصوفية .

(3) راجع [الشريعة والحقيقة] فيما سبق

حَـوَائِجُكُمْ مُقْضِيَّةٌ(1) - غَيْـرَ أنَّنِى
أُرِيدُكُمو تَمْشُون[١] طُرْقَ(2) الْحَمِيدَةِ[٢]

وأُوْصِيكُمُو[٣] كَسْرَ النُّفُوسِ (3) فإنَّهَا[٤]
مَرَاتِبُ عِزٍّ عِنْدَ أَهْلِ الطَّرِيقَةِ[٥]

ومَنْ[٦] حَـدَّثَتْـهُ نَفْسُـهُ بِتَكَبُّـرٍ
تَجِدْهُ صَغِيراً فِى عُيُونِ الأَقِلَّةِ[٧]

---

[١] غ ، ف ، س : تمشوا .
[٢] غ ، ت ، س : طريق الحميدة / ف : الطريقة .
[٣] غ ، هـ ، س : وأوصيكم / ف : توصيكموا .
[٤] ف : لأنها .
[٥] س ، هـ : الحقيقة .
[٦] هـ : فمن .
[٧] هـ : الأقلتى .

---

(1) لا ينبغى أن نفهم كلمة (الحوائج) هنا بالمعنى الظاهر لها ، فهى لا تشير إلى أية مطالب دنيوية ، إذ ليس للمريد الصادق حاجة إلا رضا ربه والتقرب إليه .

(2) الطريق - أو الطريقة - لفظ صوفى يشمل التجربة الذوقية بكاملها (المعجم الصوفى ص ٧٢٢) ولا يفرق الصوفية بين لفظى الطريق والطريقة ، فكلاهما يشير إلى حقيقة واحدة (ألفاظ الصوفية ص ٢٢٣) هى السير بالسير المختصة بالسالكين إلى الله ، وقطع المنازل والترقى فى المقامات (اصطلاحات الصوفية ص ٦٥) .
وقد تناولنا الطريق الصوفى عند الامام الجيلانى ، فى بحثنا (الطريق الصوفى) خلال ثلاثة أبواب منه ، كما عاودنا الكلام عن [الطريقة] ، فى التعليق على الغوثية بالقسم الثانى من الديوان

(3) كسر النفس : اصطلاح صوفى يراد به تهذيب النفس الأمارة وكسر حدتها وقتل شهواتها وتعلقاتها بكل ما هو دنىء ، وذلك شرط من شروط السلوك ، فالنفس لدى المريد المبتدىء هى علة كل شر وسوء ، وباب للسقوط فى المحرمات والشبهات .. ولذا أشار الحديث الشريف إلى مجاهداتها ، وسَمَّى ذلك : الجهاد الأكبر ' ويرى الامام الجيلانى - وسائر الصوفية - أن كسر حدة النفس يكون بإلزامها بطاعة الله ، ورياضتها بالجوع والسهر والصمت والخلوة .

وَمَنْ[١] كَانَ فِى حَالاتِهِ مُتَواضِعاً[1]
مَعَ اللَّهِ - عَزَّتْهُ جَمِيعُ الْبَـرِيَّةِ[٢]

[١] - هـ / ف : ومن كان يخشع فى الصلاة تواضعا .
[٢] تتصل أبيات القصيدة فى هـ مع أبيات القصيدة الشريفة . وفى غ ، س ، ف ورد التخلص التالى :

فجـــدى رسـول الله طـه محمـد أنـــا عبـــد لقـــادر شيـــخ الطـريقـة

غ : واعلم أن البيت الأول منها ، لم يعرف فى أول القصيدة عند أهل الطريقة !

(1) التواضع : واحد من أهم الأخلاق الصوفية التى يتحلى بها المبتدىء والواصل على السواء ! وهو علاج لما جبلت عليه النفس من الكبر ، فالطريق الصوفى تواضع فى القول والعمل والزى والمتاع (الفاظ الصوفية ص ٢٢٣) والتواضع عند السلمى هو سلم الشرف وطريق لارتقاء إلى المقام (المقدمة فى التصوف ص ٧٠) يقول الرونبادي : لا يرفع أحد إلا بالتواضع ، ولا يتضع أحد إلا بالكبرياء .
ومن المعانى الصوفية الدقيقة ، ما اشار إليه ابن المبارك حين سئل عن تواضع الصوفى ، فقال : تكبره على الأغنياء (المقدمة فى التصوف ص ٧٠) .



(٣) القصـــيدة :

الشــــــــريفة

(الطــويل)

★ فتوح الغيب
★ الفيوضات الربانية
★ مخطوط الأزهر (رقم ٧٧٢ / سقا)
★ مخطوط دار الكتب (رقم ٢٩٤ شعر / تيمور)
★ مخطوط دار الكتب (رقم ٦٥٥ تصوف / طلعت)



نَظَرْتُ[١] بِعَيْنِ الْفِكْرِ فِي حَانِ حَضْرَتِي[٢]

حَبِيباً تَجَلَّى[1] لِلْقُلُوبِ فَحَنَّتِ[٣]

سَقَانِي بِكَأْسٍ[٤] مِنْ مُدَامَةِ حُبِّهِ

فَكَانَ مِنَ السَّاقِي خُمَارِي[٥] وَسَكْرَتِي

---

[١] ط : زاد فيه بعض المريدين بيتا للترجيع :

صلاتى على المختار كنزى وعمدتى ونرضى على الجيـلانى شيخى وقدوتى

[٢] هـ : حال حضرتى / ت : حال نظرة .

[٣] هـ : فجنت .

[٤] ت : كأسا .

[٥] هـ : خمار .

---

(1) التجلى (الالهى) لفظة صوفية مرتبطة بفعل الله ، ومعناها الواسع يشمل الاشراق Illumination والظهور Appeartion والفيض أو الصدور Emanation كما تشمل معانى صوفية دقيقة كالفتح والتنزل (المعجم الصوفى ص ٢٥٧) وقد ورد فى قوله تعالى : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا .. الأعراف / ١٤٣ .

وحول تجلى الله لعباده المؤمنين ، وهو المراد من البيت ، أسهب الصوفية فى الكلام عن حقائق هذه التجليات ، وأثرها فى انمحاق العبد وحصوله على المعارف الكشفية ، بعد فناء بشريته بالكلية (راجع : المعجم الصوفى ص ٢٥٩ ـ اصطلاحات الصوفية ص ١٥٦ ـ الانسان الكامل ٣٤/١ ـ ألفاظ الصوفية ص ٨٥) وعن هذه التجليات الشهودية يقول الامام الجيلانى : إن الله عز وجل لا يتجلى لعبد فى صفتين ، ولا فى صفة لعبدين .. (بهجة الأسرار ص ٨٢) وقد لاقت هذه العبارة قبولا واسعا عند عبدالكريم الجيلى ، فنقلها بنصها فى شرحه على الفتوحات (شرح مشكلات الفتوحات المكية ، مخطوط ، ورقة ٤ ب) وفى الانسان الكامل : راح يفصل ما أجمله الامام الجيلانى ، فأفاض فى الكلام عن تجلى الصفات والأسماء الالهية على قلوب الأولياء (الانسان الكامل ٣٧/١ ـ الفكر الصوفى عند الجيلى ص ٧٧) .

(2) فى الاصطلاح الصوفى ، تترادف ألفاظ : المدامة ـ الخمر ـ الراح ـ الشراب .. لتعنى جميعا السكر بكأس المحبة الالهية .

يُنَــادِمُنِى(1) فِى كُــلِّ يَــوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَمَـازَالَ[١] يَـرْعَــانِى بِعَيْنِ الْمَـوَدَّةِ

ضَرِيحى(2) بَيْتُ الله مَنْ جَاءَ زَارَهُ[٢]
بِهَــرْوَلَةٍ(3) يَحظَ[٣] بِعِـزٍّ وَرِفْعَـةِ(4)

---

[١] غ : ولازال
[٢] ط : جايزوره/ هـ : جاء زارها
[٣] ت ، ف : يهرول له يحظى / هـ : بهرول له !

---

(1) المنادمة اصطلاح صوفى شهير ، يشير إلى إحدى ثمار القرب من الله . حيث تتواردكؤوس المعرفة الالهية على قلب العبد . خلال التجليات الشهودية . وفى المنادمة تتجلى الأسرار الربانية التى يختص بها أهل الولاية . وقد أحسن الامام صنعا حين أردف المنادمة باشارة إلى (الرعاية بعين المودة) حتى لا يكون الامر كأمر الحسين بن منصور الحلاج . الذى أسكرته المنادمة فانفلت من يد الرعاية فرحا بسكره . وباح للعامة بأسرار لم يؤذن فى البوح بها .. فكانت يد السياف فى انتظاره ! يقول الحلاج .

نـــديمى غـــير منســوب . إلى شىء من الحيف
دعـــــانى ثم حيــــانى كفعـــل الضيف بـــالضيف
فلمــــا دارت الكــــأس دعـــا بـــالنطـــع والسيف

[أخبار الحلاج ٣٥ - ديوان الحلاج ٣٥٥]

(2) الضريح . القبر . وهو المعنى المشهور . أما المراد بالضريح هنا . فهو بيت فى السماء يقابل الكعبة فى الأرض . يقال له الضريح والضراح (لسان العرب ٥٣٤/٢) وذكر الفيروز ابادى أن هذا البيت بالسماء الرابعة (القاموس المحيط ٢٤٥/١) فاستدرك عليه مرتضى الزبيدى بأن الضريح بالسماء السابعة . وبانه تحت العرش (التكملة والذيل والصلة ٤٥/٢) وهو البيت المعمور الوارد ذكره فى الآيات القرانية (سورة الطور/٤) .

(3) الهرولة - فى اللغة - ضرب من المسارعة . بين المشى والعدو . وفى الحديث القدسى [من اتانى يمشى اتيته هرولة] كناية عن سرعة إجابة الله عز وجل (لسان ٨٠٠/٣)

(4) العز والرفعة هنا . إشارة إلى القرب من الله . كما سيرد فى الحديث القدسى الاتى ذكره

وَسِرِّى[١] بِسِرِّ[٢] اللَّهِ سَارَ بِخَلْقِهِ[٣]
فَلُذْ بِجَنَــــابِى إِنْ أَرَدْتَ مَـوَدَّتِى[٤]
وَأَمْرِى بِأَمْرِ[٥] اللَّهِ إِنْ قُلْتُ كُنْ يَكُنْ
وَكُلٌّ[٦] بِأَمْرِ[٧] اللَّهِ فَاحْكُمْ[٨] بِقُدْرَتِى (1)

وَأَصْبَحْتُ[٩] بِالْوَادِ[١٠] الْمُقَدَّسِ (2) جَالِساً
عَلَى طُورِ (3) سِينَا قَدْ سَمَوْتُ[١١] بِخَلْعَتِى (4)

[١] - غ / × ط
[٢] ط ، ف : سر
[٣] هـ : بخلعة
[٤] ط : محبتى
[٥] ف : أمر
[٦] ط : فكلى
[٧] ت : باذن
[٨] غ : حكمى وقدرتى
[٩] غ : فأصبحت
[١٠] غ ، ت : بالوادى / ف : فى الواد
[١١] ت : سمعت بخلعتى / هـ : جلست بخلوتى

(1) تستند المعانى الواردة هنا ، وتستمد مباشرة ، من الحديث القدسى (.. ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت عينه التى يبصر بها ، ويده التى يبطش بها ، الخ) وهو حديث مشهور ، أخرجه ابن حنبل فى المسند [الجزء الثانى ، برقم ٢٥٦] عن عائشة ، والبخارى فى الصحيح عن أبى هريرة ، وأبو نعيم فى الحلية ، ورواه أيضا : البزار والطبرانى .. والحديث فى جمع الجوامع للسيوطى ، برقم ١٠٦٠/١٢٣ - ويذكر أن ابن تيمية يعده : أصح الأحاديث التى يستدل بها على الولاية !

(2) (3) الوادى المقدس ، طور سينا : مراتب علوية يرقى إليها الواصلون الى حضرة الحق تعالى ، وقد اشتق الصوفية رموزها من قصة موسى عليه السلام ومناجاته لربه (سورة طه/ ٨٠ ، ١٢٠ - مريم/ ٥٢ - القصص / ٢٩ ، ٤٦ - النازعات/١٦)

(4) انظر [الخلع والمواهب] فى المفهوم الصوفى ، كما يوضحها عبدالكريم الجيلى فى (المناظر الالهية ص ٥٩)

وَطَافَتْ[١] بِىَ ٱلْأَكْوانُ[١] مِنْ كُلِّ جَانِبٍ[٢]
فَصِرْتُ[٣] لَهَا أَهْلاً بِتَحْقِيقِ [٤] نِسْبَتِى(2)

فَلِى[٥] عَلَمٌ فِى[٦] ذَرْوَةِ الْمَجْدِ قَائِمٌ[٧]
رَفِيعُ السَّنَا[٨] تَأْوِى[٩] لَهُ كُلُّ أُمَّةٍ[١٠]
فَلَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ بِحَارٍ وَرَدْتُهَا
وَلَا نَقْلَ إِلَّا مِنْ صَحِيحِ رِوَايَتِى(3)

---

[١] ف : وطابت
[٢] هـ : جبهة
[٣] ت : وصرت
[٤] ف : بتصحيح نيتى
[٥] إنفردت مخطوطة (ت) بهذا البيت الذى تعلوه آثار الحشو :
فيا طالب العلم هلم الى العلا وكن أمنا فى كل أكناف جبهتى
[٦] ف : على
[٧] ط ، ت : قائما
[٨] ف : البنا / + هـ : الثنا
[٩] هـ : توى إليه
[١٠] ت : ملة

---

(1) طواف الأكوان بقلب الولى ، مشهد ذوقى يعاينه المقربون فى عروجهم الروحى إلى الحضرة الالهية ، وفى هذا المشهد يتحقق الصوفى بمقام الانسان الكامل ، حيث يصير قطبا للكون ، ونقطة تدور عليها أرجاء الوجود . وقد تناول ابن عربى هذه الفكرة بشىء من التفصيل (الفتوحات المكية ، السفر الأول ، فقرة ٣١٥ ـ المعجم الصوفى ص ١٥٨)
(2) النسبة المشار إليها هنا ، هى الخلافة المذكورة فى قوله تعالى : إنى جاعل فى الارض خليفة .. البقرة/٣٠ ، وهى الوارثة عن المقام المحمدى ، كما ورد فى الحديث الشريف : العلماء ورثة الانبياء .
(3) المقابلة الواردة فى صدر البيت وعجزه ، بين العلم والرواية ، هى المقابلة الذوقية بين الحقيقة والشريعة [العلم الباطن ، العلم الظاهر] فالعلم المشار إليه فى أول البيت ، كناية عن المعرفة اللدنية . أما النقل والرواية ، فإشارة إلى علوم الظاهر .

عَلَى الدُّرَّةِ الْبَيْضَاء (1) كَانَ اجْتِمَاعُنَا
وفِى قَـابَ قَوْسَيْنِ اجْتِمَـاعُ الأَحِبَّةِ

وَعَايَنْتُ إسْرَافيل وَاللَّوْحَ (3) وَالرِّضَا (١)
وَشَاهَدْتُ أَنْوَارَ(4) الْجَلَالِ(5) بِنَظْرَتِى

---

[١] ت : الرضى / هـ : الروضا / ط : القلم / + هـ : اللوح والرضا

---

(1) الدرة البيضاء فى لغة الصوفية ، كناية عن النور المحمدى الذى هو أول خلق الله ، كما ورد فى الحديث الشريف : أول ما خلق الله ، نور نبيك ياجابر . وقد نظر ابن عربى إلى الدرة البيضاء على أنها : العقل الأول (اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ٢٢) وأفرد لها كتابا أسماه : جواب عن مسألة الدرة البيضاء وهو العقل الأول (المعجم الصوفى ص ٤٥٩) أما عبدالكريم الجيلى ، فقد نظر الى الروح المحمدى والقلم الاعلى والعقل الأول ، على انهم « جوهر فرد » بدأت منه عملية الخلق (انظر : الفكر الصوفى ص ٨٦)

(2) إسرافيل ، اسم اعجمى يقال فى لغة : إسرافين (لسان ٢/١٣٧ ـ القاموس ٣/١٥٦) وهو الملك الموكل بالبوق يوم القيامة .

وعند الصوفية ، فهناك واحد من أصحاب الولاية على قلب اسرافيل ، يكون فى كل زمان هو صاحب علم إسرافيل (جامع كرامات الأولياء ، للنبهانى ص ٤٢) وفى تعريف ابن عربى للقطب ، يقول : هو الغوث ، والواحد الذى هو موضع نظر الله من العالم فى كل زمان ، وهو على قلب اسرافيل (اصطلاحات الصوفية ص ١٠) وقد نقل القاشانى تعريف ابن عربى بحروفه (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٤٥)

(3) راجع مفهوم [اللوح المحفوظ] فيما سبق .

(4) استكمالا لما ذكرناه عن المحاضرة والمكاشفة والمشاهدة ، يقول الدكتور حسن الشرقاوى : ثم تأتى الدرجة العليا ، وهى المشاهدة ، وفيها يكون الولى قد حضره الله تعالى إما كلاما أو برؤية .. ولا يمكن أن يختلط الأمر على صاحب المشاهدة ، فهو ملقى فى حضرة الحق تعالى (ألفاظ الصوفية ص ٢٨٠) وفى الفرق بين المكاشفة والمشاهدة ، يقول الصوفية : المكاشفة تلطف الكثيف ، والمشاهدة تكثف اللطيف (المعجم الصوفى ص ٦٦٥) والكثيف فى المصطلح الصوفى هو الموجودات الحسية وسائر الأكوان ، أما اللطيف فهو إشارة إلى الحقائق العلوية .

(5) أنوار الجلال : إحدى التجليات الالهية الثلاثة التى تتنزل على قلب الواصل ، التى هى تجليات : الجمال والجلال والكمال .

وَشَاهَدْتُ مافَوْقَ(١) السَّماوَاتِ(٢) كُلِّهَا
كَذَا الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيَّ(1) فِى طَيِّ قَبْضَتِى
وَكُــلُّ بِــلَادِ اللَّهِ مُلْكِى حَقِيقَــةً
وَأَقْطَابُهَا مِنْ تَحْتِ حُكْمِى وَطَاعَتِى

وُجُودِى(٣) سَرَى(٤) فِى سِرِّ سِرٍّ(2) الحَقِيقَةِ
وَمَــرْتَبَتِى فَاقَتْ(٥) عَلَى كُــلِّ رُتْبَـةِ

[١] ت : وشاهدتها فوق
[٢] .. السموات
[٣] أبيات ١٥ ، ١٦ ساقطة من مخطوطة ت - وورد فى موضعها :

وكلهم عنى يقــولــوا وينقلــوا ومــولاى مــا أعطــاهم كعطيتى
وليت عــلى كل البـلاد بأسرهــا لأقصى بــلاد الله حقت ولايتى
وليس بــأرض الله قطب مقطب تخلف عن قلبى وشورى وطاعتى

[٤] هــ : سرا بالسر
[٥] هــ : علا

(1) العرش والكرسى : لهذين اللفظين دلالات واسعة عند الصوفية (راجع ، المعجم الصوفى ص ٧٩١ : ٨٠٣) وفى محاولة لحصر الدلالات الذوقية لها ، يقول الجيلى : العرش - على الحقيق - هو مظهر العظمة الالهية ، ومكانة التجلى ، وخصوصية الذات ، وهو المكان المنزه عن الجهات الست ، وليس فوقه إلا الرحمن ، وقد عبر عنه الصوفية بأنه الجسم الكلى .. والكرسى هو وسع السماوات والارض ، كما ورد فى قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والارض ولايؤوده حفظهما .. البقرة/ ٢٥٥) فهو مظهر الاقتدار الالهى ومحل نفوذ الامر والنهى (الانسان الكامل ٤/٢ ، ٥)

(2) تشير مطلق كلمة [السر] إلى ما يخص الله به عباده فى التوجه الايجادى لمقام : كن ! ثم يضع الصوفية لهذا اللفظ اضافات ، فيقولون - كما يرد هنا - سر الحقيقة ، إشارة الى حقيقة الحق تعالى فى كل شيء (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٠٠) وهو مقام من قال : ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه .. وذلك دون حلول ، وإنما كشف ذوقى لعين القلب .

وَذِكْرِى جَلَى[١] الأَبْصَارَ بَعْدَ غِشَائِهَا
وَأَحْيَا فُؤَادَ (2) الصَّبِّ(3) بَعْدَ الْقَطِيعَةِ (4)

حَفِظْتُ جَمِيعَ الْعِلْمِ (4) صِرْتُ طِرَازَهُ[٢]
عَلَى خِلْعَةِ (5) التَّشْرِيفِ فِى حُسْنِ [٣] خَلْوَتِى(6)

[١] : جلا
[٢] ت : طرازهم
[٣] ف : حسن طلعة/ هـ : حسن خلعتى

(1) الفؤاد فى الاصطلاح الصوفى ، محل رؤية الله . كما فى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى .. سورة النجم / ١١) واسم الفؤاد أدق معنى من اسم القلب ، وإن كان معناهما قريب كقرب الرحمن والرحيم . وفى بيان الفرق بين الفؤاد والقلب يقول الحكيم الترمذى : إعلم أن الفؤاد ، وإن كان موضع الرؤية ، فإنما يرى الفؤاد ويعلم القلب : فالفؤاد مشتق من الفائدة ، لأنه يرى من الله فوائد حبه، فيستفيد الفؤاد بالرؤية ، ويتلذذ القلب بالعلم : وما لم ير الفؤاد ، لم ينتفع القلب بالعلم ! وقال بعض العارفين : إنما سمى الفؤاد فؤادا ، لأن فيه ألف واد (الترمذى : بيان الفرق ص ٦٢ : ٦٩)

(2) الصب : العاشق المحب .. راجع الصبابة فيما سبق .

(3) للقطيعة هنا معنيان ، الأول قريب يتضمن انقطاع العبد عن طريق الله ، والآخر بعيد يشير الى هبوط الروح بعد حضرة ألَسْتُ بربكم -وكلا المعنيين ينطبق على مراد الامام من البيت ، وقوله (وأحيا فؤاد الصب بعد القطيعة) إشارة إلى أن القطيعة ، فى معناها القريب أو البعيد ، هى على الحقيقة : موت الفؤاد.

(4) حينما يشير عبدالكريم الجيلى إلى تجلى صفة العلم الالهى على قلب الولى الكامل ، نراه يقول إن هذا الولى : يعلم أنذاك كل شىء ، كيف كان ، وكيف هو كائن .. ويعلم مالم يكن ، ولم لايكون (الانسان الكامل ٣٧/١) وهذا ما أشار اليه الامام هنا بقوله : حفظت جميع العلم !

(5) يقول الجيلى فى منظر الخلع والمواهب : فى هذا المنظر تعرف مراتب الأولياء ، فمنهم من ولايته من حيث (المواهب) الالهية ، بحكم مايورده الوقت والحال . ومنهم من ولايته من حيث (الخلع) بحكم ماتقضيه الصفات الذاتية ، وهم أخص وأعلى من أهل المواهب .. وتكون هذه الصفة هى الأغلب على حال الولى ، كصفة القدرة التى كانت خلعة الشيخ عبدالقادر (المناظر الالهية ص ٥٩)

(6) للخلوة عند الصوفية مفهوم خاص.. فهى نوع من رياضة النفس ، والصبر على المجاهدات وقطع =

قَطَعْتُ[١] جَمِيعَ[٢] الْحُجْبِ[1] لِلْحُبِّ[2] صَاعِداً[٣]
وَمَازِلْتُ[٤] أَرْقَى سَائِراً[٥] بِمَحَبتِى[٦]

[١] ـ هـ
[٢] ف : جميع العجب لله
[٣] ت : صاعد
[٤] غ : ولازلت/ ف : فمازلت
[٥] ط : صاعدا
[٦] ت : بمودتى/ ف : فى المحبة / ط ، هـ : لمحبتى

= مالوف العادات (ألفاظ الصوفية ص ١٥١) وهذه هى خلوة المريدين التى يلزمهم بها الشيخ فى بداية الطريق، كواحدة من الرياضات الصوفية الاربعة : الصمت ، الجوع ، السهر ، الخلوة .. إلا أن الخلوة المشار إليها هنا ، تختلف عن خلوة المريدين ، فهى كما يعبر عنها ابن عربى والقاشانى : محادثة السر مع الحق ، حيث لا ملك ولا أحد، وحيث لايرى غيره (اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ٢٣ ـ اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٦١) وربما كان الأصل فى هذه الخلوة الأخيرة ، هو ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، حين قال : لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل (انظر : كشف الخفاء للعلجوني ٣٤٤/٢)

(1) الحجب : الأستار .. ويرجع الصوفية فى قولهم بالحجب النورانية والظلمانية ، الى ما أشار إليه الحديث الشريف : إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه تعالى . ما انتهى اليه بصره (أخرجه : مسلم ، باب الايمان ٢٩٣ ـ ابن حنبل ، المسند ٤٠١/٤ ـ ٤٠٥ ـ ابن ماجة ، المقدمة ١٣)

(2) يدفعنا تأمل المعنى الوارد هنا ، إلى التساؤل : هل يستخدم الامام الجيلانى [الحب] فى هذا الموضع ، كمرادف للذات الالهية ؟! هذا مايبدو من النظرة الأولى ، وربما أرجعنا النظر مرات ، فيبدو الامام كما لو كان يرى للحب حجبا ، وهى التى قطعها جميعا ـ فى ترقيه الروحى ـ حتى وصل الى المحبة ، ولم يزل مترقيا بهذه المحبة ، حتى تجلى ربه له !

تَجَلَّى لِىَ السَّاقِى وَقَالَ إلىَّ قُمْ[١]
فَهَذَا شَرَابُ ٱلْحُبِّ[٢] فِى حَانِ حَضْرَتِى[٣]

تَقَدَّمْ وْلَا تَخْشَ كَشْفُنَا[٤] حِجَابَنَا (1)
تَمَلَّ(2) بِحَانِى[٥] وَالشَّرَابِ (3) وَرُؤْيَتِى (4)

---

[١] كذا فى جميع النسخ .
[٢] ف : الوصل/ ت : القوم
[٣] ت : خير حضرتى/ هـ : حال حضرتى
[٤] ط : يكشف
[٥] غ : تجلى بحانى /ف : تملى هنيئا/ط : تملى بحالى/هـ : تعش هنيئا تحظى بأشرف رؤية !

---

(1) كشف الحجاب : سقوط موانع المكاشفة ، بما يفضى إلى المشاهدة والرؤية ، كما كانت رابعة العدوية تقول (فكشفك لى الحجب حتى أراكا) وللصوفية كلام مطول فى كشف الحجب النورانية والظلمانية ، وتهيؤ القلب لقبول التجليات الالهية .. (راجع : الكشاف للتهانوى ٩/٢ ـ مشكاة الأنوار ص ٨٥ ـ ألفاظ الصوفية ص ١٣٥ ـ المعجم الصوفى ص ٣١٤)

(2) التملى ـ فى اللغة ـ من الملاوة والملا ، وهو مدة العيش . والاملاء : الامهال والتأخير وإطالة العمر (لسان العرب ٥٣٢/٣) والمعنى المراد فى البيت ، هو الاشارة إلى طول البقاء فى سماء الحضرة الالهية .
لكن هذا البقاء فى الحضرة ، وهو البقاء الثانى بعد الفناء الأول والثانى ، لايمكن أن يطول إلا بقدر معلوم ، فلابد من تفريق بعد الجمع ، وصحو بعد المحو ، للقيام بمقتضيات الشرع وإعطاء كل ذى حق حقه ! أما من غاب فى الأنوار واستهلك ، ولم يحضر بعد غيابه ، فذلك مايسميه الصوفية [المجذوب] وهو عندهم فى حكم : ما لا يعول عليه .

(3) انظر [الشراب] فيما سيأتى .

(4) فيما يتعلق بهذه الرؤية الواردة هنا [رؤية الله] يمكن النظر الى التناول التفصيلى لها فى مقالة الامام الجيلانى ، بعنوان : عقيدة الباز الأشهب (القسم الثانى من هذا الديوان) حيث يؤكد الامام عليها بعبارات ذوقية رقيقة ، وينكر على المعتزلة انكارهم لامكان رؤية الله تعالى .

شَطَحْتُ(1) بِهَا شَرْقاً وَغَرْباً وَقِبْلَةً
وَبَرّاً وَبَحْراً(١) مِنْ نَفَائِسِ خَمْرَتِى
وَلَاحَتْ لِىَ ٱلْأَسْرارُ(2) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ(٢)
وَبَانَتْ لِىَ ٱلْأَنْوارُ(3) مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ(٣)

---

[١] ط : وبرى وبحرى
[٢] + ط / ت : من شفق الرضا
[٣] هـ : جبهة

---

(1) ليس المراد بالشطح هنا ، ما اصطلح عليه الصوفية بصدد اقوال اهل الاحوال حين يعبرون عن أسرارهم دونما إذن إلهى (اللمع ص ٤٥٣ - تعريفات الجرجانى ص ١٣٢) وهى الظاهرة التى سعى الدكتور بدوى لتحليلها ، استنادا لبعض شطحات البسطامى والشبلى (شطحات الصوفية ص ٩ : ٤٨) وانما المراد بقول الامام : شطحت .. ، محض المعنى اللغوى! فالشطح فى اللغة ، يعنى الحركة . وشطح فلان : عدا طوره (التكملة والذيل ٣٤/٢)

(2) يعرض القاشانى لبعض الإسرار التى يخص الله بها العباد المقربين ، ودلالة كل سر منها ، فيقول :

سر العلم ، هو حقيقة العلم الذى هو عين الحق فى الحقيقة ، وغيره بالمجاز والاعتبار .
سر الحال ، ما يعرف من مراد الله فى الأوقات .
سر التجليات ، هو شهود حقيقة كل شىء عند انكشاف التجلى الاول للقلب .
سر القدر ، ما علمه الله تعالى من كل شىء فى الازل ، فلا يحكم على شىء إلا علمه الله من عينه أزلا
سر الربوبية ، توقفها على المربوب لكونها نسبة بين الرب والمربوب ، كما يقول سهل بن عبدالله : للربوبية سر لو ظهر لبطلت الربوبية
سر الربوبية ، هو ظهور الرب بصور الاعيان ، وشهود قياسها ووجودها بوجوده (اصطلاحات الصوفية ص ١٠١)
وفيما يتعلق بسر الحقيقة ومطلق كلمة السر ، راجع ماذكرناه فيما سبق .

(3) الأنوار : تجليات إلهية تشرق على قلب السالك إلى الحق تعالى . وقد افرد ابن عربى لهذه الانوار رسالة من رسائله الصغرى ، بعنوان (رسالة الانوار) وقام عبدالكريم الجيلى بشرحها فى كتابه : الاسفار عن رسالة الانوار (مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ١٢٧٧ تصوف/طلعت)
وتعد هذه الأنوار وتجلياتها الشهودية ، هى الأساس الذى اقام عليه السهروردى مذهبه الاشراقى (راجع : اصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى ص ١٣١ وما بعدها)

وَشَاهَدْتُ(١) مَعْنىً لَوْ بَدَا كَشْفُ سِرِّهِ
لِصُمِّ(٢) ٱلْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ لَدُكَّتِ

وَمَطلعُ شَمْسِ ٱلأُفْقِ ثُمَّ(٣) مَغِيبُهَا
وَأَقْطَارُ(٤) أَرْضِ الله فِى ٱلْحَالِ(٥) خَطْوَتِى[1]

أُقَلِّبُهَــا فِى رَاحَتَىَّ كَأُكْـرَةٍ[2] (٦)
أَطُوفُ بِهَا جَمْعاً عَلَى طُولِ لَمْحَتِى(٧)

أَنَا(٨) قُطْبُ أَقْطَابِ[3] ٱلْوُجُودِ حَقِيقَةً
عَلَى سَائِرِ ٱلأَقْطَابِ قَوْلِى وَحُرْمَتِى(٩)

---

[١] ـ ت ، هـ
[٢] ف : بصم
[٣] هـ : سرت
[٤] غ ، هـ : واقطع
[٥] غ ، هـ ، ف : فى حال/ت : حال خطوة
[٦] ت : كاكرة / بقية النسخ : ككورة
[٧] غ ، هـ : كاسرع لمحتى / ت : على كل لمحتى
[٨] ـ ت
[٩] ت : حقت ولايتى

---

[1] الاشارة هنا إلى [طى المكان] وهى واحدة من خوارق العادات للخاصة من أهل الله ، وتسمى فى حق الأنبياء [معجزة] كما فى إسراء النبى عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المسجد الأقصى : وتسمى فى حق الأولياء : كرامة (راجع المزيد عن هذه الكرامة فى : ألفاظ الصوفية ومعانيها ص ٢٤)

[2] الأكرة هى الحفرة فى الأرض .. يقول ابن منظور : ومن العرب من يقول للكرة التى يلعب بها [أكرة] واللغة الجيدة : الكرة (لسان العرب ٧٧/١)

[3] قطب الأقطاب : أخر المقامات التى يمكن أن يبلغها السالك . وهذه المرتبة العليا تعرف عند ابن عربى والجيلى بمقام [الانسان الكامل] وعند السهروردى [الحكيم المتاله] وعند ابن سبعين [المحقق] وهى اصطلاحات تشير فى الغالب الى حقيقة واحدة (راجع : الفكر الصوفى ص ٦٥ ومابعدها) ويعتبر صاحب هذا المقام فى وقته ، هو [رئيس الحكومة الباطنية] وهى التسمية التى طرحها الدكتور حسن الشرقاوى فى بحثه لنيل درجة الدكتوراه (راجع : الحكومة الباطنيه ص ٣٦ وما بعدها)

تَوَسَّلْ(1) بِنَا[١] فِى كُلِّ هَوْلٍ وَشِدَّةٍ
أُغِيثُكَ فِى[٢] ٱلْأَشْيَاءِ طُرًّا(2) بِهِمَّتِى

أَنَـا[٣] لِمُرِيـدِى حَافِظٌ مـا يَخَافُـهُ
وَأَحْـرُسُـهُ مِنْ كُـلِّ شَـرٍّ وَفِتْنَـةِ

مُرِيدِىَ[٤] إِذْ مَا كَانَ شَرْقاً وَمَغْرِباً
أُغِثْهُ[٥] إِذَا مَا سَارَ[٦] فِى أَىِّ بَلْدَةِ

فَيَا مُنْشِدَاً لِلنَّظْمِ قُلْهُ[٧] وَلَا تَخَفْ
فَإِنَّكَ مَحْرُوسٌ[٨] بِعَيْنِ ٱلْعِنَايَةِ(3)

---

[١] ت : بى .
[٢] هـ : فى الدنيا ويوم القيامة/ ت : فى الأشياء دهرا
[٣] - هـ .
[٤] - هـ .
[٥] ت : أغيث .
[٦] ف : صار .
[٧] ت : فيا منشد نظمى فقله .
[٨] هـ : مخروس !!

---

(1) التوسل بالأئمة ، اتخاذهم وسيلة للتقرب من الله ، بحسن الظن بهم والاقتداء بسيرهم وأعمالهم الصالحة ، ويستند أهل التصوف فى ذلك ، الى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة .. المائدة/ ٢٥) وقوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة .. الاسراء/ ٥٧) .
(2) الأشياء طرا : الأشياء جميعا .
(3) ظهرت فكرة اعتناء الشيخ بمريديه أينما كانوا ، منذ وقت مبكر فى تاريخ التصوف . وقد تعرض لها الامام الجيلانى فى مناسبات عديدة ثم انضافت الى هذه الفكرة ، فكرة أخرى تقول بعناية الشيخ بمريده ، حتى بعد وفاة الشيخ ! وفى دار الكتب بالقاهرة ، مخطوطتان تعالج هذا الموضوع ، الأولى بعنوان (نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله بعد الانتقال ، لشهاب الله الحموى)

وَكُنْ قَادِرِيَّ(1) الْوَقْتِ(2) لِلَّهِ مُخْلِصاً(١)

تَعِيشُ(٢) سَعِيدَاً صَادِقَاً(3) بِمَحَبَّتِى(٣)

---

[١] هـ : حافظا للوقت لله مخلصا .

[٢] غ : تعشى .

[٣] هـ : صديقا سعيدا صادقا بمحبتى/ف : المحبتى/ف : للمحبة ـ وقد وردت بعد هذا البيت ، لواحق فى بعض النسخ ، وضعها المريدون للترجيع فى حلقات الذكر القادرى ، ومعظمها (تخلص) على لسان الامام الجيلانى .

= والاخرى بعنوان (الماء الزلال فى إثبات الكرامات للأولياء بعد الاتصال ، للبليدى) ويكون اتصال الشيخ بمريده أنذاك ، بطريق التوجه أو الرؤية .. ويذكر أصحاب ترجمات الامام ، أن المتصرفين من الأولياء ـ فى قبورهم ـ أربعة ، أولهم الامام عبدالقادر الجيلانى (قلائد الجواهر ص٤٧ ـ بهجة الأسرار ص ٦٣) .

(1) وفقا لما نراه هنا ، فان الامام الجيلانى هو الذى خلع على مريديه لقب [القادرية] وهى التسمية التى غلبت على ذريته وأتباعه فى القرون التالية لوفاته ، وظلت حتى اليوم علما عليهم لم تخرج عن هذه التسمية ، غير فرقة قادرية بالمغرب العربى ، تعرف باسم : الجيلانية .

(2) الوقت عند الصوفية ، لا يقصد به الزمان ! فهو يشير الى [الحال] الحاضر للعبد . يقول الشيخ الأكبر : الوقت عبارة عن حالك فى زمن الحال ، لا تعلق له بالماضى ولا بالمستقبل (اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ٨) ومن هنا جاءت العبارة الشهيرة : الصوفى ابن وقته (الرسالة القشيرية ص٣٤) .

ولاهمية لفظ الوقت عند الصوفية ، بدأ به القشيرى هذا الباب الذى أفرده لتفسير الاصطلاحات الدائرة بين الطائفة ، وبيان ما يشكل منها (انظر : الرسالة القشيرية ص ٣٣) .

(3) سئل الامام الجيلانى عن الصدق . فقال : الصدق فى الأقوال والأعمال ، إقامتها على رؤية الحق سبحانه وتعالى .. والصدق فى الأحوال ، مضيها باقامة الخواطر للحق ، فلا يكون فيها كدر بمطالعة رقيب ، ولا منازعة ببقية من النفس (بهجة الأسرار ص ١٢٠ ـ قلائد الجواهر ص ٩١) .



(٤) قصـــيدة :

سَـــقَانِ حَبِيبِى

[الطـــويل]

★ فتوح الغيب
★ الفيوضات الربانية



سَقَانِي حَبِيبِي مِنْ شَرَابِ(2) ذَوِى الْمَجْدِ[١]

فَأَسْكَرَنِي حَقّاً فَغِبْتُ(2) عَلَى وَجْدِى(3)

وَأَجْلَسَنِي فِي قَابَ قَوْسَيْنِ(4) سَيِّدِى

عَلَى مِنْبَرِ التَّخْصِيصِ فِي حَضْرَةِ الْمَجْدِ [١]

حَضَرْتُ مَعَ الأَقْطَابِ فِي حَضْرَةِ اللِّقَا

فَغِبْتُ بِهِ عَنْهُمْ وَشَاهَدْتُهُ(5) وَحْدِى

---

[١] ف : فى حسن مقعدى .

---

(1) للشرب والشراب عند الصوفية دلالة خاصة ، فهو ما يحصل عند استجلاء طلعة المحبوب فى قلب العارف صاحب الشهود (كشاف اصطلاحات الفنون ٩١/٤) حيث تتلقى الأرواح والأسرار الطاهرة ما يرد عليها من الفتوحات الربانية (اللمع ص ١٧٤) وهو تعبير عما يجده أهل المحبة من ثمرات التجلى ونتائج الكشوفات (الرسالة القشيرية ص ٤٢) ولا يمثل الشرب أعلى هذه التجليات ولا أدناها (ألفاظ الصوفية ص ٢٠١) بل هو كما يذكر ابن عربى : أوسط التجليات (اصطلاحات الصوفية ص ١٣) .

ويفرق الصوفية بين صاحب الذوق [المتساكر] وصاحب الشرب [السكران] وصاحب الرى [الصاحى] ويقررون أن من يقوى حبه ، يتسرمد شربه .. ولا يورثه الشرب سكرا ، وانما صحوا بالحق (الرسالة القشيرية ص٤٢) وذلك هو المعنى الذى أشار اليه الامام الجيلانى ، حين كان يتكلم يوما ، فتداخل الناس فترة وعدم انتباه ! فنظر الى السماء ، وقال :

لَا تَسْقِنِي وَحْدِى فَمَا عَوَّدْتَنِي أَنِّى أَشِحُّ بِهَا عَلَى جُلَّاسِى

أَنْتَ الْكَرِيمُ وَهَلْ يَلِيقُ تَكَرُّماً أَنْ يَعْبُرَ النُّدَمَاءَ دَوْرُ الكَاسِ

فاضطرب الناس اضطرابا شديدا ، وتداخلهم أمر جليل (بهجة الأسرار ص ١٠٤) .

(2) أنظر [الغيبة] فيما يأتى .

(3) أنظر [الوجد] فيما يأتى .

(4) أنظر [قاب قوسين] فيما سبق .

(5) أنظر [الشهود ـ المشاهدة] فيما سبق .

فَمَـــا شَـــرِبَ ٱلْعُشَّـــاقُ إلاَّ بَقِيَّتِى
وَفَضْلَةُ كَاسَاتِى[١] بِهَا شَرِبُوا بَعْدِى

وَلَوْ شَرِبُوا مَاقَدْ شَرِبْتُ وَعَايَنُوا
مِنَ ٱلحَضْرَةِ ٱلعَلْيَاءِ صَافِىَ[٢] مَوْرِدِى[٣]

لأَمْسَوْا سُكَارَى قَبْلَ أَنْ يَقْرَبُوا[٤] ٱلْمُدَا
م- وَامْسَوْا حَيَارَى[1] مِنْ مُصَادَمِةِ[٥] الوِرْدِ

أَنَا البَدْرُ فِى الدُّنْيَا وَغَيْرِى كَوَاكِبُ
وَكُلُّ فتىً[2] يَهْوَى فَذَلِكُمْ عَبْدِى

---

[١] غ : كاسات .
[٢] ع : ذوى .
[٣] ف : موردى/ غ : الود .
[٤] ع : يقربوا لها .
[٥] ف : صادمة .

---

(1) الحيرة : مشهد من مشاهد سكر الشراب بكأس المحبة .. ولا يكون التحير إلا بعد فرط المحبة ، وهذا ما عبر عنه ابن الفارض حين قال فى مطلع احدى قصائده :

زِدْنِى بِفرطِ الحُبِّ فِيكَ تَحيُّراً وَارْحَمْ حَشىً بِلَظَى هَواكَ تَسَعَّرَا

(ديوان ابن الفارض ص ٢٣١)

(2) للفتى والفتوة دلالة خاصة عند القوم ، فالفتوة فى لغتهم اسم لمجموعة من الفضائل الواردة فى الآيات القرآنية (سورة الأنبياء/٦٠ - الكهف/ ١٠ - يوسف/ ٣٠) وقد أطلق على الحسن البصرى ، الذى يعد من كبار أقطاب التصوف فى القرن الثانى الهجرى ، لقب : سيد الفتيان (الملامتية والصوفية وأهل الفتوة ص ٢٥) يقول أبو عبدالرحمن السلمى : أصل الفتوة فى كل الأحوال ، استواء السر والعلانية فى جميع الأفعال والأقوال ، مع ترك الافتخار بالأعمال ، وحفظ ومراعاة الدين ، ومتابعة السنن ، واتباع ما أمر به الله واجتناب ما نهى عنه - ثم من موجبات الفتوة ، الصدق والوفاء والسخاء والحياء وحسن الخلق وكرم النفس وملاطفة الاخوان ومجانبة القبائح (المقدمة فى التصوف ص ٥٩) وهكذا يجمع الصوفية فى الفتوة ، معظم الآداب والأخلاق التى يتواصون بها .

وَبَحْرِى مُحِيطٌ بِالْبِحَارِ(1) بِأَسْرِهَا
وَعِلْمِى(2) حَوَى مَا كَانَ قَبْلِى وَمَا بَعْدِى

وَسِرِّى لَهُ الْأَسْرَارُ تُزْجَرُ(3) فِى الدُّجَا[١]
كَزَجْرِ سَحَابِ ٱلْأُفْقِ مِنْ مَلَكِ الرَّعْدِ

فَيَا[٢] مَادِحِى قُلْ مَا تَشَاءُ وَلَا تَخَفْ
لَكَ ٱلْأَمْنُ فِى الدُّنْيَا لَكَ ٱلْأَمْنُ فِى غَدِ

---

[١] ف : فى الزجر .
[٢] - غ .

---

(1) حينما يصل القطب الى مناهل العلم الالهى ، وتتواتر عليه تجليات المعرفة اللدنية ، لا يجد فى اللغة العادية ما يعبر عن حاله ، فيقول رمزا : بحرى بلا شاطىء ـ وهو اصطلاح صوفى ، يوضحه الدكتور حسن الشرقاوى فيقول : ان الله تعالى لا ينقطع علمه ولا يفنى فهو كالبحر بلا شاطىء ـ كما وصف نفسه فى الآية الكريمة (ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله .. لقمان/٢٧) فالصوفى يستقى نبعه من علم الله الذى لا ينفد ، ومن أسرار الله التى لا تنقطع ، ولذلك يقول من وصل لهذا المقام : بحرى بلا شاطىء (ألفاظ الصوفية ص ٨٢ ، ٨٣) وكثير ما كان الامام الجيلانى يقول : أنا بحر لا ساحل له ـ مشيرا الى هذا المعنى .

(2) يؤكد عجز البيت على ما ذكرناه من أن المراد بالبحر المحيط : العلم الوهبى .

(3) الزجر فى اللغة ، الحث . فيقال : زجرت البعير ، حتى ثار ومضى (لسان العرب ١٢/٢) والمراد من البيت ، هو ما سبق الاشارة اليه من أن العلم الموهوب لقطب الأقطاب ، والأسرار اللدنية المودعة فى قلبه ، هى النبع الذى يستقى منه سائر الأقطاب أسرارهم . ومن هنا قال الامام : فلا عالم إلا بعلمى عالم (الوسيلة ٣٧) فلا علم إلا من بحار وردتها (القصيدة الشريفة البيت العاشر)

وعلى هذا النحو ، فان السر الكامن فى قلب القطب ، هو قبلة تسير اليها قلوب العارفين ، يزجرها التشوف والتشوق ، كما يزجر ملك الرعد سحاب الأفق !

فإنْ شِئْتَ أنْ تَحْظَى بِعِزٍّ وَقُرْبَةٍ
فَدَاوِمْ عَلَى حُبِّى وَحَافِظْ عَلَى عَهْدِى[1]

(1) لمطلق كلمة [عهد] عند الصوفية معنيان . الأول [العهد الأول] الذى أخذه الله على أرواح بنى آدم ساعة أشهدهم على أنفسهم أنه ربهم ، فالعهد بهذا المعنى يرادف : إيمان الذر ـ قبضة الذرية ـ الميثاق الأول ـ الميثاق الخالص ـ فطرة : بلى (المعجم الصوفى ص ١١٢٧) وقد احتلت أية العهد والميثاق الواردة فى سورة الأعراف (الآية ١٧٢) مكانة مرموقة فى الفكر الصوفى منذ عصر الجنيد ، الذى أقام بنيان تصوفه عليها ، حيث رأى الانسان فى هذه الآية : موجودا لربه فقط ، مفقودا لكل ما عداه (المعجم ص ١١٢٨) ولم يخرج بقية الصوفية عن هذا المفهوم للعهد الأول . وعدُّوه : التوحيد الشهودى الخالص .

أما العهد بالمعنى الآخر ، فهو ما درج عليه شيوخ الطرق الصوفية من إلزام المريد بالمحافظة على حقوق سلوك الطريق فى الظاهر والباطن ، والتزام المريد فى حضرة شيخه بذلك ، خلال صيغة تختلف من طريق لأخرى . ومنذ القرن العاشر الهجرى أصبح لهذا العهد مراسم خاصة وكيفية معينة (راجع كيفية تلقى المريد للعهد القادرى ، بالفيوضات الربانية ص ٢٩) كما اصبح علامة على بداية سلوك المريد وانتظامه فى الطريقة .

(٥) قصـــيدة :

الأســـماء الحســـنى

[الطـــويل]

★ الفيوضات الربانية

★ مخطوط دار الكتب (رقم ٦٥٥ تصوف/طلعت)



شَرَعْتُ بِتَوْحِيدِ الإلَهِ مُبَسْمِلاَ
سَأَخْتِمُ بِالذِّكْرِ الْحَمِيدِ مُجَمِّلاَ

وَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لاَرَبَّ غَيْرُهُ
تَنَزَّهَ عَنْ حَصْرِ الْعُقُولِ تَكَمُّلاَ

وَأَرْسَلَ فِينَا أَحْمَدَ الْحَقِّ[١] مُقْتَدى(1)
نَبِياً بِهِ قَامَ الْوُجُودُ(2) وَقَدْ[٢] خَلاَ(3)

فَعَلَّمَنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مُؤَيَّدٍ[٣]
وَأَظْهَرَ فِينَا الْعِلْمَ وَالْحِلْمَ[٤] وَالْوَلاَ

---

[١] ف : الحق قيدا
[٢] ط : وقد حلا
[٣] ط : مؤبد
[٤] ف : الحلم والعلم

---

(1) قوله [مقتدى] من القدوة .. وقد استبعدنا كلمة [قَيْدا] الواردة في نسخة ف . لعدم جوازها في المعنى ، فالْقَيِّدُ في اللغة : الذى إذا أقدته ساهلك واتبعك (لسان العرب ٣٠٠/٣)

(2) قيام الوجود بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ باعتباره حقيقة وجودية [انطولوجية] للكون . واحدة من أهم الافكار الصوفية التى ظهرت بقوة منذ القرن السادس الهجرى . فقد تعرض لها ابن عربى بشكل مباشر فى الفتوحات وفصوص الحكم ، وابن الفارض فى التائية الكبرى . كما عرض لها بالتفصيل كل من عبدالكريم الجيلى فى الانسان الكامل ، وابن سبعين فى بُدّ العارف .. وقد ظلت هذه الفكرة متواجدة فى المحيط الفكرى حتى القرن العاشر الهجرى . فنجد العيدروس يتناولها بالتفصيل ، مؤكدا بها معنى الحديث الشريف : كنت نبيا وآدم بين الماء والطين (النور السافر ، لشمس الشموس محيى الدين العيدروس ص ٢ : ٥)

(3) قوله [وقد خلا] أى خلا الوجود من حضوره ..صلى الله عليه وسلم ـ الجسمانى ، وظل الوجود مع ذلك قائما بحقيقته [الحقيقة المحمدية] وإلى هذا أشار الحق تعالى فى قوله (إن الله وملائكته يصلون على النبى .. الاحزاب/٥٦) مما يعنى وجوده الدائم .. إذ جاءت [يصلون] بصيغة المضارعة !

فَـا طَـالِبـاً عِـزّاً وَكَنْـزاً وَرِفْعَـةً
مِنَ الله فَادْعهُ(١) بِأَسْمَائِهِ(٢) الْعُلاَ(1)

---

[١] ف : فادعوه
[٢] ط : باسماءه .. والوزن العروضى مضطرب فى عجز البيت

---

(1)روى عن أبى هريرة ، انه صلى الله عليه وسلم قال : إن لله تسعة وتسعين إسما ، من احصاها دخل الجنة (اخرجه البخارى فى التوحيد ١٢ ، والشروط ١٨ ـ والترمذى فى الدعوات ٨٣ ـ وابن حنبل فى المسند ٢٥٨/٢ ، ٢٦٧ ، ٣١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٣ ، ٥١٦)

ومنذ القرن السادس الهجرى ، توالت إشارات الصوفية إلى أسرار اسماء الله الحسنى ، وما لكل اسم من خواص وفوائد وشروط يجب أن تتوافر فى الداعى بهذا الاسم ، وقد ظهرت هذه الاشارات مشتتة بين فقرات الفتوحات المكية ، وغيرها من الكتابات الصوفية فى هذه الحقبة . وكتاب أحمد بن على البونى ـ المتوفى فى ٦٢٢ هجرية ـ بعنوان (شمس المعارف الكبرى) من أشهر ما كتب فى هذا الباب ، يصفه حاجى خليفة بقوله : والمقصود من هذا الكتاب ، أن يعلم شرف أسماء الله تعالى ، وما أودع فى بحرها من انواع الجواهر الحكيمات ، وكيفية التصريف بالأسماء والدعوات (كشف الظنون ١٧٠/١) وفى شمس المعارف ، افرد البونى فصلا لخواص كل اسم من الأسماء التسعة والتسعين ، بادئا بقوله تعالى « فلا تعلم نفس ما أخفى لها من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » فهو يرى هذه الآية ، إشارة الى إحصاء الاسماء الحسنى (شمس المعارف الكبرى ١٥٩/٢)

وفى مقدمة الجزء الثالث من شمس المعارف ، يشير البونى الى ان له فى اسرار هذه الأسماء الحسنى ، خمسين مجلدا ، لا يعرفها إلا اهل الاعتبار .. ويشرع بعد ذلك فى بيان انماط أسرار الأسماء على وجه الاشارة والاختصار ، ليستوعب بذلك الجزئين الثالث والرابع . وهو يختتم الكتاب بقوله : اعلم ايها الواصل إلى كتابى هذا ، انى صرحت لك فى ابوابه بما الهمنى الله تعالى .. فرمزت الطف مما رمزوه ، وصرحت عن بعضٍ ما كتموه ، ولولا خيفة إذاعة الاسرار ، لرفعت الاسناد ، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم إفشاء سر الربوبية كفر (؟!) ومن اراد ترقى حضيض النفس الى جنة المأوى ، فعليه بمطالعة كتابى هذا مرة بعد اخرى .. واعلم أن كتابى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (شمس المعارف ص ٥٣٣ ، ٥٣٤) وهكذا ينتهى هذا الكتاب العجيب ، الذى لايزال فى حاجة الى بحث طويل فى اصوله ونصوصه ، وبيان اثر هذا اللون من الكتابة فى تفكير الحقبة التى عاش فيها البونى .

وَقُلْ[١] بِانْكِسَارٍ بَعْدَ طُهْرٍ وَقُرْبَةٍ[1] : فَـأَسْأَلُـكَ اللَّهُمَّ نَصْـراً مُعَجَّـلا

بِحَقِّـكَ يَارَحْمَنُ بِـالـرَّحْمَـةِ الَّتِى أَحَاطَتْ[2] فَكُنْ لِى يَا رَحِيمُ مُجَمِّلا

وَيَا مَلِكٌ قُدُّوسُ قَـدِّسْ سَرِيـرَتِى وَسَلِّمْ وُجُودِى يَاسَلاَمُ مِنَ الْبَلا

وَيَا مُؤْمِنٌ هَبْ لِى أَمَانَاً مُحَقَّقَاً وَسِتْـراً جَمِيـلاً يَـامُهَيْمِنُ مُسْبَلاَ

عَزِيزٌ أَزِلْ عَنْ نَفْسِىَ الذُّلَّ وَاحْمِنِى بِعِـزِّكَ يَا جَبَّـارُ مَا كَـانَ[٢] مُعْضِلاَ

وَضَـعْ جُمْلَةَ الأَعْـدَاءِ يَـا مُتَكَبِّـرٌ وَيَا خَالِقٌ خُذْ لِى عَنِ الشَّرِّ مَعْزِلاَ

وَيَا بَارِئَ النَّعْمَاءِ زِدْ[٣] فَيْضَ نِعْمَةٍ أَفَضْتَ عَلَيْنَـا[٤] يَـامُصَـوِّرُ أَوَّلاَ

رَجَـوْتُكَ يـا غَفَّارُ فَـاقْبَـلْ لِتَـوْبَتِى بِقَهْـرِكَ يَـا قَهَّـارُ شَيْطَانِىَ اخْـذُلاَ

---

[١] فقل
[٢] ط ماكان/ من كل
[٣] ط افض بنعمة
[٤] ط كما قد افضت

---

(1) المراد بالقربة هنا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل كما ورد في الحديث القدسى اما [الطهر] فيحتمل معنيين الوضوء ـ طهارة القلب.
(2) الإشارة لقوله تعالى ورحمتى وسعت كل شىء الاعراف/١٥٦

وَهَبْ لِـــىَ[١] يا وَهَّابُ عِلْماً وَحِكْمَة
وَلِلرِّزْقِ يَا رزَّاقُ كُنْ لِى مُسَهِّلَا

وَبِالفَتْحِ[1] يَا فَتَّاحُ نَوِّرْ بَصِيرَتِى[2]
وَعِلْمــاً أَنِلْنِى[٢] يَـا عَلِيمُ تَفَضُّـلَا

وَيَا قَابِضْ اْقبِضُ قَلْبَ كُلِّ مُعَانِدٍ
وَيَا بَاسِطُ ابْسُطْنِى[3] بِأَسْرَارِكَ الْعُلَا

[١] ف : بحقك ـ والكلمة مشطوبة فى ط ، واصلحها الناسخ بما أثبتناه
[٢] ف : وبالعلم نلنى

(1) الفتح ، هو إلقاء الله للمعانى بقلب العبد المؤمن ، بحيث يكون كلامه بالله ولله وفى الله وقد أخبر الامام عن حاله قائلاً : ما ثنيت فى كلامى قط ، ولا تكلمت إلا بالفتح (بهجة الاسرار ص ٩٢ - قلائد الجواهر ص ٣٩) وربما كان ذلك سببا فى أن يكون كلام الامام قد جمع تحت عنوانين هما : فتوح الغيب ـ الفتح الربانى .. فكلاهما يشير الى الفتح !

(2) البصيرة ، هى النور الربانى الذى يرى به المؤمن .. كما ورد فى قوله صلى الله عليه وسلم (إتقوا فراسة المؤمن ، فإنه يرى بنور الله) وهى بذلك تختلف عن البصر ، فيقال البصر على ما يخص الظاهر من الأشياء ، أما البصيرة فتقال لرؤية باطن الشىء بهذا النور الالهى . وللامام الجيلانى مؤلف بعنوان : دعاء فتح البصائر ، عبارة عن توجه صوفى واستشفاف ذوقى لمعانى الفاتحة (المجموعة الخطية المحفوظة بجامعة القاهرة ، برقم ١٥٦٨٧/ تصوف ـ ورقة ١٣ ب)

(3) البسط عند الصوفية يقابل القبض ـ الوارد فى صدر البيت ـ فالقبض فى لغتهم هو غلبة الخوف ، اما البسط فهو غلبة الرجاء (ألفاظ الصوفية ص ٢٥٦) وكلاهما من أحوال المؤمن السالك ، حيث يكون القبض معرفة والبسط توليا (اللمع ص ١٥٦) كما ورد فى قوله تعالى : والله يقبض ويبسط واليه ترجعون .. البقرة/٢٤٥

ويشير القشيرى إلى أن الفرق بين القبض والبسط ، فرق فى الوارد الالهى (الرسالة القشيرية ص ٣٥) وعن البسط يقول ابن عربى والقاشانى : هو ما يسع الأشياء ، ولا يسعه شىء (اصطلاحات ص ١٢ ـ اصطلاحات ص ٣٧) وذلك هو المعنى الذى أراده الامام بقوله : ابسطنى بأسرارك العلا .

وَيَاخَافِضُ اَخفِضْ قَدْرَ كُلِّ مُنَافِقٍ وَيَارَافِعُ اَرفَعْنِى بِرَوْحِكَ[1] أَسْأَلاَ[١]

سَــأَلْتُــكَ عِــزّاً يَا مُعِزُّ لِأَهْلِهِ مُـذِلٌّ فَـذِلَّ[٢] الــظَّالِمِينَ مُنَكِّـلاَ

وَعِلْمُكَ كَافٍ يَاسَمِيعُ فَكُنْ إِذَنْ[٣] بَصِيــراً بِحَالِى مُصْلِحَـاً مُتَقَبِّـلاَ

وَيَا حَكَمٌ [٤] عَدْلُ لَطِيفٌ بِخَلْقِهِ خَبِيــرٌ بِمَا يَخْفَى وَمَـاهُوَ مُجْتَـلاَ

فَحِلْمُكَ قَصْدِى يَـاحَلِيمُ وَعُمْدَتِى وَأَنْتَ عَظِيمٌ عُظْمُ[٥] جُودِكَ قَدْ عَلاَ[٦]

غَفُـورُ وَسَتَّـارُ عَلَى كُـلِّ مُـذْنِبٍ شَكُورٌ[2] عَلَى أَحْبَابِهِ كُنْ مُوَصِّلاَ[٧]

---

[١] ف : اثقلا .. والكلمة حقها الرفع
[٢] ط : أذل
[٣] .: اذا
[٤] .: فيما حكم
[٥] + ط : قدر جودك
[٦] ط : على
[٧] ط : كن موصلا

---

[1] والرَوْحُ والرُّوحُ ـ لهما معان متعددة ، فهما يعنيان : الرحمة والرزق ـ القرآن ـ الوحى ـ جبريل ـ عيسى ـ أمر النبوة ـ حكم الله (انظر ، لسان العرب ١٢٤٧/١ ـ القاموس المحيط ٢٣٠/١ ـ التكملة والذيل ٢٣/٢) والرَّوْحُ كلمة قرآنية وردت فى قوله تعالى (فروْحٌ وريحان .. الواقعة / ٨٦) إشارة إلى ثواب المقربين .. وإتيان الامام بكلمة الروح هنا ، يحتمل جميع المعانى التى ذكرناها !

[2] يقول الامام الجيلانى ، وصف الله تعالى نفسه بالشكور توسعا ، معناه أنه يجازى العباد على الشكر .. فسمى جزاء الشكر شكرا ، كما قال عز وجل : وجزاء سيئة سيئة مثلها (الغنية ١٣٤٩/٣)

عليٌّ وَقَدْ أَعْلَى مَقَامَ[1] حَبِيبِهِ
كَبِيرٌ كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالجُودِ مُجْزِلاَ

حَفِيظٌ فَـلاَ شيءٌ يَفُـوتُ لِعِلْمِـــهِ
مُقِيتٌ[2] يُقِيتُ[١] الْخَلْقَ أَعْلَى[٢] وَأَسْفَلاَ

فَحُكْمُـكَ حَسْبِى يَاحَسِيبُ تَـوَلَّنِى
وَأَنْتَ جَلِيلٌ كُنْ لِخَصْمِى[٣] مُنَكِّلاَ

إلهِى كَرِيمٌ أَنْتَ فَاكْـرِمْ مَوَاهِبِى
وَكُنْ لِعَـدُوِّى يَارَقِيبُ مُجَنْـدِلاَ[3]

---

[١] ف : نقيب
[٢] ط : اعلا
[٣] ف : لغمى

---

(1) المقام كلمة قرآنية يراد بها الموضع المكانى (البقرة/ ١٢٥ ـ الشعراء/ ٥٨ ـ النمل/ ٣٩) ويراد بها أيضا : المنزلة والمرتبة (الاسراء/ ٧٩ ـ الرحمن/ ٤٦ ـ الدخان/ ٥١)، والمفهوم الصوفى لهذا اللفظ . يقترب من المراد القرآنى الثانى له . فالمقام عند القوم هو مايصل اليه العبد من منزلة عند الله ، بما داوم عليه من العبادات والمجاهدات (الفاظ الصوفية ص ١٣٣)
ويفرق الصوفية بين الحال [كالقبض والبسط والحزن والأنس] وبين المقام [كالصبر والشكر والتوكل والرضا] على اعتبار أن الحال هو مايرد على القلب من غير اجتلاب ، فإذا دام العبد على أمر فى معاملته مع ربه ، سمى مادام عليه مقاما (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٥٧) ومن هنا تقول العبارة الصوفية الشهيرة : الأحوال مواهب والمقامات مكاسب .. ولكل مقام صوفى بدء ونهاية ، وبينهما أحوال متفاوتة . ولكل مقام علم ولكل حال اشارة (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٠٦)

(2) المقيت هو الحفيظ المقتدر . يقول ابن منظور : فى أسماء الله [المقيت] وهو من أقاته يقيته ، إذا أعطاه قوته . وهو الحفيظ الذى يعطى الشىء قدر حاجته (لسان ١٨٣/٣)

(3) الجندل : الحجارة .. والجنادل : الشديد من كل شىء (لسان ٥١٣/١) ، وجندله أى قتله ومثلها جدله .

دَعَوْتُكَ يَا مَوْلى[1] مُجِيبًا لِمَنْ دَعَا[2]
قَدِيمَ الْعَطَايَا وَاسِعَ الْجُودِ فِى الْمَلاَ

إِلَهِى حَكِيمٌ أَنْتَ فَاحْكُمْ مَشَاهِدِى
فَــوُدُّكَ عِنْـدِى يَـا وَدُودُ تَنَـزَّلاَ

مَجِيدٌ فَهَبْ لِى الْمَجْدَ وَالسَّعْدَ والْوِلاَ
وَيَا بَاعِثُ أَبعَثْ جَيْشَ نَصْرِى[3]مُهَرْوِلاَ

شَهِيدٌ عَلَى الأَشْيَاءِ طَيِّبْ مَشَاهِدِى
وحَقِّقْ لِى بِاحَقُّ الْمَوَارِدِ مَنْهَــلاَ

إِلَهِى وَكِيلٌ أَنْتَ فَاقْضِ حَوَائِجِى
وَيَكْفِى إِذَا كَـانَ الْقَوِىُّ مُـوَكَّـلاَ

مَتِينٌ فَمَتِّنْ ضَعْفَ حَوْلِى وَقُوَّتِى
أَغِثْ يَا وَلِىُّ مَنْ دَعَاكَ تَبَتُّلاَ(1)

حَمَدْتُكَ يَا مَوْلىً حَمِيداً[5] مُوَحِّداً
وَمُحْصِى زَلاَّتِ[6] الْوَرَى كُنْ مُعَدِّلا[7]

---

[١] ط : مولا
[٢] ط : دعى
[٣] ف : نصر جيشى
[٤] ف : لى حق
[٥] ط : يامولاى حمدا
[٦] ط : لزلات
[٧] ف : ومعدلا

---

(1) التبتل الى الله ، الانقطاع والاخلاص له . وفى القرآن الكريم (وتبتل اليه تبتيلا .. المزمل/ ٩) وفى اللغة ، التبتل هو الانقطاع عن الدنيا لله تعالى ، ويقال للعابد [متبتل] اذا ترك كل شىء ، وأقبل على العبادة (لسان العرب ١/ ١٥٧) ولايختلف المفهوم الصوفى عن هذا المعنى اللغوى للكلمة ، فهو عندهم : الاسترسال مع الله ، والاستسلام له .

إلَهِى مُبْدِى الْفَتْحَ لِى أَنْتَ وَالْهُدَى
مُعِيدُ لَما فِى الْكَوْنِ إنْ بَادَ[١] أَوْ خَلاَ

سَــأَلْتُكَ يَـا مُحْيى حَيَـاةً[٢] هَنِيئَـةً
مُمِيتُ أَمِتْ[٣] أَعْدَاءَ دِينِى مُعَجِّلا[٤]

وَيَا حَىُّ أَحْيِ مَيْتَ قَلْبِى بِذِكْرِكَ الْــــ
قَدِيمِ[٥] وَكُنْ[٦] قَيُّومَ سِرِّى مُوَصِّلاَ

وَيَا وَاجِدَ الْأَنَــوَارِ أَوْجِدْ مَسَـرَّتِى
وَيَا مَاجِدَ الأَنْوَارِ[1] كُنْ لِى مُعَوِّلاَ

وَيَـا وَاحِـدُ مَـا ثَمَّ إلَّا وُجُـودُهُ[2]
وَيَا صَمَدٌ قَامَ الْوُجُــودُ بِهِ عَـلاَ

---

[١] فى ط كتب الناسخ (بدا) ثم صححها بين السطور
[٢] ط : حيوة
[٣] ف : أمت يامميت
[٤] ط : وعجلا
[٥] تدوير البيت غير وارد فى ط
[٦] ف : فكن

---

(1) تكررت كلمة [الانوار] فى شطرى البيت ، وربما كانت [الأسرار] فى الثانية أصلح ! وفيما يتعلق بالمفهوم الصوفى للأنوار والأسرار ، راجع ماذكرناه فيما سبق .

(2) هذه الاشارة الفريدة الى الله تعالى بقوله [ما ثم إلا وجوده] هى عين إشارة الجنيد حين قال : المُحْدَثُ : إذا قرن بالقديم لايبقى له وجود (المعارف الغيبية للنابلسى ص ١٤٤) وكلا الاشارتين تعبير عن مشهد ذوقى تتلاشى فيه الاغيار تماما ، ولايبقى مشهودا إلا الله . وهو المشهد الذى قامت عليه نظرية [الوحدة] التى ظهرت بشكل جلى عند ابن عربى وابن سبعين والجيلى ، والتى اتهم القائلون بها بالاعتقاد فى وحدة الوجود ! وقد سبق لنا مناقشة هذه النظرية باستفاضة فى بحثنا للماجستير ، حيث حاولنا الوقوف على المفهوم الصوفى الدقيق لهذه النظرية ، واقترحنا تسميتها : الوحدة الالهية (انظر : الفكر الصوفى ، ص ١٥٥ ومابعدها)

وَيَا قَادِرٌ ذَا[١] الْبَطْشِ أَهْلِكْ عَدُوَّنَا
وَمُقْتَــــدِرٌ قَــدِّرْ لِحُسَّــادِنَــا الْبَــلاَ

وَقَــدِّمْ لِسِــرِّى يَــــا مُقْــدِّمُ عَــافِنِى
مِنَ الضُّرِّ فَضْلاً يَامُؤَخِّرُ ذَا الْعُلا[٢]

وَأَسْبِقْ لَنَـــا الْخَيْــرَاتِ أَوَّلَ أَوَّلاَ
وَيَا آخِرُ اخْتِمْ لِى أَمُوتُ مُهَلِّلاَ(1)

وَيَا ظَاهِرٌ أَظْهِرْ لِى مَعَارِفَكَ الَّتِى
بِبَاطِنِ غَيْبِ الْغَيْبِ يَا بَاطِنٌ وَلاَ(2)

وَيَا وَالٍ[٤] أَوْلِ أَمْرَنَا كُلَّ نَاصِحٍ
وَمُتْعَالِ أَرْشِدْهُ وَأُصِلحْ لَهُ الْوَلاَ

وَيَا بَرٌّ يَارَبُّ الْبَرَايَا وَمُوهِبَ[٥] الْـــ
ـعَــطَايَا وَيَـــا تَــوَّابُ تُبْ وَتَقَبَّــلاَ

وَمُنْتَقِمٌ مِنْ ظَـــالِمِينَ[٦] نُفُــوسَهُمْ
كَذَاكَ عَفُوٌّ أَنْتَ فَاعْفُ[٧] تَفَضُّلاَ

[١] ط ، و : ذو البطش
[٢] ط ، و : ذو العلا
[٣] :. يا باطنا
[٤] ف : والى
[٥] + ط : وواهب
[٦] ط : للظالمين / ف : ظالمى
[٧] :. فاعطف

(1) الاهلال : رفع الصوت بالتلبية . واصله رفع الصوت، فكل رافع صوته فهو : مهل (لسان ٨٢٢/٣) فيكون المراد : تمنى الموت مهلا بالشهادة

(2) يريد الامام هنا ان يقول : أظهر لى معارفك الغيبية ، ولاء منك وتوليا . وقوله [ولا] هو تخفيف لكلمة [ولاء]

عَـطُوفٌ رَءُوفٌ بِـالْعِبَـادِ وَمُسْعِفٌ
لِمَنْ قَدْ دَعَا يَامَالِكَ الْمُلْكِ أَجْزِلَا[١]

فَــأَلْبِسْ لَنَا يَـاذَا الْجَلَالِ جَـلَالَةً
فَجُودُكَ بِالإِكْرَامِ[٢] مَازَالَ مُهْطِلَا

وَيَا مُقْسِطُ ثَبِّتْ عَلَى الْحَقِّ مُهْجَتِى
وَيَا جَامِعُ اجْمَعْ لِى الْكَمالَاتِ فِى المَلَا

إِلَهِى غَنِىٌّ أَنْتَ فَـاذْهِبْ لِفَـاقَتِى
وَمُغْنٍ فَأَغْنِ فَقْرَ نَفْسِى لِمَا خَلَا

وَيَا مَانِعُ امْنَعْنِى مِنَ الذَّنْبِ وَاشْفِنِى[٣]
مِنَ السُّوءِ مِمَا قَدْ جَنَيْتُ تَعمُّلَا

وَيَــا ضَارُّ كُنْ لِلْحَـاسِدِينَ مُـوَبِّخاً
وَيَــانَافِـعُ أَنْفَعْنِى بِرُوحٍ مُحَصَّـلَا

وَيَانُورُ أَنْتَ النُّورُ فِى كُلِّ مَابَدَا(1)
وَيَاهَادِ كُنْ لِلنُّورِ فِى الْقَلْبِ مُشْعِلَا

بَدِيعَ الْبَرَايَا أَرتَجِى فَيْضَ فَضْلِهِ[٤]
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْتَ بَاقٍ(2) لَهُ الْوَلَا

[١] ف ، ط : معقلا / + ط : اجزلا .
[٢] ف : والاكرام .
[٣] ف : فاشفنى .
[٤] ف : ارجو من فيض لطفه .

(1) اشارة لقوله تعالى : الله نور السموات والارض . النور / ٣٥ .
(2) يحمل المعنى الوارد هنا على وجهين : الاول ما أشرنا اليه قبلا عند الكلام عن المشهد الذوقى الذى يتلاشى فيه كل ما سوى الحق تعالى . والذى قال فيه الامام الجيلانى : يا واحد ما تم إلا وجوده (بيت رقم ٣٨) والوجه الاخر لما يمكن ان يحمل عليه البيت . هو قوله تعالى : كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام . الرحمن / ص ٢٧

وَيَاوَارِثُ اجْعَلْنِى لِعِلْمِكَ وَارِثاً[1] وَرُشْداً أَنِلْنِى يـارشِيـدُ تَجَمُّلاَ
صَبُـورُ وَسَتَّارُ فَـوَفِّقْ عَـزِيمَتِى على الصَّبْرِ وَاجْعَلِ لى اخْتِياراً[١] مُزَمِّلاَ[2]

---

[١] + ط : اختيارا مسهلا .

---

(1) العلم المذكور هنا ، يراد به العلم اللدنى . ولهذا العلم أهله الذين يرثون عن الأنبياء ، كما ورد فى الحديث الشريف : العلماء ورثة الأنبياء (أخرجه البخارى فى الصحيح ، والترمذى وأبو داود وابن ماجه والدارمى فى السنن ، وابن حنبل فى المسند ، والغزالى فى الاحياء .. وهو صحيح متفق عليه) .

وتعرف تجليات العلم الالهى عند الصوفية ، بالوراثة عن المقام المحمدى ، وعن غيره من مقامات الأنبياء . يقول الشيخ الأكبر : لا يقال فى أحد من أهل هذه الطريقة أنه (محمدى) إلا لشخصين ، إما شخص اختص بميراث علم من حكم لم يكن فى شرع قبله ، فيقال له (محمدى) واما شخص جمع المقامات ثم خرج منها الى لا مقام - كأبى يزيد البسطامى و أمثاله - فهذا أيضا يقال له (محمدى) وما عدا هذين الشخصين ، فينسب الى نبى من الأنبياء . ولهذا ورد فى الخبر (العلماء ورثة الأنبياء) ولم يقل ورثة نبى خاص (الفتوحات المكية ، السفر الثالث فقرة ٣٢٢) .

وبهذا يكون دعاء الامام الجيلانى للوارث عز وجل ، أن يجعله من الوارثين لعلمه عن أنبيائه تعالى . وقوله عقب ذلك (ورشدا) لبيان اقتران هذا العلم اللدنى بالرشد ، كما اقترن فى قول موسى عليه السلام للعبد الصالح : هل أتبعك على أن تعلمن مِمَّا علمت رشدا .. سورة الكهف / آية ٦٦ .

(2) الزمل فى اللغة ، العدو والاسراع اعتمادا على رجل واحدة (لسان العرب ٤٦٧٢) وعلى ذلك تكون الاشارة إلى الاختيار الذى ليس للانسان فيه إرادة ، وانما هو اختيار من الله وحده . ولذلك فقد أردف الامام الجيلانى هذه الاشارة بعد ذكر الصبر ، ليعنى بذلك السكون والصبر تحت جريان المشيئة الالهية ، بحيث يكون العبد بين يدى ربه - طبقا للعبارة الصوفية الشهيرة - كالميت بين يدى الغاسل ، يقلبه كيف يشاء .. وفى هذا المعنى قال عبدالكريم الجيلى :

أَرَانِى كَـآلاتٍ وَهُـوَ مُحَـرِّكِى أَنَـا قَلَمٌ وَالْإِقْتِـدَارُ الأَصَـابِعُ

(النادرات العينية بيت ٤٢٣)

بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى دَعَوْتُكَ سَيِّدِى
وَآيَاتُكَ الْعُظْمَى ابْتَهَلْتُ تَوَسُّلاَ

فَـأَسْأَلُـكَ اللَّهُمَّ رَبِّى بِفَضْلِهَـا
فَهَيِّءْ لَنَـا مِنْكَ الكَمَـالَ مُكَمَّلاَ

وَقَابِلْ رَجَائِى بِالرِّضَا[1] مِنْكَ وَاكْفِنِى
صُرُوفَ زَمَانٍ صِرْتُ فِيهِ مُحَوَّلاَ

أَغِثْ وَاشْفِنِى مِنْ دَاءِ نَفْسِىَ[2] وَاهْدِنِى
إِلَى الْخَيْرِ وَاصْلِحْ مَابِعَقْلِى تَخَلَّلاَ

إِلَهِىَ فَـارْحَمْ وَالِـدَىَّ وإِخْـوَتِى
وَمَنْ هَذِهِ الأَسْمَاءِ يَـدْعُو مُـرَتِّلاَ

أَنَا الْحَسَنِىُّ[3] الأَصْلِ (١) عَبْدُ لِقَادِرٍ
دُعِيتُ بِمُحْيِى الدِّينِ فِى دَوْحَةِ العُلاَ[4]

---

[١] ف ، ط : أنا القادرى الحسنى / وقد شطبها ناسخ ط ، وصححها بما اثبتناه .

---

(1) الرجاء والرضا ، حال ومقام .. يريد الامام أن يقول : اللهم لاق رجائى فيك وانقطاعى عما سواك ، برضاء منك ، كما فى قوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) حيث يكون العبد فى مقام الرضا ، بعد ما يرضى عنه ربه أولا . (راجع ما ذكرناه عن مقام الرضا فى بحثنا : الطريق الصوفى)

(2) داء النفس ، عكوفها على الدنيا وتعلقها بالشهوات الحسية ، وبهذا تكون فى مرتبة (النفس الأمارة بالسوء) التى أخبر الصوفية ـ إستنادا لجملة أصول شرعية ـ عن ضرورة مجاهدتها حتى تشفى من الأمر بالسوء ، وتترقّى فى المراتب الأعلى ، حتى تصير نفسا مطمئنة ، راضية مرضية .
ويعتبر الترقى عن مرتبة النفس الأمارة ، بدوام المجاهدة ، إحدى العلامات البارزة فى الطريق الصوفى عند الامام الجيلانى وغيره من اقطاب التصوف ـ يقول الامام الجيلانى فى ذلك : من أراد سلوك طريق الحق ، فليهذب نفسه قبل سلوكه .. فبدوام المجاهدات تَنْفَتِحُ عيناها ، وينطبق لسانها (الفتح الربانى ص ١٦٦) .

(3) الحسنى : نسبة الى الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنه.

(4) دوحة العلا : إشارة الى الحضرة الالهية ، وسماء القرب من الله .

وَصَلِّ عَلَى جَدِّى الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ بِأَحْلَى سَلَامٍ فِى الْوُجُودِ وَأَكْمَلَا

مَعَ الآلِ وَالأَصْحَابِ جَمْعَاً مُؤَيَّداً[1] وَبَعْــدُ ـ فَحَمْدُ اللَّهِ خَتْمَـاً وَأَوَّلَا

---

[1] ط : جمعا موبدا .



(٦) قصـــيدة :

رُفِـعَ الحَجْـبُ

[الخفيـــف]

★ فتوح الغيب
★ سفينة القادرية



رُفِعَ الحَجْبُ[١] عَنْ بُدُورِ الجَمَالِ (1) ... مَــرْحَباً مَـرْحَبـاً بِـأَهْـلِ الجَمَـالِ

مَلَكُــونِى بِحُبِّهِمْ وَرَضُوا(2) عَنْ[٢] ... عَبْـدِ رِقٍّ ـ فَسُدْتُ بَيْنَ المَـوَالِى

عَـــامَلُونِى[٣] بِلُطْفِهِمْ فِى غَـرَامِى ... فَحلَى فِى بَصَائِرِ النَّـــاسِ حَالِي

فَرَّحُونِى بِصَـــرْفِ رَاحٍ (3) هَوَاهُمْ ... فَتَـرَبَّيْتُ فِى حُجُـورِ الـــدَّلَالِ (4)

---

[١] غ : الحجاب .
[٢] :. عنى
[٣] × غ .

---

(1) بدور الجمال : التجليات الجمالية الشهودية ، وعند الصوفية ، الجمال الالهى ـ على وجه العموم ـ هو أوصاف الله واسماؤه الحسنى ، وهو على وجه الخصوص : صفة الرحمة وصفة العلم وصفة اللطف (الانسان الكامل ٥٣/١) والجمال هو اول التجليات الالهية الثلاثة ، الجمال والجلال والكمال ، وفيه يرى الصوفى بعين قلبه ، ان كل ما فى الوجود هو تبديات للجمال الالهى ، ويشهد فى كل المظاهر أثر جمال الله المطلق . وهنا يرتفع حكم القبح ، ولا يبقى غير حكم الحسن الشهودى ، باعتبار تجلى الجميل فى كل الأشياء ، وهو ما يعبر عنه صاحب الشهود بقوله : ما رايت شيئا إلا ورايت الله فيه .

(2) الحب والرضا هنا ، هو حب الله لعباده ورضاه عنهم . كما فى قوله تعالى (يحبهم ويحبونه .. المائدة / ٥٤) وقوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه .. المائدة/ ١١٩) .

(3) الراح اسم من أسماء الخمر ، والصريف : الخمر الطيبة التى لم تخلط بالماء ، وكذلك يقال [الصرف] لكل شىء لا خلط فيه (لسان العرب ٤٣٣/٢) .

(4) الدلال معنى صوفى دقيق ، يحدثنا عنه ابن عربى فيقول إنه : لولا امور التكليف ، لاقتضى مقام الادلال والفخر والزهو .. فإذا لم يبق للعباد شغل باوامر سيدهم ، قاموا فى مقام الادلال .. وكان عبدالقادر الجيلى صاحب ادلال .. لما كان الحق يعرفه به من حوادث الأكوان (راجع الفتوحات المكية ، السفر الثالث ص ٤١٢) .

إنْ أَرَادُوا الصَّدُودَ يَفْنَ[١] وُجُودِى
رَحَمُـــونِى وأَنْعَمُـوا بِـالـوِصَـالِ

وَإذَا[٢] مَا ضَلَلْتُ عَنْهُمْ هَدُونِى
هَكَـــذَا هَكَـذَا تَكُـونُ المَـوالِى

سَـــادَتِى سَـــادَتِى بِحَقِّى عَلَيْكُمْ
إنَّنِى عِنْـــدَكُمْ عَـزِيـزٌ وَغَـالِ[٣]

مَـا بَقَى لِى حَبِيبُ قَلْبٍ سِـوَاكُمْ
مَاتَ وَهْمِى بِكُمْ وَبَانَ خَيَالِى[1]

بِحَيَـــاتِى عَلَيْكُمُ يَـــا سُقَـــاتِى
رَوِّقُـوا الكَـأْسَ إنَّ حِبِّى مَـلاَلِى

وَأَدِيـرُوا الكُئُـوسَ بَيْنَ النَّـــدَامَى
فَجَمِيـعُ الأَنَـامِ سَكْـــرَى بِحَـالِى

---

[١] : يفنى
[٢] غ : وان
[٣] غ : وغالى
[٤] غ : بقا

---

[1] موت الوهم ، بون الخيال : إشارة إلى سقوط الغفلة عند الارتواء بشراب المحبة الالهية ، هذا الشراب الذى يورث صحوا لاسكرا . ويعتبر الصوفية هذا المعنى ، هو المراد من قوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد .. سورة ق/٢٢) فالانتباه فى المفهوم الصوفى ، سقوط الاغيار عن بصائر العارفين (راجع شرح النابلسى على النادرات العينية للجيلى ، الفقرة الثانية) .
وعن الوهم فى مفهومه الصوفى ، يقول أبو المواهب الشاذلى : الوهم صفة النفس وحجاب العقل وغمامة شمس القلب ، فإذا ارتفع حجاب الأوهام شهدت أنوار حضرة الالهام ! الوهم يجلب الخيال ، ويمنع وصف الكمال ، ويرتفع الوهم بالتوحيد والتنوير والرجوع الى التقدير .. كما قد تزول الأوهام بمصاحبة الاعلام ـ يعنى مشايخ الطريق (قوانين حكم الاشراق ص ١٠٨)

(٧) قصـــيدة :

الخَمْرِيَّة « الغَوْثية »

[الوافـــر]

★ فتوح الغيب
★ سفينة القادرية
★ الفيوضات الربانية
★ مخطوط الأزهر (رقم ٧٧٢/سقا)
★ مخطوط دار الكتب (رقم ٦٥٥ تصوف/طلعت)
★ مخطوط دار الكتب (رقم ٢٩٤ شعر/تيمور)
★ نسخة المكتبة القادرية العامة ، بغداد



سَقَانِى(١) الْحُبُّ كَاسَاتِ الْوِصَالِ
فَقُلْتُ لِخَمْــــرَتِى نَحْـوِى تَعَــالِى

سَعتْ(٢) وَمَشَتْ(٣) لِنحْوِى فِى كُئُوسٍ(٤)
فَهِمْتُ بِسَكْــرَتِى بَيْنَ الْمَــوَالِى(٥)

وَقُلْتُ(٦) لِسَــائِرِ الْأَقْـطَابِ لُمُّـوا
بِحَانِى(٧) وَادْخُلُوا(٨) أَنْتُمْ رِجَالِى[1]

وَهِيمُوا(٩) وَاشْرَبُــوا أَنْتُمْ جُنُودِى
فَسَاقِى الْقَوْمِ[2] بِالْوَافِى مَلَالِى

---

[١] ط ، غ : هذه قصيدة مباركة مشهورة عند العوام بالغوثية وعند الخواص بالخمرية . أنشدها حضرة الشيخ فى حالة الجذبة والاستغراق، وخواصها كثيرة ..
ت : قال رضى الله عنه هذه القصيدة المسماة بالخمرية، وقراءتها لها فوائد لا تحصى ، وهى لاستجلاب الفيوضات الصمدانية بواسطة الكيلانية ، ولكل بيت منها خاصية مشهورة مفردة قائمة بذاتها ..

[٢] غير واضحة فى هـ .

[٣] هـ : وأمشت

[٤] ت ، هـ ، م ، د : كؤس / ف ، غ : كؤوس

[٥] ت : الرجال

[٦] أ ، هـ : فقلت/ + هـ : وقلت

[٧] أ : بحالى / ت : لحانى /هـ : بخانى / س : وهيموا

[٨] س : واشربوا

[٩] ـ هـ / ت : فهيموا / أ ، هـ : وهموا

---

[1] تبدأ قصيدة الامام الجيلانى من هذا الموضع ، فى مخاطبة الأقطاب من مقام [قطب الأقطاب] الذى هو أوحد أهل زمانه علما وعملا.. راجع ما سيرد فى مقالة [وصف القطب] بالقسم الثانى من الديوان .

[2] القوم ، إشارة الى الصوفية .. وهناك عدة مترادفات اخرى مثل : الطائفة ، الرجال ، أهل الله أصحاب الطريق ، السالكون ، الخاصة (وكلها ـ تقريبا ـ تعنى مايجملونه بقولهم : صوفية)

شَرِبْتُمْ فَضْلَتِي مِنْ بَعْدِ سُكْرِي[1]
وَلَا نِلْتُمْ عُلُوِّى وَاتِّصَــــالِي

مَقَامُكُمُ[2] الْعُلا[3] جَمْعاً وَلَكِنْ[4]
مَقَــامِي فَــوْقَكُمْ مَــازَالَ عَــالِي

أَنَا[5] فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ[6] وَحْدِي
يُصَرِّفُنِي[(1)] وَحَسْبِي[7] ذُو الْجَلَالِ

أَنَا[8] الْبَازِيُّ أَشْهَبُ كُــلِّ شَيْخٍ •
وَمَنْ ذَا فِي المَلَا[9] أُعْطَى مِثَالِي

دَرَسْتُ[10] الْعِلْمَ حَتَّى صِرْتُ قُطْباً
وَنِلْتُ السَّعْدَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي

---

[١] هـ : سكر
[٢] - س
[٣] أ ، ف : العلى
[٤] هـ : الجمع علا ولكن/ ت : لجمع الجمع عالى
[٥] × س
[٦] س : المحبوب / هـ : التقديس
[٧] س : يقلبنى وحسبى / ت : يعرفنى وحسبى / هـ : يصرفنى حبيبى
[٨] × ت ، هـ / - س
[٩] + ط : فى الملا / : فى الرجال
[١٠] × أ

---

(1) التصرف هنا . يعني تولى الله تعالى لعباده وتصريف شئونهم . على نحو قريب مما ورد فى الحديث الشريف : إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى (اخرجه البخارى فى الصوم ٤٩ . ٥٠ وفى الحدود ٤٣ والاعتصام ٥ والتمنى ٩ - ومسلم فى الصيام ٥٧ ، ٥٨ . ٦٠ . ٦١ - والترمذى فى الصوم ٦١ - والدارمى فى الصوم ١٤ - وابن حنبل فى المسند ٢٣/٢ . ١٢٤/٣ . ٣١٤/٤ . ١٢٦/٦) وقول الامام الجيلانى عقب ذلك (وحسبى ذو الجلال) إشارة إلى المعنى القرانى الوارد فى قوله تعالى : ومن يتوكل على الله فهو حسبه .. الطلاق/٣ .

كَسَانِى[١] خِلْعَةً بِطِرَازِ عِزٍّ[٢]
وَتَوَّجَنِى[٣] بِتِيجَانِ[٤] الْكَمَالِ[1]

وَأَطْلَعَنِى[٥] عَلَى سِرٍّ قَدِيمٍ[٦]
وَقَلَّدَنِى وَأَعْطَانِى سُؤَالِى[٧]

وَوَلَّانِى[٨] عَلَى الْأَقْطَابِ جَمْعاً
فَحُكْمِى[٩] نَافِذٌ فِى كُلِّ عَالِى

فَلَوْ[١٠] أَلْقَيْتُ سِرِّى وَسْطَ[١١] نَارٍ
لَذَابَتْ[١٢] وَانْطَفَتْ مِنْ سِرِّ حَالِى

وَلَوْ[١٣] أَلْقَيْتُ سِرِّى فَوْقَ مَيْتٍ
لَقَامَ بِقُدْرَةِ الْمَوْلَى سَعَى لِى[١٤]

---

[١] × س
[٢] ف ، أ : عزم
[٣] عجز البيت ساقط من هـ
[٤] ت : بتاجات
[٥] صدر البيت ساقط من هـ ! س : وملكنى جميع الارض طرا
[٦] ت : بليغ
[٧] س : واظهرنى على سر عجيب بسر قبل كونى قد اتى لى
[٨] هـ : وولنى / س : واولانى
[٩] ت : وحكمى / س : وصدقنى واعطانى سؤالى / هـ : فحكمى نافذ لكل عالى .
[١٠] - هـ ، ت
[١١] ط ، غ ، ف : فوق
[١٢] غ ، ف ، أ : لخمدت
[١٣] ترتيب الابيات (من ١١ : ١٤) مضطرب غاية الاضطراب فى كافة النسخ .
[١٤] غ ، ف ، ط : مشالى/هـ : مولى التعالى/أ : المولى تعالى/ + ط : باذن ربى ذى الجلال

---

(1) تيجان الكمال ، هى صفات الأقطاب أو الانسان الكامل ، من حيث العلم والقدرة ، والتصرف فى الأكوان بمقتضى : يكون عبدا ربانيا يقول للشىء كن ، فيكون .

وَلَـــوْ أَلْقَيْتُ سِرِّى فِى جِبَـالٍ
لَـدُكَّتْ وَاختَفَتْ بَيْنَ الـرِّمَـالِ (١)

وَلَـوْ أَلقَيتُ سِرِّى فِى بِحَـارٍ
لَصَارَ (٢) الْكُلُّ غَوْراً فِى الزَّوَالِ (٣)

وَمَـا مِنْهَـا (٤) شُهُـــورٌ أَوْ دُهُـورٌ
تَمُـــــرُّ وَتَنْقَضِى إلاَّ أَتَى لِى (٥)

وَتُخْبِرُنِى (٦) بِمَا يَجْرِى (٧) وَيأْتِى (1)
وَتُعْلِمُنِى (٨) فَأُقْصِرُ عَنْ جِدَالِى (2)

بِلَادُ اللَّهِ مُلْكِى تَحْتَ حُكْمِى (٩)
وَوَقْتِى قَبْلَ قَبْلِى (3) قَدْ صَفا لِى (١٠)

---

[١] هـ : الجبال
[٢] س : لكان
[٣] س ، ت : فى زوال ـ غير واضحة فى هـ
[٤] س : فما منهم / هـ : وما من أشهر وما من دهور
[٥] ت : الا ليالى
[٦] ت : تخبرنى
[٧] ط ، غ ، ف : يأتى ويجرى
[٨] ط : وتخبرنى بها أقصى الجبال/هـ : وتعلمنى بما افضا الجبالى/ت : وتعلمنى به قاصر جدالى
[٩] س : قدمى
[١٠] أ ، غ : قبل قبلى .. / هـ : قبل قبلتى صفا لى / س : وكل الناس سرهم فى بالى

---

(1) روى عن الامام الجيلانى ، انه قال يوما بمجلسه : ماتطلع الشمس .. وكذا السنة والشهر والايام . إلا ويخبرونى بما يجرى فيهم ، ويعرض على الأشقياء والسعداء ، وعينى على اللوح المحفوظ ، وانا غائص فى بحار علمه تعالى ومشاهداته (قلائد الجواهر ص ٣٣)
(2) للجدل معان متعددة (راجع : الجدل فى القرآن ، للدكتور حسن الشرقاوى ـ منشأة المعارف ١٩٨٧) والمراد به هنا ، تمنى وقوع مالم يسطر باللوح المحفوظ !
(3) قبل القبل : عالم الأرواح قبل خلق الاجساد .

طُبُولِى[١] فِى السَّمَا وَالْأَرْضِ دُقَّتْ
وَشَاءُوسُ[٢] السَّعَادَةِ قَدْ بَدَا لِى

أَنَا[٣] الجِيلانِى[٤] مُحْيى الدِّينِ إِسْمِى
وَأَعْـلَامِى عَلَى رُؤُسِ[٥] الْجِبَالِ

أَنَا[٦] الحَسَنِىُّ وَالْمخْدَعْ مَقَامِى[1]
وَأَقْدَامِى عَلَى عُنُقِ الرِّجَـالِ[2]

[١] س / × ط ، ت ، غ ، ف
[٢] ط ، غ : شاويش / ت : جاويش
[٣] البيت فى غير موضعه بمعظم النسخ ـ والأبيات (من ٢١ : ٣٣) ساقطة من ط ، س ، غ ، ف
[٤] ت : الكيلانى / ط ، غ ، ف : الجيلى
[٥] أ ، غ ، + ط : رأس .
[٦] البيت فى ط ، ع ، ف ، أ / وساقط من بقية النسخ !

[1] قوله : والمخدع مقامى ، إشارة الى واقعة جرت بين الامام الجيلانى ومعاصره الشيخ عبدالرحمن الطفسونجى . فقد روى الشطنوفى واليافعى ـ بالاسناد من ثلاثة طرق ـ ان الشيخ الطفسونجى قال : إنى لم اسمع بذكر الشيخ عبدالقادر إلا فى الارض ، ولى اربعون سنة فى دركات باب القدرة ، ما رايته ! وأرسل جماعة من اصحابه إلى بغداد ، ليقولوا ذلك للامام الجيلانى ، الذى كان فى الوقت ذاته يقول لبعض مريديه : إذهبوا إلى طفسونج ، وستجدون فى طريقكم جماعة بعثهم الشيخ عبدالرحمن ، فردوهم معكم ، حتى إذا اتيتم الشيخ الطفسونجى ، فقولوا له : عبدالقادر يسلم عليك ويقول لك : انت فى الدركات ، ومن هو فى الدركات لا يرى من فى الحضرة ، ومن فى الحضرة لا يرى من هو فى المخدع .. وانا فى المخدع (بهجة الاسرار ص ٢٧ ـ خلاصة المفاخر ، مخطوط ، ورقة ٩٢ أ) .
وقد ذكر ابن عربى فى إجابته على اسئلة الحكيم الترمذى ، حكاية قريبة من ذلك جرت بين الامام الجيلانى والشيخ محمد بن قائد الاوانى . فقد قال الاخير : كنت فى الحضرة وما رأيت الشيخ عبدالقادر ! فقيل ذلك للامام الجيلانى ، فتبسم وقال : صدق محمد ، ولكنى كنت فى المخدع (انظر تفصيل الحكاية ، وتعليق ابن عربى عليها فى : ختم الأولياء ، بتحقيق عثمان يحيى ص ٢٢٤) .. والمخدع عند الصوفية ، هو موضع ستر القلب عن الأفراد الواصلين (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ٨١)

[2] عبارة (قدمى على عنق كل ولى لله) من اشهر عبارات الامام الجيلانى ، ولعلها اشهر عباراته على الاطلاق . وقد كانت هذه العبارة ، هى الباعث الذى حدا بالشطنوفى الى تاليف كتابه (بهجة الأسرار ومعدن الأنوار) ليحقق إسناد روايتها من جهة ويتحقق من مقام قائلها من جهة أخرى .

رِجَالٌ خَيَّمُوا فِى حَىٍّ[1] لَيْلى[2]
وَنَالُوا فِى الْهَوَى أَقْصَى[3] مَنَالِ[4]

رِجَالٌ فِى النَّهارِ لُيُـوثُ غَابٍ[5]
وَرُهْبَـــانٌ إذَا جَنَّ اللَّيَـــالِى

رِجَالٌ[6] فِى هَوَاجِـرِهِمْ[7] صِيَامٌ
وَصَوْتُ عَوِيلِهِمْ[8] فِى اللَّيْلِ عَالِى

رِجَالٌ[9] مَا الْتَهُوا[10] عَنْهُ بِشَىءٍ
ومَا اخْتَارُوا قُصُـوراً فِى عَوَالِى

رِجَـــالٌ لَا يُضَـامُ لَهُمْ نَـزِيـلٌ
وَلَا يَشْقَى الجَلِيسُ وَلَا يُبَـــالِى

رِجَالٌ سَائِحُونَ(1) بِكُلِّ وَادٍ[11]
وَفِى الْغَابَاتِ فِى طَلَبِ الْوِصَالِ

---

[١] ت : حب
[٢] هـ : ليلة
[٣] هـ : العلا
[٤] هـ : اقصا الأمالى
[٥] هـ : غابة
[٦] أ : رجالى
[٧] ت : فى الهواجرهم
[٨] هـ : عوايهم /أ : وفى ظلم الليالى كالآلى
[٩] ت :
رجـال فى الظـلام لهم أنـين — وفى الغابات فى طلب الـوصال
[١٠] ت : مالهوا
[١١] هـ : فى كل أرض

---

(1) السياحة رياضة صوفية ، يخرج فيها السالك من موطنه إلى أرض الله الواسعة ، مسقطا للتدبير ، وتاركا أمره بالكلية لله . وتسمى هذه الرياضة أيضا السير على التجريد

ألا[١] يَـا لِلْرِجَـالِ صِلُوا مُحِبّاً
لِنَارِ الْبُعْدِ وَالهِجْـرَانِ صَالِ[1]

أَلاَ يَـا لِلْرِجَـالِ قُتِلْتُ[٢] ظُلْماً
بِلَحْظٍ[2] قَدْ حَكَى[٣] رَشْقَ النِّبَالِ

أَلاَ يَـالِلْرِجَـالِ خُـذُوا بِثَـأْرِى
فَـإِنِّى شَيْخُكُمْ قُـطْبُ الْكَمَـالِ[٤]

أَنا شَيْخُ[3] الْمَشَايِخِ حُزْتُ عِلْماً
بِآدَابٍ وَحِلْمٍ وَاتِّصَـالِ[٥]

فَمَنْ فِى أَوْلِيَـــاءِ اللَّهِ مِثْلِى
وَمَنْ فِى الْحُكْمِ[٦] وَالْتَصْرِيفِ[4] خَالِى

---

[١] ت :

رجال قد سقـوا صرف الحميا بمـا لاقـوا بحـومـات المجـال
رجـال فى علـوم مـع صيـام وهم سكـان فى روس الجبـال

[٢] هـ : قلت/ + هـ : قتلت
[٣] هـ : بلحص قد حكم
[٤] ت : الموالى
[٥] هـ : واوبا وحكما باتصالى
[٦] ت : العلم

---

[1] صال : محترق ، يقال : صلى الشىء ، إذا شواه بالنار (لسان العرب ٢/ ٤٧٠)

[2] اللحظ : مؤخرة العين مما يلى الصدغ (لسان العرب ٣٤٩٣)

[3] الشيخ فى لغة الصوفية ، هو الانسان الكامل فى علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، البالغ إلى حد التكميل فيها ، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدواتها ، ومعرفته بدوائها ، وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لاهتدائها (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٥٤)

[4] التصريف كلمة قرآنية وردت فى قوله تعالى (وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون .. الجاثية/ ٥) وهى عند الصوفية ، إحدى الهبات الالهية للأولياء المتقربين اليه تعالى ، حيث يتصرفون فى الخلق بأمر الله وبإذنه (قوانين حكم الاشراق ص ١٠٩) .. يقول ابن عربى : كان الشيخ عبدالقادر ممن أعطى التصرف ، فقبله وحكم به . وكان الرجال فى ذلك تحت قهر عبدالقادر ، وكان يقول هذا عن نفسه فيسلم له حاله . فإن شاهده يشهد له بصدق دعواه ، فإنه =

تَرَى[١] الدُّنْيَا جَمِيعاً وَسْطَ كَفِّى ... كَخَرْدَلَةٍ[1] عَلَى حُكْمِ النَّـوَالِ

مُـرِيدِى[٢] لَاتَخَفْ وَشْياً[٣] فَإِنِّى ... عَــزُومٌ[٤] قَـاتِـلٌ عِنْـدَ الْقِتَـالِ

مُرِيدِى[٥] لَا تَخَفْ فاللَّهُ[٦] رَبِّى ... حَبَانِى[٧] رِفْعَةً ، نِلْتُ الْمَعَالِى[٨]

---

[١] ت ، ط ، هـ :

كـذاك ابن الرفـاعى نال منى ... تسلـك مـن علـوم واشتغـالى

ت :

وسرى شـاع فى عُلوٍ وسفـل ... وكم قطب وشيخ قد سعى لى

ومن أضحى له الهادى اماما ... فـذاك من المخـاوف لا يبـالى

فـان اللـه شرفـه بتـاج ... ورقـاه الى درج المـعـالى

بـراحتـه الكـريمـة كم شفـاء ... ومنهـا جـرى العـذب الـزلال

وهذه الابيات جميعا ، عليها سمة الوضع والاقحام !

[٢] - س

[٣] أ ، ف ، غ : واش

[٤] هـ : غريم

[٥] × أ

[٦] أ ، ف ، غ : الله

[٧] ط : حبانى / بقية النسخ : عطانى

[٨] هـ : الامالى

= كان صاحب حال مؤثرة ربانية مدة حياته (الفتوحات المكية ٢/٨٠ ـ ختم الأولياء ، هامش ص ٢٢٥)

(1) الخردلة كلمة قرآنية وردت فى سورة الانبياء/٤٧ ولقمان/١٦ ، لتعنى الشىء التافة الهين ، وهى فى اللغة : زنة القطعة الصغيرة (لسان العرب ١ /٨١٠) والاشارة فى البيت إلى التصرف الخاص بالأولياء ، الذى ذكرناه فى التعليق السابق .

مُرِيدِى هِمْ وَطِبْ وَاشْطَحْ وَغَنِّى
وَافْعَلْ[١] مَا تَشَا فَالْإِسْمُ عَالِى

وَكُلُّ فَتىً[٢] عَلَى قَدَمٍ وَإِنِّى
عَلَى قَدَمِ النَّبِى بَدْرِ الْكَمَالِ[1]

عَلَيْهِ[٣] صَلَاةُ رَبِّى كُلَّ وَقْتٍ
كَتَعْدَادِ الرِّمَالِ مَعَ الْجِبَالِ[٤]

---

[١] هـ : تفعل
[٢] ط : فتى له/ بقية النسخ : ولى على
[٣] البيت من هـ ت فقط ـ وفى ط ، أ ، غ ، ف باقي البيتان :

أنا الجيلى محيى الدين اسمى — واعلامى على رأس الجبال
وعبد القادر المشهور — وجدى صاحب العين الكمال

وجاء فى هـ : انتهت قصيدة الشيخ عبدالقادر الجيلانى نفعنا الله به وبأمثاله ـ أسفل الورقة ختم (الكتبخانة الأزهرية) مؤرخ بسنة ١٣١٥ ومعه ختم أخر وقف محمد عبدالعظيم السقا .
وفى هامش أ يوجد شرح لكلمة (مخدع) بالفارسية ! ومعه بيت للترجيع:

تقبلنى ولا تردد سؤالى — أغثنى سيدى أنظر بحالى

[٤] ت : الجبال مع الرمال

---

(1) يقصد الصوفية بلفظ [القدم] المكانة والمقام . وقد رُوى عن الامام الجيلانى انه قال : كل ولىّ على قدم نبى ، وانا على قدم جدى صلى الله عليه وسلم ، وما رفع المصطفى عليه الصلاة والسلام قدما . إلا وضعت أنا قدمى فى الموضع الذى رفع قدمه منه ، إلا أن يكون قدما من أقدام النبوة ، فانه لا سبيل أن يناله غير نبى (بهجة الأسرار ص ٢٢) ومن الأولياء من يكون على قدم نبى ، ومنهم من يكون على قلب نبى (انظر الحكومة الباطنية ص ٥٥ وما بعدها) .



(٨) قصـــيدة :

طُـفْ بِحَـــانِ

[الخفيــف]

★ فتوح الغيب
★ سفينة القادرية
★ الفيوضات الربانية
★ مخطوط دار الكتب (رقم ٢٩٤ شعر/ تيمور)



طُفْ[١] بِحَانِي سَبْعاً ولُذْ بِذِمَامِي
وَتَجَرَّدْ لِزَوْرَتِي كُلَّ عَامِ

أَنَا سِرُّ الأَسْرَارِ مِنْ سِرِّ[٢] سِرِّي[٣]
كَعْبَتِي[٤] رَاحَتِي وَبَسْطِي مُدَامِي[1]

أَنَا نَشْرُ العُلُومِ[٥] وَالدَّرْسُ شُغْلِي
أَنَا شَيْخُ[2] الوَرَى[٦] لِكُلٍّ[٧] إِمَام

أَنَا[٨] فِي مَجْلِسِي[٩] أَرَى[١٠] العَرْشَ[3] حَقاً
وَجَمِيعَ الأَمْلاَكِ[١١] - فِيه قِيَامِي[١٢]

---

[١] تبدأ القصيدة فى س ببيت ـ يبدو انه للترجيع ـ يقول :
يا الهى على النبى دم صلاتى وسلامى على مرور الدوام
[٢] ـ ت
[٣] س : سر
[٤] س : كعبة/ ت : كعبتى قبلتى حبيبى امامى !
[٥] ت : من علوم العلوم
[٦] ت : القرا
[٧] غ ، ت : وكل
[٨] × ت
[٩] ت : جلستى
[١٠] س ، غ : نرى
[١١] ف : الملوك
[١٢] س ، غ : قيام

---

(1) الراح والمدام ، إسمان من أسماء الخمر ـ شراب المحبة الالهية ـ والبسط حال صوفى ، وبذلك يكون المعنى المراد : إن الكعبة (= التشريع) والبسط (= التحقيق) هما معا سر نشوته بكاس الحب الالهى .
(2) انظر مفهوم [الشيخ] فيما سبق .
(3) رؤية العرش ، إحدى نتائج الكشف ورفع الحجب والستور ، كما سيرد فى البيت التاسع من القصيدة .

قَـالَتِ ٱلْأَوْلِيَـاءُ جَمْعـاً[١] بِعَـزْمٍ
أَنْتَ قُـطْبٌ عَلَى جَمِيعِ ٱلْأَنَامِ

قُلْتُ كُفُّوا ثُمَّ اسْمَعُوا نَصَّ قَوْلِي :
إِنَّمَـا القُـطْبُ خَـادِمِي وَغُـلَامِي

كُلُّ[٢] قُطْبٍ يَطُوفُ بِٱلْبَيْتِ سَبْعاً
وَأَنَـا ٱلْبَيْتُ طَـائِفٌ بِخِيَـامِي(1)

كشَفَ[٣] الحُجْبَ والسُّتُورَ لِعَيْنِي
وَدَعَـانِي[٤] لِحَضْـرَةٍ[٥] وَمَقَـامِ

فَاخْتَرَقْتُ[٦] السُّتُـوَرَ جَمْعاً لِحِبِّي
عِنْدَ عَرْشِ الإِلَهِ كَانَ مَقَامِي(2)

---

[١] س : جميعا
[٢] - ت
[٣] ت : رفع
[٤] × ت/ ف : ودعا
[٥] س : حصرتي
[٦] - ت/ف : فاختراق السبع الستور جميعا

---

(1) لا ندرى هل نحمل المعنى الوارد في عجز البيت على جانب الشطح ، أم نقول بأنها سوْرة السكر الصوفي تلاقت مع ثوب الشِعر الفضفاض ' ولقد رويت عبارات قريبة المعنى مما يذكره الامام الجيلانى هنا ، منسوبة لمن سبقه من الصوفية ، خاصة البسطامي والشبلى (انظر : شطحات الصوفية ص ٢٥ وما بعدها) ولما كانت هذه الأقوال معبرة عن مشاهد ذوقية خاصة كل الخصوصية ، فإننا نرى أفضل الأحوال معها ، التوقف عن القبول والرفض .. وذلك خشية قبولها قبل تذوق معانيها فتكون فتنة ، أو رفضها مع صحة مقام قائلها فيكون اعتراضا .

(2) قارن ما يصرح به الامام الجيلانى هنا ، مع قول أبى يزيد البسطامى : ضربت خيمتى بازاء العرش (اللمع ص ٣٩١ - شطحات ص ٢٩) وانظر المفهوم الصوفي لألفاظ [العرش - المقام] فيما سبق .

وَكَسَانِى بِتَاجِ[١] تَشْـــرِيفِ عِـزٍّ
وَطِــــرَازٍ[٢] وَخِلْعَـةٍ بِـاخْتِتَــامِ[1]

فَرَسٌ[٣] العِزِ تَحْتَ سَرْجِ جَوَادِى[٤]
وَرِكَابِى عَالٍ[٥] وَعَزْمِى[2] لِجَامِى[٦]

وَإذَا مَا جَذَبْتُ[٧] قَوْسَ مَرَامِى[٨]
كَانَ نَارُ الْجَحِيمِ مِنْهَا[٩] سِهَامِى

سَائِرُ[١٠] الأَرْضِ كُلِّهَا تَحْتَ حُكْمِى
وَهْىَ فِى قَبْضَتِى كَفَرْخِ حَمَامِ[١١]

---

[١] ت : شريف عز بتاج
[٢] س : بطراز/ ت : بطراز بحلة باحتشام
[٣] ت : قوس
[٤] ت : وجودى
[٥] ت : عالى
[٦] غ . ف : وغمدى محامى/ س : لجام
[٧] ت : وجدت
[٨] ت : مداوى
[٩] ت : فيه
[١٠] × ت
[١١] غ . س . ف : الحمام

---

(1) الختم . الطبع على الشىء . وهو أيضا : الحلى (لسان العرب ٧٩١/١ ـ القاموس ١٠٣/٤) والمراد بقوله [خلعة باختتام] اى ثوب موشى .. كإشارة إلى المواهب الربانية .

(2) العزم ـ عند الصوفية ـ مظهر لصدق الارادة وعلو الهمة . ولقد أفاض الصوفية فى الكلام عن الارادة والهمة باعتبارهما باطن العزم . فهما عند القشيرى : أول منازل القصد ، ونهوض القلب فى طلب الحق (الرسالة القشيرية ص١٠٠) والهمة عند الجيلى هى اعز شىء وضعه الله فى الانسان (الانسان الكامل ٢١/٢) ويمكن الرجوع الى التناول التفصيلى لهذا الموضوع عند ابن عربى فى (المعجم الصوفى ص ١١٠٨ ـ ١١١٩) .

مَطْلَعُ الشَّمْسِ ثُمَّ(١) أَقْصَى الْغُرُوبِ
خُطْوَتِى(1) وَأَقُلُّهَا بِاهْتِمَامِ

يَا مُرِيدِى(٣) لَكَ الهَنَا بِدَوَامٍ
عِشْ(٤) بِعِزٍ(٥) وَرِفْعَةٍ وَاحْتِرامِ(٦)

وَمُرِيدِى إذا دعانِى بِشَرْقٍ
أَوْ بِغَرْبٍ أَوْ نَازِلٌ بَحْرَ طَامِ(2)

فَأُغِثْهُ لَوْكَانَ(٧) فَوْقَ هَواءٍ
أَنَا سَيْفُ القَضَا لِكُلِّ خِصَامِ

---

[١] ت : والغروب سفل/ ف : للغروب بسفلى
[٢] ت : أو أقلها/ ف : قد قطعته
[٣] ت : يا نديمى إن كنت معنا تمضى بوصالى وجلستى واحترامى
[٤] البيت مدور فى غ !
[٥] غ : عز
[٦] ت : عش بأمن وفرحة وسلام/ س : عش بعز ورفعة واحترام
[٧] ت : طار ـ وكلمة [فأغثه] هنا حقها الرفع .

---

(1) طى المسافات المشار إليها هنا ، هى إحدى علامات الولاية . وإن كانت هذه العلامة تنطبق على الأبدال بصفة خاصة ـ البدلية هى مرتبة فى الترتيب الطبقى للولاية الروحية ، يسمى أهلها بالأبدال أو أهل الغيب الذين يشاركون فى حفظ نظام الكون ـ وللصوفية كلام مطول فى هذا الموضوع : يقول الدكتور الشرقاوى : يجمع أئمة الصوفية على إمكان طى المسافات وزوى الأرض وتعدد صور الولى من الأبدال .. (أنظر : الحكومة الباطنية ص ٥٤ ـ ألفاظ الصوفية ص ٢٤) وقد خصص ابن عربى لهذه النقطة كتابا أسماه : رحلة الأبدال .

(2) الطم ـ فى اللغة ـ يقال لكل ما كثر وغلب . وطم الشىء ، أى غمره ! وطم الماء ، إذا كثر (لسان العرب ٦١٥/٢) .

(3) يروى عن الامام الجيلانى قوله : أنا كافل لمريدى ، فلو انكشفت عورة لمريد بالمغرب ، وأنا بالمشرق لسترتها (بهجة الأسرار ص ٩٩ ـ قلائد الجواهر ص ١٩) وتشير هذه العبارة ، كما يشير البيت الشعرى ، إلى مظاهر عناية الشيخ بمريده ـ كما ذكرنا فى تعليقنا على القصيدة الشريفة (البيت الثلاثون) .

أَنَا[١] فِى الْحَشْرِ شَافِعٌ(1) لِمُرِيدِى
عِنْــدَ رَبِّى فَــلَا يُــرَدُّ كَــلَامِى

أَنَــا[٢] شَيْــخٌ وَصَــالِـحٌ وَوَلِىٌّ
أَنَــا قُــطْبٌ وَقُــدْوَةٌ لِــلأَنَــامِ

---

[١] – ت .
[٢] – ت .

---

(1)الشفاعة ـ في معناها العام ـ هى سؤال فعل الخير وترك الاضرار لأجل الغير على سبيل التضرع (كشاف اصطلاحات الفنون ١٣٢/٤) وهى في الاصطلاح على خمسة أقسام : شفاعة النبى العامة يوم القيامة ـ شفاعة في إدخال قوم في الجنة بغير حساب ـ شفاعة لقوم استوجبوا النار ـ شفاعة فيمن أدخل النار من المذنبين ـ شفاعة لزيادة الدرجات لأهل الجنة (كشاف اصطلاحات ١٣٣/٤) .

وقد أثارت الشفاعة خلافا بين الفرق الاسلامية . فأنكرها الشيعة بصفة عامة . خاصة الزيدية والاثنى عشرية منهم ، كما أنكرها الخوارج في أصحاب الكبائر باعتبارهم كفارا لا يستحقون شفاعة ، وقالت المعتزلة بثبوت الشفاعة بشرط التوبة . بحيث لا تكون شفاعة في غير التائبين . أما أهل السنة فقد استندوا إلى العديد من الأدلة النقلية ليقولوا بشفاعة الأنبياء والأولياء ، ليس في أصحاب الكبائر فحسب ، بل في الناس كافة (أنظر : عقيدة البعث والآخرة ، للدكتور محمد عبدالقادر ص ٢٣١ : ٢٦٠) .

وفى ميدان التصوف . ارتبطت الشفاعة بالغوثية ، التى ارتبطت بدورها بالقطبية ، بحيث اقترنت دوما في تعبيراتهم كلمتى (القطب ـ الغوث) فالغوثية تعنى شفاعة القطب والأولياء في الخلق . سواء في الدنيا أو الآخرة . وكانت أول الشخصيات التى خلعت عليها هذه الصفة في تاريخ التصوف ، هى شخصية : أويس بن عامر القرنى (أنظر : رسالة المعدن العدنى في فضل أويس القرنى . مخطوط الاسكندرية رقم ١٦٧٨ ب / تصوف) ثم نسبت الشفاعة والغوثية إلى واحد من كبار تلامذة الحسن البصرى ، هو حبيب العجمى الذى اتصف بإجابة الدعاء حتى لقب . غوث البصرة (نشأة الفكر الفلسفى للدكتور النشار ١٥٧/٣) ثم استمرت فكرة الشفاعة والغوثية كصفة لأقطاب التصوف حتى اتخذت عند المتأخرين دلالات واسعة . يقول الامام الشاذلى : الشفاعة هى انصباب النور على جوهر النبوة . فينبسط الى أهل الشفاعة من الأنبياء والأولياء . وتندفع الأنوار بهم الى الخلق (المفاخر العلية ، لابن عياد ص ١٢٨) .

أَنَــا عَبْــدٌ لِقَــادِرٍ طَــابَ وَقْتِى
وَجَدِّىَ الْمُصْطَفَى شَفِيعُ[١] الأَنَامِ

فَعَلَيْهِ[٢] الصَّلاَةُ فى كُلِّ وَقْتٍ[٣]
وَعَلَى آلِــهِ بِــطُولِ الــدَّوَامِ

---

[١] ف : وحسبى امام / ت : حبيبى امامى .
[٢] - ت .
[٣] س : صلى الله عليه فى كل وقت .

(٩) قصـــيدة :

رُفِعَتْ عَلَى أَعْلَى الوَرَى

[الكامـــل]

★ فتوح الغيب
★ مخطوط دار الكتب (رقم ٢٩٤ شعر/تيمور)



رُفِعَتْ عَلَى أَعْلَى الْوَرَى[١] أَعْلَامُنَا
لَمَّا بَلَغْنَا فِي الغَرَامِ مَرَامَنَا[٢]

نَحْنُ المُلُوكُ عَلَى سَلَاطِينِ المَلا[٣]
وَالكَائِنَاتُ وَمَنْ بِهَا[٤] خُدَّامُنَا

وَبِبَذْلِنَا[٥] لِلحُبِّ نِلْنَا عِزَّةً
وَعَلَى الرؤوس تَنَقَّلَتْ أَقْدَامُنَا

إِنْ كَانَ أَخَّرَنَا الزَّمَانُ فَإِنَّنَا[٦]
فُقْنَا الَّذِينَ تَقَدَّمُوا قُدَّامَنَا(1)

بِالأَخْذِ[٧] عَمَّنْ قَابَ قَوْسَيْنِ دَنَا
المُصْطَفَى المُخْتَارِ عَيْنُ مُرَادِنَا

ضَرَبَتْ طُبُولُ العِزِّ فِي سَاحَاتِنَا[٨]
وَعَلى[٩] السُّهَى(2) شَرَفًا نَصَبْنَ[١٠] خِيَامَنَا

---

[١] ت : همم العلا .
[٢] ت : الهوى أعلامنا .
[٣] ت : الورى .
[٤] ت : به .
[٥] غ : فبذلنا / ت : وبذلنا .
[٦] غ : أنا وان أخرنا الزمان فاننا / ت : ان كان أخرنا الزمان الى ورا .
[٧] غ : فبقربنا من قاب قوسين لقد رشقت قلوب المنكرين سهامنا
[٨] ت : حاناتنا .
[٩] غ : وعلى السما .
[١٠] ت : بدت .

---

(1) الاشارة هنا الى الزهاد الأوائل والصوفية السابقين على الامام الجيلانى .
(2) السهى كوكب صغير بعيد فى السماء . كان العرب يمتحنون به قوة الابصار لشدة خفاء ضوئه (لسان العرب ٢/٢٣١) وهو هنا إشارة إلى العلو المطلق والمنزلة الرفيعة .

فَجَمَالُنَا(١) مَـلأَ المَلاَ(٢) وَجَـلاَلُنَا
لاَ يُسْتَـطَاقُ وَلاَ يُفَـلُّ حُسَـامُنَـا

وَلأَجْلِنَـا وُجِدَ الـزَّمَانُ وكَـوْنُهُ(1)
فَـالدَّهْـرُ عَبْـدٌ والـزَّمَـانُ غُـلاَمُنَا

وَلَنَا(٣) الوِلاَيةُ مِنْ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ(2)
رَشَقَتْ قُلُوبَ المُنْكِرِينَ سِهَامُنَا(٤)

وَخُيُـولُنَا(٥) مَشْهُـورَةٌ بَيْنَ الـوَرَى
عَالٍ عَلَى كُلِّ الرِّكَابِ(3) رِكَابُنَا

وَجَلِيسُنَا لَمْ يَشْقَ يَوْماً فِى الوَرَى
وَمُـرِيـدُنَـا مَـازَال فِى إِكْـرَامِنَـا

عِشْ يَـا مُرِيـدِى آمنًا فِى غِبْـطَةٍ
فَـالعِزُّ ثُمَّ العِـزُّ فِى عَرَصَـاتِنَا(4)

---

[١] × غ .
[٢] ت : وجمالنا أملا / غ : ملا الوجود .
[٣] ت : ولنا المقامات والولايات العلى   وعلى رقاب الأولياء أقدامنا
[٤] غ : وأمامنا المهدى فهو ختامنا .
[٥] الأبيات التالية (من ١٠ : ١٦) ساقطة من غ .

---

(1) يتطابق ما يرد هنا ، بما سيأتى فى الغوثية حين تقول : يا غوث الأعظم ، جعلت الانسان مطيتى ، وجعلت سائر الأكوان مطية له (القسم الثانى من الديوان) وهو نفس المعنى الذى أشار اليه ابن الفارض فى التائية الكبرى حين يقول :

وَلَوْلاَىَ لَمْ يُوجَدْ وُجُودٌ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ وَلَمْ تُعْهَدْ عُهُودٌ بِذِمَّتِى

(2) سورة الأعراف / اية ١٧٢ .

(3) الركاب : كل ما يحمل الناس فى البر والبحر (لسان العرب ١٢١٣/١) والمراد به هنا : المقام بالمعنى الصوفى .

(4) العرصات : جمع عرصة ، وهى كل موضع واسع لا بناء فيه (لسان ٧٣٥/٢) وهى تشير هنا الى عناية الشيخ .

لَـوْحُ الوُجُـودِ بِصَدْرِنَـا مَحْفُوظَـةٌ
وَبِسَعْـدِنَا فِيـهِ جَـرَتْ أَقْـلَامُنَـا[1]

قَدْ قَالَ لِى رَبُّ البَرِيَّةِ لَا تَخَفْ
قُـلْ مَا تَشَـاءُ فَأَنْتَ مِنْ أَحْبَابِنَـا

أَنَا قُطْبُ أَقْطَابِ الوُجُـودِ حَقِيقَةً
وَجَمِيعُ مَنْ فِى الأَرْضِ مِنْ خُدَّامِنَا

قُـطْبُ الَّـزمـانِ وَغَـوْثُـــهُ وَمَـلَاذُهُ
وَالأَوْلِيَـا جَمْعَـاً بِـظِلِّ خِبَـابِنَـا[2]

ثُمَّ الصَّـــلَاةُ عَلَى النَّبِىِّ مُحَمَّـدٍ
وَالآلِ والأَصْحَابِ ثُمَّ صِحَابِنَا[١]

---

[١] البيت من غ فقط ، وفى ت وردت الأبيات التالية :

فجميـــع الأوليـــاء لى أذعنـــوا ... لمـــا عليهم قـــد عـــلا سلطـــاننـــا
وتمـــزقـــوا وتفضحـــوا وتهتكـــوا ... لمـــا عليهم قـــد أديـــر شرابنـــا
عبـــدالقـــادر يســـل بسيـــدة النســـا ... بنت الـــرســـول غيـــاثنـــا وملاذنـــا
جـــدى خيـــار الأنبيـــاء وختـــامهم ... فكفى بـــه شرفـــا لنـــا وفخـــارنـــا
صـــلى الله جـــل جـــلالـــــه ... **والآل** والأصحـــاب هم أنصـــارنـــا

وتبدو هذه الأبيات مدسوسة على القصيدة ، لما فيها من الركاكة والضعف وتأكيد على النسب الشريف .

---

(1) أنظر « اللوح والقلم » فيما سبق .

(2) خب الثوب طوقه وطرفه . والخبة : الخرقة التى تخرج من الثوب ، فتعصب بها اليد (لسان ٧٨١/١ ـ القاموس ٦١/١ ـ التكملة ١٨٦/١) .



(١٠) قصـــيدة :

عَلَى الأَوْلِيَـــاءِ

[الطـــويل]

★ فتوح الغيب
★ سفينة القادرية
★ الفيوضات الربانية



عَلَى الأَوْلِيَا أَلْقَيْتُ سِرِّى وَبُرْهَانِى
فَهَامُوا بِهِ مِنَ[١] سِرِّ سِرِّى وَإِعْلَانِى

فَأَسْكَرَهُمْ كَـأْسِى فَبَاتُـوا بِخَمْرَتِى
سَكَارَى حَيَارَى مِنْ شُهُودِى[٢] وَعِرْفَانِى

أَنَا كُنْتُ قَبْلَ القَبْلِ (1) قُطْباً مُبَجَّلاً
تَطُوفُ[٣] بِ الأَكْوَانُ[٤] وَالرَّبُّ[٥] سَمَّانِى(2)

خَرَقْتُ جَمِيعَ الْحُجْبِ حَتَّى[٦] وَصَلْتُهُ
مَقَاماً بِهِ قَدْ كَانَ جِدِّى لَهُ دَانِى(3)

وَقَدْ كَشَفَ الأَسْتَارَ[٧] عَنْ نُورِ[٨] وَجْهِهِ(4)
وَمِنْ خَمْرَةِ التَّوْحِيدِ بِالْكَاسِ أَسْقَانِى

---

[١] س ، غ : فى
[٢] س : وجود/ غ : وجودى
[٣] ف : وطافت
[٤] س ، ف : الأملاك
[٥] س ، غ : والرب أسمانى
[٦] ف : حين وصلت فى مكان
[٧] ف : الأسرار
[٨] س : نررى

---

(1) قبل القبل = عالم الذر [راجع ما سبق] .
(2) سمانى : رفعنى وسما بى ، وسمانى بهذا الاسم [عبدالقادر] .
(3) المقام المراد هنا ، هو مقام قاب قوسين الوارد فى قوله تعالى : ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى .. النجم/٩
(4) الحديث : إن لله سبعين حجابا من نور وظلمة ، لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما انتهى اليه بصره [انظر تخريجه فيما سبق] .
(5) خمرة التوحيد : التوحيد الشهودى فى عالم الذر ، حيث اشهد الله ذرية بنى ادم ، واقروا بالتوحيد .. والكاس = قوله تعالى : الست بربكم

نَظَرْتُ[١] إلَى الْمَحْفُوظِ والْعَرْشِ نَظْرَةً
فَلاَحَتْ لِىَ الأَنْوَارُ[٢] والرَّبُ أَعْطَانِى[٣]

أَنَا[٤] قُطْبُ أَقْطَابِ الْوُجُودِ بأَسْرِهِ[٥]
أَنَا بَازُهُمْ وَالكُلُّ يُدْعَى بِغِلْمَانِى

فَلَوْ[٦] أَنَّنِى أَلْقَيْتُ سِرِّى بِدَجْلَةٍ[٧]
لغَارَتْ وَرَاحَ الْمَاءُ مِنْ[٨] سِرِّ بُرْهَانِى

وَلَوْ أَنَّنِى أَلْقَيْتُ سِرِّى إِلَى[٩] لَظًى(1)
لأُخْمِدَتِ النِّيرانُ مِنْ عُظْمِ سُلْطَانِى

وَلَوْ أَنَّنِى أَلْقَيْتُ سِرِّى لِمَيِّتٍ[١٠]
لقَامَ بإِذْنِ اللَّهِ حَيّاً[١١] وَنَادَانِى(2)

---

[١] ف : نظرت لعرش الله واللوح
[٢] ف : الأملاك
[٣] ف : سمانى
[٤] سقط هذا البيت من ف ، وورد فيها :

أنا الدرة البيضاء أنا سدرة الرضا
تجلت لى الأنوار والله اعطانى

وصلت إلى العرش المجيد بحضرة
إفنانمنى ربى حقيقا وناجانى

وتوجنى تاج الوصول بنظرة
ومن خلع التشريف والقرب اكسانى

[٥] .: بأسرها
[٦] س ، غ : ولو
[٧] غ : لدجلة
[٨] س ، غ : فى سر اعلانى
[٩] ف : على
[١٠] ف : بميت
[١١] س ، غ : فى الحال

---

(1) لظى : اسم من اسماء جهنم ؛ سميت بذلك لأنها اشد النيران (لسان العرب ٣٧/٣)
(2) الأبيات من ٧ : ١٠ عبارة عن كلام بلسان التصريف والتمكين فى المقام الربانى : كن.

سَلُوا[١] عَنِّىَ السُّرَى[1] سلُوا عَنِّىَ المُنَى
سَلُوا عَنِّىَ القَاصِى سَلُوا عَنِّىَ الدَّانِى

سَلُوا عَنِّىَ العَليَا[2] سَلُوا عَنِّىَ الثَّرَى
وَمَا كَانَ تَحْتَ التَّحْتِ وَالإِنْسِ وَالجَانِ

فَيَا مَعْشَرَ الأَقْطَابِ لُمُّوا[٢] بِحَضْرَتِى[٣]
وَطُوفُوا بِحَانَاتِى[٤] وَاسْعُوا لأَرْكَانِى

وَغُوصُوا بِحَارِى تَظْفَرُوا بِجَوَاهِرِى[3]
وَتِبْرِى وَيَاقُوتِى وَدُرِّى وَمُرْجَــانِى

وَقَفْتُ عَلَى الإِنْجِيلِ حَتَّى[٥] شَرَحْتُهُ
وَفَكَّكْتُ[٦] فى التَّوْرَاةِ رَمْزَةَ عِبْرَانِى[4]

---

[١] الأبيات ١١ : ١٤ ساقطة من ف
[٢] غ : هلموا
[٣] :. لحضرتى
[٤] س : بخاناتى
[٥] س ، غ : جمعا
[٦] × س ، غ/ ف : وفسرت توراة وأسطر عبرانى

---

(1) السرى : السير بالليل ، وفى قوله تعالى : سبحان الذى اسرى بعبده (لسان ١٤٧/٣)
(2) العليا : السماء وراس الجبل ، وهى كل ما يرتفع من الشىء
(3) البحار هنا يراد بها خوض غمار طريق المحبة ، وذلك فيما يخص الأقطاب الواصلين . اما مطلق السالكين ، فالبحار فى حقهم تعنى المجاهدة والرياضة ، ومن هنا ورد فى الغوثية : المجاهدة بحر المشاهدة ، فمن اراد المشاهدة فعليه بالمجاهدة .
اما الجواهر المشار بها فى البيت ، فهى اسرار القطبية وانوار التجليات الذاتية على قلوب الواصلين ؛ وهى أسرار وانوار متعددة ، لذا رمز الامام إليها بالتبر والياقوت والدرر والمرجان .
(4) العبرانى : موسى عليه السلام . والتوراة فى الاصطلاح الصوفى ، هى تجليات الأسماء الصفاتية ، فقد صرحت التوراة بالأسماء الالهية والمحت للصفات الالهية .. ومن هنا سميت توراة ، من التورية (الانسان الكامل ٦٩/١)

وَحَلَّلتُ(١) رَمْزاً كَانَ عِيسَى يَحُلُّهُ
بِهِ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَا(٢) وَالرَّمْزُ سُرْيَانِى(1)

وَخُضْتُ(٣) بِحَارَ(٤) الْعِلْمِ مِنْ قَبْلِ نَشْأتِى
أَخِى(٥) وَرفِيقِى كَانَ مُوسَى بْنِ عِمْرَانِ

---

[١] س ، ف : وفكيت/ غ : وصليت
[٢] س ، غ : الموتى
[٣] ف : وغصت
[٤] س : بحور
[٥] × س ، ف

---

(1) السريانية هى اللغة التى نزل بها الانجيل ، وهى لغة [السريان] وهم قوم سكنوا شمال الجزيرة العربية حتى الفتح الاسلامى ، وبعده بقرون . وقد اعتبرت السريانية لغة مقدسة ! والسبب فى ذلك ، أن السريان هم الذين قاموا بنقل كتب الحكمة اليونانية إلى اللغة العربية ، وقد كانت الترجمة تتم إما من اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية ، أو من اليونانية إلى العربية مباشرة . وفى كلا الحالين ، كانت بعض الكلمات تستعصى على المترجمين ، ولا يجدون لها مرادفا دقيقا فى العربية ، فكان السريان ـ أحيانا ـ يرسمون هذه الكلمات بلغتهم .. ومع مر السنين ، نظر إلى هذه الكلمات ، وإلى اللغة السريانية بأسرها ، على أنها رموز تحوى أسرار الحكمة .

وفى الحقبة المعرفية التى عاش فيها الامام الجيلانى ، كانت الفكرة الخاصة برمزية هذه [السريانية] وقدسيتها ، سائدة بشكل واضح . حتى أن الامام الجيلانى يذكر أن السريانية هى : أول ما تكلم به آدم ، وأن الناس يوم القيامة يحاسبون جميعا بالسريانية ، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية (الفتح الربانى ص ٢٥٤) وقد نسب للامام الجيلانى حزب يسمى « حزب السريانية » يحتوى على ألفاظ مثل : سهسوب ، طهطهوب ، لهوب .. الخ (الفيوضات الربانية ص ١١٦ ـ مخطوطة مكتبة مسجد المرسى بالاسكندرية ورقة ٣ أ) ولاتزال بعض الطرق الصوفية المعاصرة على هذا الاعتقاد ، فنجد فى أحزابها بعض الالفاظ الغريبة ، التى ينظرون اليها على أنها الفاظ سريانية ، وبالتالى فهى رموز مقدسة وأسرار دقيقة (انظر مثال ذلك فى : الحزب الكبير ، للطريقة البرهانية ـ أتباع الشيخ محمد عثمان البرهانى السودانى ـ ضمن مجموعة أوراد الطريقة ص ١٨) .

فَمَنْ فِى رِجَالِ اللَّهِ نَالَ مَكَانَتِى
وَجَدِّى رَسُولُ اللَّهِ فِى الأَصْلِ رَبَّانِى

أَنَـا قَـادِرِىُّ الْـوَقْتِ عَبْـدُ لِقَـادِرٍ
أُكَنَّى[١] بِمُحْيِى الدِّينِ وَالأَصْلُ جِيلاَنِى[٢]

---

[١] س ، ع : واسمى

[٢] س ، غ : ووالدتى الزهراء بنت محمد — أبـوهـا رسـول الله عـز بهم شـانى

أنا الكوكب الدرى أنا شمس خانها — أنا الفرد قد ألبست فى الحب تيجانى

س : انتهت .. وقد زاد فى صدرها الامام المنزلى بيتا للترجيع فقال :

صلاتى على المختار من خير عدنان — سلامى على الجيلانى شيخى وبرهـانى



القسم الثانى

المقالات الرمزية



المقالة الأولى :

عَقِيدَةُ البازِ الأَشْهَب

★ فتوح الغيب
★ قلائد الجواهر
★ الفيوضات الربانية



وَحَقِّكَ .. إنَّ عَيْناً لَنْ تُرِيَها
جَمَالَكَ ، فَإنَّها عَيْنٌ شَقِيَّةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ[١] لِلَّهِ الَّذِى كَيَّفَ الْكَيْفَ وَتَنَزَّهَ عَنِ الكَيْفِيَّةِ ، وَأَيَّنَ الْأَيْنَ وَتَعَزَّزَ عَنِ الأَيْنِيَّةِ ، وَوُجِدَ فِى كُلِّ شَىءٍ وَتَقَدَّسَ عَنِ الظَرْفِيَّةِ ، وَحَضَرَ عِنْدَ كُلِّ شَىءٍ وَتَعَالَى عَنِ الْعِنْدِيَّةِ ، فَهُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَىءٍ وَلَيْسَ لَهُ آخِرِيَّةٌ.

إنْ[٢] قُلْتَ : أَيْنَ ، فَقَدْ طَالَبْتَهُ بِالْأَيْنِيَّةِ . وَإِنْ قُلْتَ : كَيْفَ ، فَقَدْ طَالَبْتَهُ[٣] بِالْكَيفِيَّةِ . وَإِنْ قُلْتَ : مَتَى ، فَقَدْ زَاحَمْتَهُ بِالْوَقْتِيَّةِ . وَإِنْ قُلْتَ لَيْسَ فَقَدْعَطَّلْتَهُ عَنِ الْكَوْنِيَّةِ . وَإِن قُلْتَ : لَوْ ، فَقَدْ قَابَلْتَهُ بِالنَّقْصِيَّةِ . وَإِنْ قُلْتَ : لِمَ ، فَقَدْ عَارَضْتَهُ فِى الْمَلَكُوتِيَّةِ .

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُسْبَقُ بِقَبْلِيَّةٍ ، وَلَا يُلْحَقُ بِبَعْدِيَّةٍ ، وَلَا يُقَاسُ بِمِثْلِيَّةٍ وَلَا يُقْرَنُ بِشَكْلِيَّةٍ ، وَلَا يُعَابُ بِزَوْجِيَّةٍ ، وَلَا يُعْرَفُ بِجِسْمِيَّةٍ .

سُبْحَانَهُ وَتَعالَى . . لَوْ كَانَ شَبَحاً[٤] ، لَكَانَ مَعْرُوفَ الْكَمِّيَّةِ . وَلَوْ كَانَ جِسْماً لَكَانَ مُتَآلِفَ الْبِنْيَةِ .

بَلْ هُوَ وَاحِدٌ ، رَدّاً عَلَى البَيَانِيَّةِ[٥] (1)

---

[١] غ . و : هذه عقيدة الباز الأشهب /ف : وهذه عقيدة الغوث الأعظم قدس الله تعالى سره .
[٢] غ : وان
[٣] ف : طلبته
[٤] ف : شخصا
[٥] : البنوية

---

(1) لم يعرف فى أهل الفرق من يلقبون بالبنوية ـ التى وردت فى سائر النسخ ـ أما البيانية التى اثبتناها فى المتن . فهى فرقة تنسب الى (بيان بن سمعان التميمى) الذى ظهر بالعراق بعد المائة =

صَمَدٌ ، رَدّاً عَلَى الثَنويَّةِ[١] (1) .
لَامَثِيلَ لَهُ ، طَعْناً عَلَى الْحَشَوِيَّةِ(2) .
لَا كَقَوْلِهِ[٢] ، رَدّاً عَلَى مَنْ أَلْحَدَ بِالْوَصْفِيَّةِ(3) .

لَا يَتَحَّرَكُ مُتَحَرِّكٌ - فِي خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ، فِي[٣] سِرٍّ أَوْ جَهْرٍ ، فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ - إلا بِإِرَادَتِهِ ، رَدّاً عَلَى الْقَدَرِيَّةِ(4)

[١] :. الوثنية
[٢] ف : لا كفء له
[٣] غ : أو / و : فى شر !

= الأولى وأدعى الحلول ، فأحرقه خالد بن عبدالله القسرى سنة ١١٩ هجرية (التبصير فى الدين للاسفراييني ص ١٩) وذهب بيان بن سمعان الى القول بان الله تعالى نور ، صورته صورة الانسان ، وأن جميع اعضائه تفنى الا وجهه ، وزعم أن جزءا من الله حل فى على بن أبى طالب واتحد بجسمه وأن هذا الجزء الالهى انتقل اليه بنوع من التناسخ (التبصير ص ٧٠ - التنبيه والرد للملطى ص ١٤٩ - الملل والنحل للشهرستانى ص ١٥٥ ، ٢٥٦)

(1) يبدو ان ثمة تصحيفا وقع لهذه الكلمة - كسابقتها - فكتبت (الوثنية) وقد اصلحناها بكلمة (الثنوية) لان المراد من العبارة تقرير صمدية الله تعالى . وللصمد عدة معان (راجع : لسان العرب ٤٧٣/٢ - القاموس ٣١٩/١ - التكملة والذيل ٢٤٢/٢) وأشهر هذه المعانى : الصمد ، الذى تعمد اليه الأمور - أى ترجع اليه - فلا يقضى فيها غيره . وفى ذلك رد على (الثنوية) القائلين بالاثنين الازليين ، النور والظلام ، وانهما متساويان فى القدم ، مختلفان فى الجوهر والطبع والفعل (الملل والنحل ص ٢٦٣)

(2) الحشوية : القائلون بان لله تعالى جسما ولحما ودما وجوارح وأعضاء ! وإنه - تعالى - أجوف من أعلاه الى صدره . وقد حكى عن (مضر ، وكهمس ، والهجيمى) وهم أعلام الحشوية ، أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة (الملل والنحل ص ١٠٧ ، ١٠٨)

(3) الوصفية : مذهب من أجروا الصفات الواردة فى القران ، على ما يتعارف عليه من صفات الاجسام . ووضعوا أحاديث كاذبة ، نسبوها إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، أكثرها مقتبس من التراث اليهودى والاسرائيليات .

(4) فى الحديث الشريف : القدرية مجوس هذه الامة (اخرجه ابو داود - وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات - وتعقبه السيوطى) ويرى الاسفراييني وغيره من الائمة ، أن المعتزلة هم القدرية (التبصير ص ٣٧) أما الملطى ، فقد ذكر سبع فرق للقدرية : تزعم الأولى أن الحسنات والخير من الله ، والشر والسيئات من الناس . وتزعم الثانية أنهم يقدرون على الخير كله دون توفيق من الله . وتزعم الثالثة أن الله جعل إليهم الاستطاعة الكاملة .. والرابعة تنكر أن يكون علم الله سابقا على فعل العباد .. وهكذا (التنبيه والرد ص ١٥٧ : ١٦٧)

لَا تُضَاهَى قُدْرَتُهُ وَلَا تَتَنَاهَى حِكْمَتُهُ ، تَكْذِيباً لِلْهُذِيلِيَّةِ[١](1) .
حُقُوقُهُ الواجبة ، وَحُجَّتُهُ الْبَالِغَةُ ، وَلَا حَقَّ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ إذَا طَالَبَهُ ، نَقْضاً لِقَاعِدَةِ النَّظَّامِيَّةِ(2) .

عَادِلٌ لَا يَظْلِمُ فِى أَحْكَامِهِ ، صَادِقٌ لَا يُخْلِفُ فِى إعْلَامِهِ ، مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ ، لَا خَالِقَ لِكَلَامِهِ(3) . أَنْزَلَ الْقُرآنَ فَأَعْجَزَ الْفُصَحَاءَ فِى نِظَامِهِ ، إرْغَاماً

[١] : الهذلية

(1) الهذيلية : فرقة كلامية من معتزلة البصرة ، ينسبون إلى الهذيل العلاف ـ المتوفى ٢٢٧ ـ الذى قيل إنه لم يدرك فى أهل الجدل مثله ، وأنه وضع ألفا ومائتى مصنف يرد فيها على المخالفين وينقض كتبهم (التنبيه ، هامش ص ٤٣)
أما تكذيب الامام الجيلانى له هنا ، فهو لقوله بتناهى مقدورات البارى عز وجل ، حتى إذا انتهت مقدوراته ، لايقدر على شىء (التبصير ص ٤٢) وإذا دخل هذا الوقت ، بقى أهل الجنة جمودا ساكنين لايقدرون على حركة ولانطق ، وينقطع عذاب أهل النار. وذلك مايعرف عند العلاف بسكون حركة أهل الخلدين .

(2) النظامية : أصحاب ابراهيم بن سيار النظام ـ ابن أخت العلاف ـ الذى كان من أذكياء المعتزلة ، توفى ٢٣١ هجرية . وموضع نقد الامام الجيلانى ، لقول النظام فى (الصلاح والأصلح) أن الله تعالى لايقدر على أن يفعل بعباده فى الدنيا ماليس فيه صلاحهم (الملل ص ٥٧) وأنه يجب على الله تعالى أن يفعل مافيه صلاح العبد ، وإلا كان قد بخل عليه ! يقول الاسفراييني : الوجوب على الله محال ، وكل عاقل يعلم أن الكافر لاصلاح له فى كفره . فعلى هذا ـ يعنى كلام النظام ـ يجب أن تكون حجة الله منقطعة ، حتى لايكون له على عبيده حجة (التبصير ص ٤٣)

(3) حول كلام الله (القرآن) هل هو أزلى قديم أم حادث مخلوق ، جرت فتنة ووقائع لاحصر لها ، فعلى حين يرى السلف أن كلامه تعالى متكلم بكلام قديم أزلى غير مخلوق ، اعتقد المعتزلة ان القرآن مخلوق ـ وكان بعض الخلفاء يعتقدون فى أراء المعتزلة ـ فجرت الوقائع التى كان اشهرها محنة الامام احمد بن حنبل ، التى عرفت فى هذا الوقت باسم : محنة خلق القرآن.

لِحُجَجِ الْمُرْدَارِيَّةِ[١] (1) .

يَسْتُرُ الْعُيُوبَ ـ رَبُّنَا ـ وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِمَنْ يَتُوبُ . فَإِنْ امْرُؤٌ إِلَى ذَنْبِهِ عَادَ فَالْمَاضِي لَا يُعَادُ مَحْضاً[٢] لِلْبَشَرِ . تَنَزَّهَ عَنِ الزَّيْفِ وَتَقَدَّسَ عَنِ الْحَيْفِ . وَنُؤْمِنُ أَنَّهُ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينِ ، وَأَنَّهُ أَضَلَّ الْكَافِرِينَ ، رَدّاً عَلَى الْهِشَامِيَّةِ(2) .

وَنُصَدِّقُ أَنَّ فُسَّاقَ هَذِهِ الأُمَّةِ(3) ، خَيْرٌ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ ، رَدّاً عَلَى الْجَعْفَرِيَّةِ(4) .

[١] :. المرادية
[٢] و : منحضا

(1) جاء في الأصول (المرادية) ولاتوجد في الفرق مرادية ! وإنما المردارية .. وهم أتباع عيسى بن صبيح المردار ، الملقب براهب المعتزلة ، توفي في حدود ٢٢٦ هجرية .
وقد نقل مؤرخو الفرق عن هذا المردار قوله : إن الناس قادرون على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وبما هو أفصح منه (التبصير ص ٤٧ ـ الملل ص ٧١)

(2) هناك عدة فرق تعرف بالهشامية .. منها فرقتان من الروافض : أصحاب هشام بن عبدالحكم ، وأصحاب هشام بن سالم الجواليقي .. وكلاهما يدين بالتشبيه والتجسيم (التبصير ص ٥٤) لكن إشارة الامام الجيلاني في النص ، تقع مباشرة على هشامية المعتزلة .. وهم أصحاب هشام بن عمر الفوطي الذي بالغ في القدر ، وقال إن الله تعالى لم يؤلف بين قلوب المؤمنين ولم يضل الكافرين (التبصير ص ٤٦) وبعد ما أورد الشهرستاني الآيات الدالة على خلاف ذلك ، يقول : وليت شعري ! مايعتقده الرجل ؟ إنكار الفاظ التنزيل وكونها وحيا من الله تعالى ، فيكون تصريحا بالكفر ! أو إنكار ظواهرها .. ووجوب تأويلها ؟؟ (الملل ص ٧٤) .

(3) جرت السنة المخالفين للمعتزلة بتسميتهم « فساق الامة » وكان المعتزلة ـ بدورهم ـ يرون أن فساق الامة ، هم المخالفون لهم في المذهب !

(4) تنسب الجعفرية الى جعفرين .. جعفر بن مبشر الثقفي المتوفي ٢٣٤ هجرية ، وجعفر بن حرب الهمداني المتوفي ٢٣٦ هجرية ـ يصفهما الاسفراييني بأنهما : كانا أصلين في الجهالة والضلالة ! وكان جعفر بن مبشر يقول بأن فساق هذه الأمة ، شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة (التبصير ص ٤٧) وقد أورد الملطي والشهرستاني هذا القول أيضا ، عند ذكرهما للجعفرية (التنبيه ص ٣٧ ـ الملل ص ٧٨)

وَنُقِرُّ أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ ، وَيَرَى غَيْرَهُ ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ لِكُلِّ[١] نِدَاءٍ ، بَصِيرٌ بِكُلِّ خَفَاءٍ ، رَدّاً عَلَى الْكَعْبِيَّةِ (1) .

خَلَقَ خَلْقَهُ فِي أَحْسَنِ فِطْرَةٍ ، وَأَعَادَهُمْ بِالْفَنَاءِ(2) فِي ظُلْمَةِ الْحُفْرَةِ (3) وَسَيُعِيدُهُمْ[٢] كَمَا بَدَأَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ(4) رَدّاً عَلَى الدَّهْرِيَّةِ (5) .

فَإِذَا جَمَعَهُمْ لِيَوْمِ حِسَابِهِ ، يَتَجَلَّى لأَحْبَابِهِ فَيُشَاهِدُونَهُ بِالْبَصَرِ - يُرَى كَالْقَمَرِ (6) - لاَ يُحْجَبُ إلاَّ عَنْ مَنْ أَنْكَرَ الرُّؤْيَا مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ(7) .. كَيْفَ يُحْجَبُ عَنْ

---

[١] غ ، و : بكل
[٢] ف : ويعيدهم

---

(1) الكعبية : أصحاب عبدالله بن أحمد البلخى ، المعروف بأبى قاسم الكعبى - توفى ٣١٩ هجرية - من معتزلة بغداد .. كان يزعم أن الله تعالى لا يرى نفسه ولا يرى غيره ، وان الله لا يسمع (التبصير ص ٥٢) فهو تعالى سميع بصير بمعنى أنه عالم بالمسموعات والمبصرات (الملل ص ٨٧)

(2) المرادبالفناء : الموت .

(3) المراد بالحفرة : القبر .

(4) إشارة لقوله تعالى : كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا انا كنا فاعلين .. الانبياء/ ١٠٤

(5) الدهرية : القائلون بقدم العالم وإنكار الصانع (التبصير ص ٨٩) وهم اصحاب العبارة الشهيرة : ما ثم إلا أرحام تدفع وارض تبلع .. وقد ورد عنهم فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .. الجاثية / ٢٤٥

(6) فى الحديث الشريف : إنكم سترون ربكم كما ترون القمر (أخرجه البخارى : المواقيت ١٦ ، التوحيد ٢٤ - ومسلم : المساجد ٢١١ ، ٢١٢ - وابن ماجة : المقدمة ١٣ - وابن حنبل ٢/٣٦٠ ، ٣٦٥)

(7) اتفقت طوائف المعتزلة على نفى رؤية الله بالابصار ، سواء فى هذه الدار ، أو فى دار القرار (انظر : الملل والنحل ص ٤٩)

أَحبَابِهِ ؟ أَوْ يُوقِفُهُمْ دُونَ حِجَابِهِ ! وَقَدْ تَقَدَّمَتْ مَواعِيدُهُ الْقَدِيمَةُ ٱلْأَزلِيَةِ :
يَاأَيَّتُهَا النَفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ارجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً[1]
أَتُرى تَرْضَى[2] مِنَ ٱلجِنَان بِحُورِيَّةٍ ؟
أَمْ تَقْنَعُ مِنَ ٱلْبُسْتَانِ بِالْحُلَلِ السُّنْدُسِيَةِ ؟
كَيْفَ يَفْرحُ ٱلْمَجْنُونُ بِدُونِ لَيْلَى ٱلعَامِرِيَّةِ .. كَيْفَ يَرْتَاحُ ٱلْمُحبُّون بِغَيْر النَّفَحَاتِ ٱلْعَنْبرِيَّةِ ؟
أَجْسَادٌ أُذِيبَتْ فِى تَحْقِيقِ ٱلْعُبُودِيَّةِ ، كَيْفَ لَا تَتَنَعَّمُ بِالْمَقَاعِدِ الْعِنْدِيَّةِ[3] .
أَبْصَارٌ سَهِرَتْ فِى اللَّيَالِى الدَّيْجُورِيَّةِ ، كَيْفَ لَا تَتَلَذَّذُ بِالْمُشَاهَدَةِ ٱلْأُنْسِيَةِ[4] .
وَأَلْبَابٌ عُذِّبَتْ بِاللُّبَانَاتِ[5] الْحُبِّيَّةِ[١] ، كَيْفَ لَا تَشْرَبُ مِنَ الْمُدَامَةِ الرَّبِيَّةِ[6] .
وَأَرْوَاحٌ حُبِسَتْ فِى ٱلْأَشْبَاحِ الْحِسِّيَّةِ ، كَيْفَ لَا تَسْرَحُ فِى ٱلرِّيَاضِ ٱلْقُدْسِيَّةِ ، وَتَرْتَعُ فِى مَرَاتِعِهَا ٱلْعَلِيَّةِ[7](*) وَتَشْرَبُ مِنْ مَوَارِدِهَا الرَّوِيَّةِ ، وَتُنْهِى مَا بِهَا مِنْ

---

[١] غ : الحيية

(*) المقطع ما بين النجمتين (من ص ١٨٩ إلى ص ١٩١) أغلبه موزون والراجح أنه قصيدة.

(1) سورة الفجر ، آية ٢٧ ، ٢٨

(2) يشير إلى النفس المطمئنة .

(3) قوله تعالى : إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر . سورة القمر/ آية ٥٥

(4) راجع ألفاظ [المشاهدة - الأنس] فيما سبق .

(5) اللبانات : جمع لبن . وهو الضرب الشديد (لسان العرب ٣ ٣٣٨) فيكون المعنى : إن الألباب التى عذبت بأوجاع المحب من شوق ولوعة ووجد ، لابد وأن تثاب بقرب وشرب ومشاهدة .

(6) الربية : الزائدة . يقال فى اللغة [أربيت] إذا أخذت أكثر مما أعطيت (لسان العرب ١/ ١١١٦)

(7) المراتع العلية : إشارة إلى رضا الله عن عباده المقربين ، وما يخلع عليهم من مواهب ومنح . ومن هنا قال الامام : مازلت أرتع فى ميادين الرضا (قصيدة ما فى الصبابة)

فَرْطِ شَوْقٍ وَوَجْدٍ[1] ، شَرْحِ الْحَالِ ، عَنْ تِلْكَ الْشَّكِيَّةِ[2] . . وَيَبْرُزُ حَاكِمُ الْعُشَّاقِ - جَهْراً - وَيَفْصِلُ فِى[١] تِلْكَ الْقَضِيَّةِ .
إِذَا خُوطِبَتْ[3] عِنْدَ التَّلاَقِ بِمَوْلاَهَا[٢] ، ابتَدأَهَا بِالْتَحِيَّةِ . فَيَأْمُرُهَا إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ ، فَتَأْبَى أَنْفُسٌ مِنْهَا أَبِيَّةً[٣] . وَتُقْسِمُ فِيهِ أَنْ لاَ نَظَرَتْ إِلَى سِوَاهُ ، وَلاَ عَقَدَتْ لِسِوَاهُ نِيَّةً . وَلاَ رَضِيَتْ مِنَ الأَكْوَانِ شَيْئاً وَلاَ كَانَتْ مَطَالِبُهَا دَنِيَّةً . فَمَا هَجَرَتْ لَذِيذَ الْعَيْشِ ، إلاَ لِتَحْظَى مِنْهُ بِالْصِّلَةِ السَّنِيَّةِ . وَيَسْقِيهَا مُدِيرُ الرَّاحِ كَأْساً صَفَاهُ مِنْ صَفْوِ[٤] صَفوَاتِهِ ، هَنِيَّةً . إِذَا أُدِيرَتْ عَلَى النُّدَمَاءِ - جَهْراً - حُفَّتْ بِالْبَوَاكِرِ وَالْعَشِيَّةِ ، تَزِيدُهُمْ ارتياحاً وَاشْتِيَاقاً إِلَى أَنْوَارِ طَلْعَتِهِ الْبَهِيَّةِ .
وَحَقِّكَ إِنَّ عَيْناً لَنْ تُرِيهَا جَمَالَكَ ، فَإِنَّهَا عَيْنٌ شَقِيَّةٌ . قَتَلْتَ بِحُسْنِكَ الْعُشَّاقَ جَمْعاً ، بِحَقِّ هَوَاكَ رِفْقاً بِالرَّعِيَّةِ . قُلُوبٌ تَذُوبُ إِلَيْكَ شَوْقاً ، وَلَمْ يُبْقِ الْهَوَى مِنْهَا بَقِيَّةً . فَإِنْ أَقْضِ[4] وَمَا قَضَيْتَ قَصْدِى ، فَإِنِّى مِنْ هَوَاكَ عَلَى وَصِيَّةِ .

---

[١] : عن
[٢] : لمولاها
[٣] ف : انية
[٤] - ف
[٥] ف : ديرت

---

(1) من أشهر التعريفات الصوفية لمصطلح الوجد ، ما نقله السراج الطوسى عن أبى سعيد الأعرابى حين يقول : الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة او شوق إلى غائب او أسف على فائت أو مناجاة بسر (اللمع فى التصوف ص ٣٨٣) ويمكن الرجوع إلى الدلالات المتعددة للوجد فى : الفاظ الصوفية ومعانيها ص ٣٠٣ - التعرف ص ١٣٤ - اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ٥

(2) يقصد : شكوى الارواح من الم الفراق .

(3) لاتزال الاشارة إلى النفس المطمئنة .

(4) يقصد : فإن مات ولم يتم مراده من الرؤية .

وَلَسْتُ بِآيِسٍ عِنْدَ التَّلاقِي - يَاإِلَهِي - بِأَنْ تَمْحُو عَوَاطِفُكَ الْخَطِيَّةَ[1](*) .
كَيْفَ يَكُونُ الرَّدُّ[2] يَاإِخْوَانِي ، وَفِي ٱلْأَسْحَارِ أَوْقَاتٌ رَبَّانِيَّةٌ ، وَإِشَارَاتٌ سَمَاوِيَّةٌ ، وَنَفَحاتٌ مَلَكِيَّةٌ !

وَالدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِ هَذِهِ ٱلْقَضِيَّةِ ، غِنَاءُ ٱلْأَطْيَارِ فِي ٱلْأَشْجَارِ بِالأَلْحَانِ الدَّاوُدِيَّةِ ، وَتَصْفِيقُ الأَنْهَارِ الْمُنْكَسِرَةِ فِي الرِّيَاضِ الرَّوْضِيَّةِ ، وَرَقْصُ ٱلْأَغْصَانِ بِالْحُلَلِ ٱلسُّنْدُسِيَّةِ . . مِنَ ٱلْجَنَّةِ كُلُّ ذَلِكَ[١] ، إِذْعَاناً وَاعِتِرَافاً لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ[3] .

أَلَا يَا أَهْلَ الْمَحَبَّةِ ، إِنَّ الْحَقَّ يَتَجَلَّى فِي وَقْتِ السَّحَرِ وَيُنَادِي : هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ[٢] تَوْبَةً مَرْضِيَّةً ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ الْخَطَايَا بِالْكُلِّيَّةِ ، هَلْ مِنْ مُسْتَعْطٍ فَأُجْزِلَ لَهُ النِّعَمَ والْعَطِيَّةَ . . ألا وَإِن الأَرْوَاحَ إذا صَفَتْ ، كَانَتْ بِبَهْجَتِهِ مُشْرِقَةً مُضِيئةً ، وَتَسَاوَتْ فِي الأَحْوَالِ ، وَهَاقَ عَلَيْهَا كُلُّ رَزِيَةٍ .

---

[١] ف : اذ كل ذلك
[٢] ف : اليه
[٣] ف : مضيئة

---

(1) المعنى هنا : انه لو حرم الرؤية في الدنيا ـ لخطايا وقع فيها ـ فإنه يرجو في الآخرة أن يمحو الله بعطفه الخطايا ، ويمن عليه بتلك الرؤية .

(2) يقصد : رد طلبه للرؤية .

(3) الاشارة إلى تسبيح الموجودات ، كما في قوله تعالى : وإن من شيء إلا يسبح بحمده.. الاسراء / ٤٤

(4) الحديث الشريف : ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ، ويقول من يدعوني فاستجيب له ، من يسألني فاعطيه ، من يستغفرني فاغفر له (اخرجه الشيخان عن ابى هريرة : اللؤلؤ والمرجان ١٤٤/١ ـ وابو داود ، تطوع ٢١ ، سنة ١٩ ـ والترمذى ، مواقيت ٢١١ ، دعوات ٧٨ وابن ماجة ، اقامة ١٨٢ ، ١٩١ ـ والدارمى ، صلاة ١٩ ـ وله عدة روايات في مسند ابن حنبل : ٢٥٨/٢ ، ٢٦٥ ، ٢٨٢ ، ٤١٩ ، ٤٣٣ ، ٤٨٧ ، ٥٠٤ ـ ٤/١٦ ، ٨١ ، ٢١٧ ، ٢١٨

لَاجَرَم أَنَّ رَائِحَةَ دُمُوعِهِمْ فِى الْآفَاقِ ، عِطْرِيَّةٌ . . وبِصَبْرِهِمْ عَلَى بَعْضِ الْهَجْرِ ، اسْتَحَقُّوا الْوَصْلَ مِنَ الْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ . . وَصِحَّةُ أَحَادِيثِهِم فِى طَبَقَاتِ الْمُحِبِّينَ ، مُسْنَدَةٌ مَرْوِيَّةٌ [1] . . وَرَاحُوا - مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ - حَاجَاتُهُمْ مَقْضِيَّةٌ .

هَدِيَّةُ الْحُبِّ قَدْ أَصْبَحَتْ وَاضِحَةً جَلِيَّةً

فَيَالَهَا مِنْ قَوَافٍ بَهِيَّة

وَعَقِيدَةٍ سَنِيَّةٍ

عَلَى أُصُولِ مَذَاهِبِ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ[2]

عَصَمَنِى اللَّهُ تَعَالَى - وَإِيَّاكُمْ - مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا ، فَمَرَقُوا ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ[3] . . وَجَعَلَنِى - وَإِيَّاكُمْ - مِنَ الَّذِينَ لَهُمْ غُرَفٌ ، مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ

[1] المسند ـ من الحديث الشريف ـ هو المرفوع المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان متصلا أو منقطعا . ويذهب الحاكم وابن حجر إلى ان المسند : ما اتصل اسناده إلى رسول الله (تحقيق المختصر من مصطلح الأثر ص ٢٣)

[2] تذكر العبارة المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة . وإن كان الثابت لدينا أن الامام الجيلانى كان يفتى على المذهبين : الحنبلى والشافعى ! إلا أنه من ناحية أخرى ، لم يعرف عنه الدخول فى خلافات المذاهب والتعصب لواحد منها على وجه الخصوص .

[3] جاء الحديث الشريف عن القوم الذين [يقرأون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية] بروايات عديدة فى الكتب التسعة ، انظر : (صحيح مسلم/كتاب الزكاة ١٤٢، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ـ والبخارى/المغازى ٦١ ، فضائل القرآن ٢٦ ، الانبياء ٦ ، المناقب ٦١ ، وابو داود / السنة ٢٨ ـ والترمذى / الفتن ٣٤ ـ والنسائى / الزكاة ٧٩ ، التحريم ٣٦ ـ وابن ماجة/المقدمة ١٢ ـ والدارمى / الجهاد ٢٩ ـ ومالك / القرآن ١٠ ـ وابن حنبل ٩٢/١، ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٤٧، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ٢٥٦ ، ٤٠٤ .. الخ) وقد اعتبر أهل السنة ـ منذ وقت مبكر ـ أن هذا الحديث ينبىء بظهور الخوارج .. (انظر القسم الأول من : الخوارج والشيعة ، للمستشرق يوليوس فلهوزن)

مَبْنِيَّةٌ(1)

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، أَشْرَفِ الْبَرِيَّةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَخَصَّهُمْ بِأَشْرَفِ التَّحِيَّةِ . وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً ، دَائِماً مُتَجَدِّداً مُتَرَادِفاً ، فِي كُلِّ بُكْرَةٍ وَعَشِيَّةٍ[١] .

---

[١] ف : امين ثم آمين
غ : والحمد لله رب العالمين
و : أمين ثم أمين والحمد لله رب العالمين !

---

[1] في الآيات القرآنية : لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية .. سورة الزمر / آية ٢٠١ ، وفي الحديث الشريف : إن اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم ، كما تراءون الكوكب الدرى (اخرجه البخارى فى بدء الخلق والرقاق ، ومسلم فى الجنة : اللؤلؤ والمرجان ٢٨٨/٣)



المقالة الثانية :

وَصْفُ القُطْــب

★ بهجة الأســـرار
★ مخطوط الأزهر (رواق المغاربة /١٢٠١)



لَا مَكْرُمَـةٌ إِلَّا وَهُوَ إِليهَا مَخْطُوب
وَلَامَرْتَبَةٌ إِلَّا وَهُوَ إِليهَا مَجْــذُوب

أنَّى[١] لِلْوَاصِفِ أنْ يَبْلُغَ وَصْفَ[٢] الْقُطْبِ[٣] . . وَلاَ مَسْلَكُ[1] فِى الْحَقِيقَةِ ، إلَّا وَلَهُ فِيهِ مَأْخَذٌ مَكِينٌ ، وَلاَ دَرَجَةٌ فِى الْوِلاَيَةِ إلَّا وَلَهُ فِيهَا مَوْطِنٌ ثَابِتٌ ، وَلاَ مَقَامٌ فِى النِّهَايَةِ إلَّا وَلَهُ فِيهِ[٤] قَدَمٌ رَاسِخٌ ، وَلاَ مُنَازَلَةٌ[2] فِى الْمُشَاهَدَةِ إلَّا وَلَهُ فِيهَا مَشْرَبٌ هَنِىٌّ ، وَلاَ مِعْرَاجٌ[٥] إلَى مَرَاقِى الْحَضْرَةِ إلَّا وَلَهُ فِيهِ مَسْرىً عَلِىّ ، وَلاَ أمْرٌ فِى كَوْنَىِّ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ إلَّا وَلَهُ فِيهِ كَشْفٌ خَارِقٌ ، وَلاَ سِرٌّ فِى عَالَمَىْ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ إلَّا وَلَهُ فِيهِ مُطَالَعَةٌ .

---

[١] : أخبرنا .. المؤدب الحاسب المعروف بالمفيد ، قال : كنت كثيرا ما أتوقع مَن أساله عن شىء من صفات القطب ، فدخلت أنا والشيخ .. المقرىء البغدادى ، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، إلى جامع الرصافة ، فوجدنا فيه الشيخ أبا سعيد القيلوى والشيخ أبا الحسن على بن الهيتى ، فسألت الشيخ أبا سعيد عن ذلك ، فقال : القطب انتهت رئاسة هذا الأمر فى وقته ، وعنده تحط رحال جلالة هذا الشأن ، واليه يلقى أمر هذا الكون وأهله فى عصره ! فقلت : فمن هو فى وقتنا هذا ؟ قال : هو الشيخ محيى الدين عبدالقادر .. فلم أتمالك أن وثبت ـ ووثبوا كلهم ـ لنحضر مجلس الشيخ عبدالقادر .. وما منا إلا من يشتهى أن يسمع منه شيئا فى هذا المعنى ، فوافيناه يتكلم ، فلما استقر بنا المجلس ، قطع كلامه وقال : أنَّى للواصف .. الخ .

[٢] ر : انه وصف

[٣] ب : القطبية

[٤] ر : فيها

[٥] ب : معرا

---

(1) لاحظ فيما سيأتى ، ما سبق أن أشرنا اليه من أن صفات القطب عند الامام الجيلانى هى بعينها صفات الانسان الكامل والمحقق والحكيم المتاله .

(2) المنازلة : مشاهدة برزخية ، تكون بين نزول الحقائق الالهية وعروج الحقائق الانسانية ، قبل بلوغ المنزل . وعين المنازلة عند ابن عربى : دنا فتدلى (أنظر : المعجم الصوفى ص ١٠٥٣ وما بعدها) وإشارة الامام الجيلانى هنا ، تفيد بأن المنازلات ـ وغيرها من المشاهدات والدرجات والمعارج ـ هى جميعا مما يتحقق به القطب حتى يبلغ هذه المرتبة .

ولا مَظْهرٌ لوُجُودٍ[١] إلاَّ ولَهُ فِيه مُشاركَةٌ ، ولَا فِعْلٌ لِقوىً إلاَّ ولَهُ فِيه مُباطنَةٌ ، ولا نُور إلاَّ ولَهُ فِيهِ قَبَسٌ ، ولاَ مَعْرِفةٌ إلاَّ ولهُ فِيها نفسٌ[1] ، ولاَ مجْرَى لِسابِقٍ إلاَّ وهُوَ آخذٌ بغايتِهِ[٢] ، ولاَ مَدَى[٣] لِواصِلٍ ، إلاَّ وَهُو مالِكٌ لِنهايتِه .

وَلاَ مَكْرُمَةٌ إلاَّ وهُو إليهَا مَخْطُوبٌ ، ولاَ مرْتَبَةٌ إلاَّ وهُو إليهَا مَجْذُوبٌ ، ولاَ نَفسٌ إلاَّ وَهُوَ فِيهِ مَحْبُوبٌ .

وهُوَ حَامِلُ لِواءِ الْعِزِّ . . وَمُنْتَضِى سَيْفِ الْقُدْرَةِ . .

وحاكِمُ دسْتِ[2] الْوَقْتِ . . وسُلْطَانُ جُيُوشِ الْحُبِّ . .

وَولِيُّ عهْدِ الْتَوْلِيَةِ وَالْعزْلِ[3] . .

لاَيَشْقَى به جَلِيسُهُ ، وَلاَ يَغِيبُ عَنْهُ مَشْهُودُهُ ، وَلاَ يَتَوارَى عَنْهُ حَالُهُ ، وَلاَ مَرْقَى[٤] للأَوْلِيَاءِ فَوْقَ مَرْقَاهُ .

لا مَرْمَى فَوْقَ مَرْمَاهُ ، وَلاَ مَغْشَى فَوْقَ مَغْشَاهُ[٥] ، وَلاَ وُجُودَ أَتَمَّ مِنْ وجُودِهِ

[١] ب : وجود
[٢] مطموسة في ر
[٣] ر : لا هدا
[٤] - ب
[٥] ر : أو قال لا معنا فوق معناه !

(1) النفس - بفتح النون والفاء - إصطلاح صوفي خاص ، يراد به : ترويح القلوب بلطائف الغيوب . وصاحب الأنفاس ، أرق وأصفى من صاحب الأحوال - فالأحوال وسائط ، والأنفاس نهاية الترقي - يقول القشيري : الأوقات لأصحاب القلوب ، والأحوال لأرباب الأرواح ، والأنفاس لأهل السرائر (الرسالة القشيرية ص ٤٦) .

(2) دست . كلمة فارسية تعني : اليد او القدرة . وهي ترد كثيرا في كلام الامام الجيلاني (انظر : الفتح الرباني ص ١٧٠ ، ٢١٩ - بهجة الأسرار ص ٢٦) .

(3) المراد بالتولية والعزل هنا ، تولية الأولياء وعزلهم عن المراتب الروحية . وهي النقطة التي تبدو بشكل واضح فيما يعرف بمحاكم الأولياء (انظر : الحكومة الباطنية ص ٩١)

وَلَا شُهودَ أَظْهَرَ مِنْ شُهودِهِ ، وَلَا اقْتِفَاءَ لِلشَّرْعِ أَشَدَّ مِنَ اقْتِفَائِهِ[1] .

أَلَا إِنَّهُ . كَائِنٌ بَائِنٌ[2] ، مُتَّصِلٌ مُنْفَصِلٌ ، أَرْضِىٌّ سَمَاوِىٌّ ، قُدْسِىٌّ غَيْبِىٌّ ، وَاسِطَةٌ(١) خَالِصَةٌ ، بَشَرٌ نَافِعٌ(٢) . . لَهُ حَدٌّ يَنْتَهِى إِلَيهِ(٣) ، وَوَصْفٌ يَنْحَصِرُ(٤) فِيهِ ، وَتَكْلِيفٌ يَجِبُ عَلَيهِ .

أَلَا إِنَّه : مُسْتَتِرٌ(٥) بِاتِّصَالِهِ ـ عِنْدَ جَمْعِهِ[3] ـ فِى مَوَاضِعِ نَظَرَاتِ الأَزَلِ ، عَنْ

---

[١] ر : وسطة
[٢] ـ ر
[٣] ر : ما بقى لرجل منتهى اليه
[٤] ـ ر
[٥] ب : مستقر

---

(1) يؤكد الامام الجيلانى هنا على ظاهر الشرع ، مما يفضح دعاوى القائلين بإسقاط التكاليف بعد الوصول ! ولم ينفرد الامام الجيلانى بهذا التأكيد ، انما ورد أيضا عند كبار رجال التصوف ، فقد اتفقوا على أن آخر الغايات فى الطريق الصوفى ، لا يستساغ فيها ترك دقيقة من دقائق الشرع . وها هو عبدالكريم الجيلى يصف الانسان الكامل فيقول بأنه : يقف بالكلام عند حد الشريعة ، فلا يخرج منه بلسان القدرة على سياج الحكمة : بل يؤدى حق العبودية بظاهره ، كما أدى حق الربوبية بباطنه (شرح مشكلات الفتوحات المكية ، مخطوط ، ورقة ٢٣ أ) .

(2) يتضح معنى [كائن بائن] مما ذكره الامام الجيلانى حين قال فى وصف العارف : ألا إنه كائن بين الخليقة بالجسم ، بائن عنهم بالأفعال والأعمال والظواهر والسرائر والضمائر والنيات (الغنية ١٢٧٢/٣) ويذكر السهروردى أن يحيى بن معاذ الرازى، سئل عن وصف العارف ، فقال : رجل معهم ، بائن عنهم (عوارف المعارف ص ٢٥٥) .

(3) الجمع : شهود الحق تعالى بلا خلق (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٤١) وهو يقابل فى الاصطلاح الصوفى [الفرق] وهو رؤية الخلق بلا حق .. (المعجم الصوفى ص ٢٧٠) أنظر ما سنقوله فى الهامش التالى .

عَيْنِ الْتَفْرِقَةِ[1] ، بَيْنَ الْهَيْبَةِ وَالْأُنْسِ . . بَارِزٌ بِانْفِصَالِهِ ـ عِنْدَ تَفْرِيقِهِ ـ فِي شِعَابِ الْمُشَاهَدَاتِ ، لِتَبَايُنِ الصِّفَاتِ بَيْنَ إِضْعَافِ الْجَلاَلِ وَإِنْعَاشِ الْجَمَالِ ، مَعَ لُزُومِ وَصْفِ الْمَقَامِ وَزَوَالِ نَعْتِ الْحَالِ[2] .

فَحَاجِبُ انْفِرَادِهِ بِالْأَسْرَارِ ، نَادَى[١] عَلَى عِزَّةِ ظُهُورِهِ بِالْآيَاتِ ، فِي خَفِيٍّ[٢] اقْتِرَانِ حُكْمِهِ بِالْأَمْرِ . . وَإِلاَّ لَمَا اسْتَطَاعَ ظُهُورُهُ بِالْبَسْطِ ـ مُنَزَّلاً فِي حَيِّزِ[٣] الْأَيْنِ ـ مِنْ بَطْشِ الْقَبْضِ .

وَلَوْلاَ أَنَّ عَالَمَ الْمُلْكِ وَالْحِكْمَةِ ، لاَ يَظْهَرُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالْقُدْرَةِ ـ إِلاَّ فِي قِشْرِ[3] الْحِجَابِ وَإِشَارَةِ الرَّمْزِ وَقَيْدِ[٤] الْحَصْرِ ـ لَشَاهَدَ أَهْلُ الْكَوْنِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ عَجَباً .

وَلَولاَ أَنَّ جُمْلَتَهُ وَتَفْصِيلَهُ ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ[4] ، مُنْطَوٍ[٥] فِي حَوَاشِي تَمْكِينِ

---

[١] ر : باد
[٢] ب : خفاء
[٣] ر .. حين
[٤] غير واضحة في ر
[٥] - ر

---

(1) التفرقة = الفرق . الاحتجاب بالخلق عن الحق . وبقاء الرسوم الخلقية بحالها (اصطلاحات القاشاني ص ١٣٦) والمراد بالتفرقة هنا . ما يعرف عند الصوفية بالفرق الثاني . وهو الحال الذي يشعر فيه العبد بالانفصال بعد الاتصال والجمع .ومنذ وقت مبكر . أشار القشيري الى ضرورة الجمع والفرق معا . فان من لا تفرقة له لا عبودية له . ومن لا جمع له . لا معرفة له (الرسالة القشيرية ص ٢٧٠)

(2) يقصد : زوال الاتصاف بالصفات الالهية في مشاهد التجليات الجلالية والجمالية . بعد الرجوع من الجمع الى الفرق - مع البقاء والتمكن من مقام القطبية .

(3) يستخدم الصوفية لفظ [القشر] للاشارة الى كل علم ظاهر . يصون العلم الباطن [اللب] عن الفساد . (راجع الفاظ الصوفية ص ٢٥٩) .

(4) يعود الضمير هنا على القطب

الْمُصْطَفى ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسلَّمَ(1) . . وَمَمْزُوجَ رَحِيقِهِ ، بِتَنْسِيمِ نَسَماتِ رِعَايَتِهِ . وَمَحْصُولَ تَحْصِيلِهِ[١] ، فِى قَبْضَةِ أَمْرِهِ ـ إِقْبالاً وَإِدْبَاراً ، وَجَمْعًا وَتَفْرِقَةً ـ لَخَرَقَ سَهْمُ الْقُدْرَةِ[٢] سِيَاجَ الْحِكَمِ .

وَلَوْ خُلِقَ[٣] لِهَذَا[٤] الأَمْرِ الَّذِى أُشِيرُ إِلَيْهِ لِسَانٌ ، لَسَمِعْتُمْ وَرَأَيْتُمْ[٥] عَجَباً[٦] :

مَا فِى[٧] الصَّبَابَةِ مَنْهَلٌ مُسْتَعْذَبُ
إِلاَّ وَلِى فِيـهِ الأَلَــذُّ الأَطْـيَبُ[٨]

---

[١] ر : محصور تلخيصه
[٢] ب : القدر
[٣] ر : أخلق
[٤] ر : بهذا لهذا !
[٥] ر : لسمعهم ورأيتهم
[٦] ب : عجائب
[٧] ر : ثم أنشد وهو يقول/ ب : ثم أنشد من غير ترغم ولا ألحان .
[٨] ∴ ثم قال : كل الطيور تقول ولا تفعل ، والباز يفعل ولا يقول ، ولأجل هذا صار كف الملوك سدته . فقام اليه الشيخ أبو المظفر منصور بن المبارك الواعظ ـ المعروف بجرادة ـ وأنشد يقول :

بِكَ الشُّهُور تَهَنى وَالْمَوَاقِيتُ يَا مَنْ بِأَلْفَاظِهِ تَغْلُو الْيَـواقِيتُ
البَازَ أَنْتَ فَإِنْ تَفْخَرْ فَلاَ عَجبٌ وَسَائِرُ النَّاسِ فِى عَيْنِى فَوَاخِيتُ
أَشُمُّ مِنَ قَدَمِيكَ الصِّدْقِ مُجْتَهِداً لأَنَّــهُ قَـدَمٌ فِى نَعْلِهِ الصِّـيتُ

ب : فقام الشيخ على بن الهيتى وقبل قدم الشيخ عبدالقادر .. قال : فكتبنا هذا المجلس عندنا وحفظنا ما وقع فيه .
ر : قلت ، ولابد ما أثاره بهذا ، إلا قول الشيخ عبدالقادر رضى الله عنه : قدمى هذا على رقبة كل ولى لله !

---

(1) يرى الصوفية على اختلاف مشاربهم ، أن مطلق مقام القطبية والكمال لا يجوز إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم . إذ هو ـ كما يقول الجيلى ـ الانسان الكامل بالاتفاق . والكاملون من الأولياء ملحقون به لحوق الكامل بالاكمل (الانسان الكامل ٢/٤٧) .

المقالة الثالثة :

الغــــوثية

★ الفيوضات الربانية
★ مخطوط الأسكوريال (رقم ٢/٤١٧)
★ مخطوط بلدية الاسكندرية (رقم ٣٠٢٥ج /تصوف)
★ مخطوط بلدية الاسكندرية (رقم ٣٦٤٧ج /تصوف)



يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، مَا ظَهَرتُ
فِى شَىءٍ . . كَظُهورِى فى الإِنْسَانِ

قَالَ[1] الغَوْثُ الأَعْظَمُ ، الْمُسْتَوْحِشُ[2] مِنْ[3] غَيْرِ اللَّهِ[4] ، المُسْتَأْنِسُ بِاللَّهِ . . قَالَ[5] اللَّهُ تَعالَى[6] : يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ! قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَارَبَّ الْغَوْثِ[7] .

قَالَ : كُلُّ طَوْرٍ[I] بَيْنَ النَّاسُوتِ والْمَلَكُوتِ ، فَهُوَ شَرِيعَةٌ . وَكُلُّ طَوْرٍ بَيْنَ المَلَكُوتِ[8] وَالْجَبَرُوتِ ، فَهُوَ طَرِيقَةٌ . وَكُلُّ[9] طَوْرٍ بَيْنَ الْجَبَروتِ واللَّاهُوتِ

---

[١] ك : بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبى ونعم الوكيل والحمد لله ولى النعمة والسلام على نبى الرحمة ، أما بعد فهذه الرسالة الغوثية ، هى مخاطبة الغوث نفسه بنفسه ، قال ..
ل : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله كاشف النعمة (!) والسلام على نبيه محمد خير البرية وشفيع الأمة ، أما بعد فقال ..
ى : بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، أما بعد قال .. (وتوجد أشعار بالفارسية فى الهامش الأعلى للصفحة) .
ف : وهذه الغوثية وهى بطريق الإلهام القلبى والكشف المعنوى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله كاشف الغمة ، والصلوات على خير البرية ، أما بعد ، قال ..

[٢] ل : المستولد

[٣] ف : عن

[٤] ل : أمة

[٥] بقية الفقرة ساقطة من ل

[٦] - ى

[٧] - ى

[٨] غير واضحة فى ل

[٩] بقية الفقرة ساقطة من ل

(I) الطور : الحالة . والجمع [أطوار] أى الحالات المختلفة ، كما فى قوله تعالى (وقد خلقكم أطورا .. نوح / ١٤) وهو أيضا : الحد بين الشيئين ، فيقال [عدا طوره] اذا جاوز حده وقدره .

يقول ابن منظور : وفى كلام العرب ، يعنى الطور : الجبل (لسان العرب ٢/ ٦٢٣) وهو يشير بذلك الى طور سيناء الوارد ذكره فى القرآن الكريم . أما الطور هنا ، فيعنى المرحلة الذوقية الممتدة بين الحقائق الانسانية والحقائق الالهية .

فَهُوَ حَقِيقَةٌ[1] .

قَالَ[١] : يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ ، مَا ظَهَرْتُ فِى شَىءٍ ، كَظُهُورِى فِى الإِنْسَانِ[2] .

---

[١] ك : قال لى يا غوث قلت لبيك يارب العرش/ ف : ثم قال لى/ ل : قال لى يا غوث

---

(1) جمع الامام الجيلانى هنا بين ثلاثة الفاظ ، طالما تجتمع فى كلام الصوفية ، وهى : الشريعة ، الحقيقة ، الطريقة . وفى معانى هذه الألفاظ يقول القشيرى . الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية . فالشريعة جاءت بتكليف الحق ، والحقيقة إنباء عن تصرف الحق . الشريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده . الشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى (الرسالة القشيرية ص ٤٦) ويرى الصوفية ان هناك رابطة وثيقة بين الحقيقة والشريعة ، ويؤكدون على انه : لا شريعة بلا حقيقة ، ولا حقيقة بلا شريعة (الفاظ الصوفية ص ٢٠٣) وفى هذه الرابطة الوثيقة بين الشريعة والحقيقة ، يقول الصوفية : من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق . ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق !

والطريقة هى الخط الواصل بين الشريعة والحقيقة ، وهى السير برسوم الشريعة حتى تتكشف بواطنها [الحقيقة] ومن هنا جاء المعنى الصوفى القائل بأن الشريعة قشر والحقيقة اللب .. فالشريعة العلم ، والطريقة العمل ، والحقيقة الشهود ! والمراد من الثلاثة ، إقامة العبودية على الوجه المراد من العبد (مدارج الحقيقة ص ١٢ وما بعدها) ويمكن الرجوع إلى المعانى الصوفية العديدة لهذه الألفاظ الثلاثة ، فى رسالة ابن عربى (الحكم الحاتمية فى المصطلحات الجارية على السنة الصوفية ، ص ٢٨) وقد ربط نجم الدين كبرى بين هذه المعانى ، فقال : الشريعة كالسفينة ، والطريقة كالبحر ، والحقيقة كالدر ، فمن ترك هذا الترتيب لم يصل إلى الدر ! فاول شىء وجب على الطالب هو الشريعة ، يراد بها ما أمر الله تعالى ورسوله من الوضوء والصلاة والصوم .. الخ . ثم الطريقة ، وهى الأخذ بالتقوى وما يقربك من المولى من قطع المنازل والمقامات . وأما الحقيقة فهى الوصول الى المقصد ومشاهدة نوّر التجلى ، كما قيل : الشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تحضره ، والحقيقة أن تشهده (رسالة السفينة ، مخطوط أيا صوفيا رقم ١٦٩٧ ورقة ٥ ب - ختم الأولياء ص ٤٧٦) .

(2) فى ضوء نظرية الانسان الكامل ، فالانسان هو المرآة التى تظهر فيها الصفات الالهية خلال فيض التجليات . ويستشهد القوم على ذلك بطريق النقل ، حيث أمر الله الملائكة بالسجود لآدم (سورة الحجر/٢٩) لأنه محل النفخة الالهية من روحه تعالى ، وهذا ما التبس فهمه على ابليس ، فلعن حين رفض السجود (راجع المزيد عن هذه الفكرة فى : الطواسين ص ٤١ وما بعدها - فصوص الحكم ، الفص الآدمى - الانسان الكامل ٣٨/٢) .

ثُمَّ[١] سَأَلْتُ[٢]: يَارَبِّ ، هَلْ لَكَ مَكَانٌ ؟ قالَ[٣] : أَنَا مُكَوِّنُ[٤] الْمَكَانِ ، وَلَيْسَ لِى مَكَانٌ .

ثُمَّ سَأَلْتُ[٥] : يَارَبِّ ، هَلْ لَكَ أَكْلٌ وَشُرْبٌ ؟ قَالَ[٦] : يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ[٧] ، أَكْلُ الْفَقِيرِ وَشُرْبُهُ ، أَكْلِى[٨] وَشُرْبِى[1] .

ثُمَّ[٩] سَأَلْتُ : يَارَبِّ ، مِنْ أَىِّ شَىءٍ خَلَقْتَ الْمَلائِكَةَ ؟ قَالَ : يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ[١٠] ، خَلَقْتُ المَلائِكَةَ مِنْ نُورِ الإِنْسَانِ[2] ، وَخَلَقْتُ الإِنْسَانَ مِنْ نُورِى[١١] .

يَا غَوْثَ[١٢] الأَعْظَمِ ، جَعَلْتُ الإِنْسَانَ مَطِيَّتِى ، وَجَعَلْتُ سَائِرَ الأَكْوَانِ مَطِيَّةً لَهُ[١٣]

---

[١] ـ ك
[٢] ل : قلت
[٣] ف : قال لى/ ك : قال أنا المكان
[٤] ل ، ى : مكان المكان
[٥] ك : قلت
[٦] ف : قال لى
[٧] ـ ل ، ك ، ي
[٨] ك : هو أكلى
[٩] ـ ك
[١٠] ـ ك ، ى
[١١] ك : من نور ظهورى
[١٢] ف : قال لى يا غوث .. (وهكذا فى بقية الفقرات التالية)
[١٣] ـ ك

---

(1) قارن المعنى الوارد هنا ، بما جاء فى الحديث القدسى : يا ابن آدم ، استسقيتك فلم تسقنى واستطعمتك فلم تطعمنى ! قال يارب : كيف أسقيك وأطعمك ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، واستطعمك عبدى فلان فلم تطعمه .. (صحيح مسلم ، باب البر ٤٣) .

(2) نور الانسان : إشارة إلى النور المحمدى ، الذى هو أول خلق الله ـ كما ورد فى الحديث الشريف .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، نِعْمَ الطَّالِبُ(١) أَنَا ، وَنِعْمَ الْمَطْلُوبُ(٢) الإِنْسَانُ(1) !
وَنِعْمَ الرَّاكِبُ(٣) الإِنْسَانُ ، وَنِعْمَ الْمَرْكُوبُ ـ لَهُ ـ سَائِرُ الأَكْوَانِ(٤) .
يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ(٥) ، الإِنْسَانُ سِرِّى وَأَنَا سِرُّهُ . وَلَوْ عَرفَ(٦) الإِنْسَانُ مَنْزِلَتَهُ عِنْدِى ، لَقَالَ فِى كُلِّ نَفس مِنَ الأَنْفَاس : لاَ(٨) مُلْكَ الْيَوْمَ إِلاَّ لِى !
يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، مَا أَكَلَ الإِنْسَانُ(٩) وَمَا شَرِبَ ، وَمَا قَامَ وَمَا قَعَدَ ، وَمَا نَطَقَ وَمَا صَمَتَ ، وَمَا فَعَلَ فِعْلاً ، وَمَا تَوَجَّهَ لِشَىءٍ ، وَمَا غَابَ(١٠) عَنْ شَىْء . . إِلاَّ وَأَنَا فِيهِ ، سَاكِنُهُ(١١) ـ وَمُحَرِّكُهُ وَمُسَكِّنُهُ(2) .

---

[١] ك : المطلوب
[٢] ك : الطالب
[٣] ـ ى
[٤] ك : الحيوان / + ك : الأكوان
[٥] ـ ك
[٦] ل : علم
[٧] ـ ك
[٨] ف : لمن الملك اليوم/ ى : انما ملك الملوك ولا ملك اليوم إلا لى
[٩] ف : شيئا
[١٠] ـ ل
[١١] ك : ساكنا محركه ومسكنه/ ف : ساكنه ومحركه/ ى : ساكن ومتحرك

---

(1) يقول البسطامى فى هذا المعنى : غلطت فى ابتدائى فى أربعة أشياء ، توهمت أنى أذكره ، وأعرفه ، وأحبه ، وأطلبه ! فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ، ومعرفته سبقت معرفتى ، ومحبته أقدم من محبتى ، وطلبه لى أولا حتى طلبته (حلية الأولياء ٣٤/١٠ ـ مرآة الزمان ص ٢٠٦ ـ طبقات الصوفية ص ١٦) .

(2) الكلام هنا على مقام القطب الغوث [الانسان الكامل] وقد أخبر الامام الجيلانى عن حاله فى القطبية بعبارات مماثلة ، يقول فيها : أنا أمر من أمر الله .. يقال لى بين النهار والليل سبعون مرة : يا عبدالقادر تكلم يسمع منك ، يا عبدالقادر بحقى عليك تكلم ، بحقى عليك كل ، بحقى عليك اشرب (بهجة الأسرار ص ٢١) .

يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ[١] ، جِسْمُ الإِنْسَانِ وَنَفْسُهُ ، وَقَلْبُهُ وَرُوحُهُ[٢] ، وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ ، وَيَدُهُ وَرِجْلُهُ[٣] .. كُلُّ ذلِكَ ظَهَرْتُ[٤] لَهُ ، بِنَفْسِى[٥] - لِنَفْسِى - لاَ هُوَ إلاَّ أَنَا ، وَلاَ أَنَا غَيْرُهُ[1] .

يَا غَوْثَ[٦] الأَعْظَمِ[٧] ، إِذَا رَأَيْتَ الْمُحْتَرِقَ[٨] بِنَارِ الْفَقْرِ ، وَالْمُنْكَسِرَ بِكَثْرَةِ[٩] الْفَاقَةِ وَالْعِيَالِ . فَتَقَرَّبْ إِلَيْهِ ، لاَ[١٠] حِجَابَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ[2] .

[١] - ك
[٢] ك : وقلبه وروحه وجسمه
[٣] ى ، ف : ولسانه
[٤] ل : أظهرت/ ف : طهرت
[٥] ل : بنفس لنفس لا لنفسه/ ف : نفس بنفس
[٦] ف : ثم قال لى/ ى : وقال لى/ ل : قال
[٧] - ك
[٨] ك : المحرق
[٩] ل : بكسرة/ ك : بكثرة العيال/ ف : بكثرة الفاقة
[١٠] ت : لانه لا/ ل ، ى : فلا

(1) الحديث القدسى : كنت سمعه وبصره ويده ورجله .. الخ .

(2) يقول البسطامى : عبدت الله أربعين سنة ، فنوديت : إذا اردت ان تأتِىَ إلَىَّ . فأتِ إلى بما لَيس فىَّ فقلت : سبحانك وما ليس فيك ؟ قال : الفقر (النور من كلمات أبى طيفور ص ١٦٢)
وللامام الجيلانى كلام مطول فى هذا المعنى ، مفاده أنه دخل الى ربه من باب الفقر .. فوجد فيه الكنز الأكبر والسر الأعظم (أنظر بهجة الأسرار ص ٨٦) .
ولا يجوز أن نفهم الفقر هنا بمعناه الظاهر ، كما فعل القشيرى (الرسالة القشيرية ص ١٣٤ : ١٣٨) فقد اتخذ الفقر دلالات صوفية عميقة عند القوم . أنظر مثلا قول أبى المواهب الشاذلى : حقيقة الفقر فى ظاهر الطريقة ، غير ما هو فى باطن الحقيقة ؛ فالظاهر فقر الزهاد من الأعراض الدنيوية ، والباطن فقر الأفراد من الأغراض الأخروية ، شغلا بالله عما سواه - لمن شهد ذلك وراءه (قوانين حكمة الاشراق ص٣٩) كما يمكن الرجوع الى ما كتبته الدكتورة سعاد الحكيم عن دلالات [الفقر] عند ابن عربى ، حيث ابدعت فى تحليل هذه الفكرة (المعجم الصوفى ص ٨٨٤ وما بعدها) وسوف تعاود الغوثية الكلام عن الفقر مشيرة لبعض دلالاته الذوقية ، فيما بعد .
أما كثرة [العيال] الواردة هنا ، فتفهم فى ضوء فكرة [التصريف] التى أشرنا اليها فى تعليقاتنا السابقة ، وفى ضوء الحديث الشريف : الخلق عيال الله .. وبالرجوع الى المعانى اللغوية لهذه الكلمة (لسان العرب ٩٤٤/٢) يتضح مرادفتها للفقر والفاقة .

يَا غَوْثَ ٱلْأَعْظَمِ[١] ، لَا تَأْكُلْ طَعَاماً ، وَلَا تَشْرَبْ شَرَاباً ، وَلَا تَنَمْ نَوْمَةً . . إلَّا بِقَلْبٍ[٢] حَاضِرٍ وَعَيْنٍ نَاظِرٍ .

يَاغَوْثَ ٱلْأَعْظَمِ ، مَنْ قَصَّرَ[٣] عَنْ سَفَرِى[٤] فِى الْبَاطِنِ ، ابْتُلِىَ بِسَفَرِ[٥] الظَّاهِرِ ، وَلَمْ[٦] يَزْدَدْ مِنِّى إلَّا بُعْداً فِى السَفَرِ[٧] الظَّاهِرِ(1) .

يَاغَوْثَ الأَعْظَم، الإتِّحَادُ(2) حَالٌ لَا يُعَبَّرُ[٨] بِلِسَانِ الْمَقَالِ ، فَمَنْ آمَنَ بِهِ قَبْلَ

[١] الفقرة ساقطة بكاملها من ك ، ى
[٢] ف : عند قلب
[٣] ل ، ى ، ف : حرم
[٤] ل : سفره
[٥] ل ، ى : بالسفر
[٦] بقية الفقرة ساقطة من ل
[٧] ل : بالسفر / ف : سفر
[٨] ل : لاينبغى

(1) المراد بسفر الباطن . المعراج الصوفى (انظر الفقرات الثلاث الأخيرة من الغوثية) أما سفر الظاهر . فهو السياحة الصوفية كإحدى الرياضات الروحية عند أهل الطريق .
(2) للاتحاد عند الصوفية مفهوم خاص ، يقترب كثيرا من معانى الفناء فى الله ـ ويمكن مراجعة التناول التفصيلى لهذه الفكرة فى (الفكر الصوفى ص ١٦٨ - ١٧٧)

وُجُودِ الْحَالِ[١]، فَقَدْ كَفَرَ . . وَمَنْ أَرَادَ الْعِبَارَةَ[٢] بَعْدَ الْوُصُولِ فَقَدْ أَشْرَكَ[٣] .
يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ[٤] ، مَنْ سَعِدَ[٥] بِالسَّعَادَةِ الْأَزَلِيَّةِ[٨] فَطُوبَى لَهُ ، لَمْ يَكُنْ مَخْذُولاً أَبَداً[٧] وَمَنْ شَقِىَ بِالشَّقَاوَةِ الأَزَلِيَّةِ[٨] فَوَيْلٌ لَهُ ، لَمْ يَكُنْ مَقْبُولاً بَعْدَ ذَلِكَ قَطُّ(1) .

يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ ، جَعَلْتُ الْفَقْرَ وَالْفَاقَةَ مَطِيَّةَ[٩] الانْسَانِ ، فَمَنْ رَكِبَهَا[١٠] فَقَدْ بَلَغَ[١١] الْمَنْزِلَ - قَبْلَ أَنْ يَقْطَعَ[١٢] الْمَفَاوِزَ وَالْبَوَادِى[١٣] .

---

[١] ل : قتل ومن أراد الحال كفر
[٢] ل ، ف : العبادة/ ى : العيان
[٣] ل ، ك ، ف : بالله العظيم
[٤] ف : قال لى
[٥] ك : السعيد
[٦] ك ، ل : بسعادة الازل
[٧] - ل / ك : بعد ذلك قط
[٨] ل : شقاوة الابد / ك : بشقاوة الازل
[٩] ل : مطيتى / ك : مطيتان/ ى : مطيتن
[١٠] ل ، ك : ركبهما
[١١] ك : أمن ان يقطع
[١٢] ك : قطع المنازل للبادى !
[١٣] ل : قال عليه الصلاة والسلام كفى بالتوحيد عبادة ، وعبادة الحكماء رؤية الله !

---

(1) يمكن قراءة هذه الفقرة فى ضوء الحديث : هذه فى النار ولا ابالى ، وهذه فى الجنة ولا ابالى .. (مسند ابن حنبل ٥/٢٣٩) وغير ذلك من الأخبار الواردة فى أن الله قدر السعادة والشقاء أزلا (صحيح البخارى : القدر ١ ، ٣ ، ٥ ـ المسند ٣/٣٧٥ ـ ٣٥٣) وهى الآثار التى تفتحت عنها افكار الجبرية الذوقية عند الصوفية ، وقولهم بالعناية الالهية السابقة قبل الخلق الجسمانى .

يَاغَوْثَ ٱلْأَعْظَمِ ، لَوْ عَلِمَ ٱلانْسَانُ مَا كَانَ لَهُ[١] بَعْدَ الْمَوْتِ ، مَا تَمَنَّى الْحَيَاةَ[٢] فِي الدُّنْيَا . . وَيَقُولُ[٣] فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَلَمْحَةٍ[٤] : يَارَبِّ[٥] أَمِتْنِي[٦] أَمِتْنِي (1) .

يَاغَوْثَ ٱلْأَعْظَمِ ، حُجَّةُ الْخَلَائِقِ عِنْدَ اللَّهِ[٧] يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الصُمُّ الْبُكْمُ الْعُمْيُ (2) ،

ثُمَّ التَّحَيُّرُ[٨] وَالْبُكَاءُ . .

وَفِي ٱلْقَبْرِ كَذَلِكَ !

---

[١] ـ ك ، ف
[٢] ك : الحياة أبدا
[٣] ف ، ى : ويقول بين يدى الله
[٤] ـ ك
[٥] ـ ك
[٦] ـ ف ، ى
[٧] ف : عندى
[٨] ف : التحسر

---

(1) للموت دلالات خاصة ، استقرت فى المصطلح الصوفى منذ وقت مبكر ، ففى أولى العبارات التى يذكرها السلمى لحاتم الأصم (المتوفى ٢٣٧) قوله : من دخل فى مذهبنا هذا ، فليجعل فى نفسه أربع خصال من الموت : موت أبيض وموت أسود وموت أحمر وموت أخضر !
فالموت الأبيض [الجوع] والموت الأسود [احتمال أذى الناس] والموت الأحمر [مخالفة النفس] والموت الأخضر : لبس المرقع من الخرق (طبقات الصوفية ص ٢٢ ، ٢٣) وقد ظلت هذه الألوان الأربعة للموت واردة فى لغة المتصوفة حتى عصر ابن عربى (راجع : الفتوحات ٢٥٨/١ ـ المعجم الصوفى ١٠٢٨) وإن كان القاشانى قد أضاف للمصطلح أبعادا ذوقية جديدة (اصطلاحات ص ٩٠ وما بعدها) أما عن المعنى العام للموت ، فيمكن الرجوع إلى التصوير الصوفى الدراماتيكى الرائع ، الذى وصفه النفرى فى : موقف الموت (المواقف والمخاطبات ص ٣٤ ، ٣٥)

(2) يقول الامام الجيلانى : أولياء الله ـ بالاضافة الى الخلق ـ صم بكم عمى ، إذا قربت قلوبهم من الحق عز وجل لا يسمعون من غيره ، ولا يبصرون غيره .. عندهم شغل عن سماع كلام الخلق ، فهم فى واد والخلق فى واد ، وليس لغيره تعالى فيهم نصيب (الفتح الربانى ص ١٥)

يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ (١) ، اَلْمَحَبَّةُ حِجَابٌ (٢) بَيْنَ المُحِبِّ والْمَحْبُوبِ . فَإذَا فَنَى اَلْمُحِبُّ عَنِ الْمَحَبَّةِ (٣) ، وَصَلَ بِالْمَحْبُوبِ (٤) .

يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ ، رَأَيْتُ الْأَرْوَاحَ (٥) يَتَرَاقَصُونَ (٦) فِي قَوَالِبِهِمْ ، مِنْ (٧) « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » [1] .. إلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٨) .

يَاغَوْثَ (٩) الأَعْظَمِ ، مَنْ سَأَلَنِى عَنِ الرُّؤْيَةِ بَعْدَ الْعِلْمِ ، فَهُوَ مَحْجُوبٌ بِعِلْمِ الرُّؤْيَةِ (١٠) . وَمَنْ (١١) ظَنَّ أَنَّ الرُّؤْيَةَ (١٢) عَيْنُ (١٣) الْعِلْمِ ، فَهُوَ مَغْرُورٌ بِرُؤْيَةِ الرَّبِّ (١٤) تَعَالَى [2] .

---

[١] العبارة التالية فى غير موضعها فى ل
[٢] ف : المحبة بينى وبين المحب والمحبوب
[٣] ى : المحبوب !
[٤] ل : الى المحبوب
[٥] ك : الأرواح كلها
[٦] ى : يرقصون / ك : يتربصون
[٧] ل ، ى ، ف : بعد قوله تعالى
[٨] - ل
[٩] فى ف ، وليس ببقية النسخ : ثم قال الغوث ، رأيت الرب تعالى وقال لى ياغوث ..
[١٠] ك : عن الرؤية/ ى : بالرؤية عن العلم
[١١] ف : فمن
[١٢] - ل
[١٣] ل ، ى ، ف : غير !
[١٤] ف : الله

---

[1] سورة الأعراف / آية ١٧٢ ـ والاشارة إلى عالم الذر .

[2] يفرق المحققون من أهل التصوف بين الرؤية ـ رؤية الله فى الأشياء ـ وبين العلم بالرؤية .. وهذه الفكرة نراها مبثوثة بين طيات المواقف والمخاطبات ، فقد فرق النفرى بين علم الرؤية الحقيقى وبين الرؤية (موقف : حق المعرفة ص ١٠٢) ثم جعل العلم حجاب الرؤية ، حيث العلم ومافيه ، فى الغيبة لا فى الرؤية (موقف : حجاب الرؤية ص ٥٣ ، ٥٤) بل انه يقرر أن صاحب الرؤية : يفسده العلم ، كما يفسد الخل العسل (المخاطبة الثلاثون ص ١٨٥)

قَالَ لِى[١] . . يَاغَوْثَ ٱلْأَعْظَمِ ، مَنْ رَآنِي اسْتَغْنَى عَنِ السُّؤَالِ فِى كُلِّ حَالٍ ،
وَمَنْ لَمْ يَرَنِى ، لَمْ[٢] يَنْفَعْهُ السُّؤَالُ ! وَهُوَ[٣] مَحْجُوبٌ[٤] بِالْمَقَالِ .
يَاغَوْثَ ٱلْأَعْظَمِ ، لَيْسَ ٱلْفَقِيرُ عِنْدِى ، مَنْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ[٥] . . بَلِ ٱلْفَقِيرُ[٦] :
مَنْ[٧] لَهُ أَمْرٌ فِى كُلِّ شَىءٍ ، إِذَا قَالَ لِلشَّىءِ[٨] : « كُنْ » فَيَكُونُ .
ثُمَّ قَالَ لِى[٩] . . لَا أُلْفَةَ وَلَا نِعْمَةَ فِى الْجِنَانِ[١٠] بَعْدَ ظُهُورِى فِيهَا ، وَلَا وَحْشَةَ
وَلَا حُرْقَةَ فِى النَّارِ بَعْدَ خِطَابِى لِأَهْلِهَا[1] .
يَاغَوْثَ[١١] الأَعْظَمِ ، أَنَا أَكْرَمُ مِنْ كُلِّ كَرِيمٍ ، وَأَنَا أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحِيمٍ .
يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ ، نَمْ عِنْدِى - لَا كَنَوْمِ[١٢] الْعَوَامِ - تَرَانِى[١٣] . فَقُلْتُ :
يَارَبِّ ، كَيْفَ أَنَامُ عِنْدَكِ ؟ قَالَ : بِخُمُودِ[١٤] الجِسْمِ عَنِ اللَّذَّاتِ وَخُمُودِ

---

[١] : ثم قال لى
[٢] ف : فلا
[٣] ل : فهو
[٤] ى : عنى
[٥] ك ، ل : مال
[٦] ك : عندى
[٧] - ل/ ف ، ى : الذى
[٨] ك : له/ ل : لشىء
[٩] ك : ياغوث
[١٠] ك : لا آفة ولا نعمة فى الجنة !
[١١] + ل : قال لى
[١٢] ل : نوم
[١٣] ف : ترنى
[١٤] ك : نوم القلب عن الخطرات وخمود الروح عن اللحظات وفناء ذاتك فى الذوات

---

(1) أفاض ابن عربى وعبدالكريم الجيلى فى الكلام عن هذه الدقيقة .. حيث جعلا من ظهور الله لأهل الجنة سببا فى تعلق أهل الجنة بوجه الله تعالى وذهولهم عن نعيم الجنات ، كذلك فان خطاب الله لأهل النار .. أمر ينقلب به عذابهم عذوبة !

النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَخُمُودِ الْقَلْبِ عَنِ الْخَطَرَاتِ ، وَخُمُودِ الرُّوحِ عَنِ اللَّحَظَاتِ ـ وَفَنَاءِ ذَاتِكَ فِى الذَّاتِ[١] .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، قُلْ لأَصْحَابِكَ وَأَحْبَابِكَ ، مَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ[٢] صُحْبَتِى[٣] فَعَلَيْهِ بِالْفَقْرِ[٤] ، ثُمَّ فَقْرِ الْفَقْرِ ، ثُمَّ الْفَقْرِ عَنِ الْفَقْرِ[٥] . . فَإِذَا تَمَّ فَقْرُهُمْ[٦] فَلاَ ثَمَّ[٧] إِلاَّ أَنَا[٨] .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، طُوبَى لَكَ إِنْ كُنْتَ رَءُوفاً عَلَى بَرِيَّتِى ، وَطُوبَى[٩] لَكَ إِنْ كُنْتَ غَفُوراً[١٠] لِبَرِيَّتِى .

يَا غَوْثَ[١١] الأَعْظَمِ ، جَعَلْتُ فِى النَّفْسِ (1) طَرِيقَ[١٢] الزَّاهِدِينَ . . وَجَعَلْتُ فِى الْقَلْبِ طَرِيقَ الْعَارِفِينَ . . وَجَعَلْتُ فِى الرُّوحِ طَرِيقَ الْوَاقِفِينَ . . وَجَعَلْتُ نَفْسِى مَحَلَ الأَحْرَارِ[١٣] .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، قُلْ لأَصْحَابِكَ[١٤] : اغْتَنِمُوا دَعْوَةَ الْفُقَرَاءِ . فَإِنَّهُمْ عِنْدِى وَأَنَا عِنْدَهُمْ .

---

[١] ل : عن الذات
[٢] ـ ك
[٣] ف : جنابى
[٤] ف ، ل : باختيار الفقر
[٥] ـ ل ، ف/ ى : عن فقر الفقر
[٦] ف ، + ى : الفقر
[٧] ى ، ل : الفقر
[٨] ـ ك ، ى
[٩] ل : ثم طوبى
[١٠] ى : غفور على
[١١] الفقرة ساقطة بكاملها من ف
[١٢] ك : طريقة
[١٣] ل : محملا للأسرار
[١٤] ف : وأحبابك

---

(1) يقصد : مخالفة النفس ، التى هى إحدى سبل الزهد

يَا غَوْثَ[١] الأَعْظَمِ ، أَنَا مَأْوَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَسْكَنُهُ ، وَمُنْتَظَرُهُ[٢] . . وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، لَا تَنْظُرْ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا ، تَرَانِي[٣] بِلَا وَاسِطَةٍ . وَلَا تَنْظُرْ إِلَى النَّارِ وَمَا فِيهَا تَرَانِي بِلَا وَاسِطَةٍ .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، أَهْلُ الْجَنَّةِ مَشْغُولُونَ[٤] بِالْجَنَّةِ(1) . . وَأَهْلُ النَّارِ مَشْغُولُونَ بِالنَّارِ[٥] . . وَأَهْلِي مَشْغُولُونَ بِي[٦] .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ[٧] ، إِنَّ لِي عِبَاداً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّعِيمِ ، كَأَهْلِ النَّارِ يَتَعَوَّذُونَ مِنَ الْجَحِيمِ(2) .

يَا غَوْثَ[٨] الأَعْظَمِ ، أَهْلُ الْقُرْبِ يَسْتَغِيثُونَ مِنَ الْقُرْبِ[٩] ، كَأَهْلِ[١٠] الْبُعْدِ

---

[١] الفقرة ساقطة من ى
[٢] :. ومنظره
[٣] ـ ك
[٤] ك ، ى : مشتغلون
[٥] ف ، ى : بى/ وبقية الفقرة ساقطة من ك ، ف ، ى
[٦] ل : بك
[٧] الفقرة مضطربة فى جميع النسخ ! فقد جاء فى ك : يا غوث ان بعض عباد مشغولون بى ، يا غوث أهل الجنة .. الخ/ ف : يا غوث الأعظم بعض أهل الجنة .. الخ/ ل : ان لى عباد أهل الجنة .. الخ !
[٨] الفقرة التالية وردت فى ل ، ف : من شغل بسوائى (ل : سواى) كان (ل : حبه) لصاحبه زنارا يوم القيامة .
[٩] ف : القربة
[١٠] ف : كما ان أهل/ ك : وأهل

---

(1) كانت رابعة العدوية ، المتوفاة ١٨٥ هجرية ، من أوائل من عبروا عن هذا المعنى : فقد سمعت القارىء يتلو : « إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون » . فقالت : مساكين اهل الجنة ، فى شغل هم وازواجهم (شطحات الصوفية ص ١٨) .

(2) من العبارات الشهيرة لأبى يزيد البسطامى ، قوله : إن لله خواص من عباده ، لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا بالخروج من الجنة ، كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار (حلية الأولياء ٣٤/١٠ ـ شطحات الصوفية ٣٤) .

يَسْتَغِيثُونَ مِنَ الْبُعْدِ[١] .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، إنَّ لِي عِبَاداً - سِوَى[٢] الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ - لاَ يَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِمْ أَحَدٌ[٣] مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَلاَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ . . وَلاَ أَحَدٌ[٤] مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَلاَ أَحَدٌ[٥] مِنْ أَهْلِ النَّارِ . . وَلاَ مَالِكٌ وَلاَ رَضْوَانُ[1] ، وَلاَ خَلَقْتُهُمْ[٦] لِلْجَنَّةِ وَلاَ لِلنَّارِ ، وَلاَ لِلثَّوَابِ وَلاَ لِلْعِقَابِ ، وَلاَ لِلْحُورِ وَلاَ لِلْقُصُورِ وَلاَ لِلْغِلْمَانِ[٧] . . فَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِهِمْ ، وَإِنْ[٨] لَمْ يَعْرِفْهُمْ .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، أَنْتَ[٩] مِنْهُمْ .

وَمِنْ عَلاَمَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، أَجْسَامُهُمْ مُحْتَرِقَةٌ مِنْ[١٠] قِلَّةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَنُفُوسُهُمْ مُحْتَرِقَةٌ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَقُلوبُهُمْ مُحْتَرِقَةٌ عَنِ الخَطَرَاتِ[١١] ، وَأَرْواحُهُمْ مُحْتَرِقَةٌ عَنِ اللَّحَظَاتِ[١٢] وَهُمْ[١٣] أَصْحَابُ الْبَقَاءِ[2] . .

---

[١] الفقرتان السابقتان فى هامش ك
[٢] ك : أسوة
[٣] ى : أحدا
[٤] – ك
[٥] ى : أحدا
[٦] ك : جعلتهم
[٧] ل : ولا للولدان
[٨] – ى
[٩] ف : وأنت
[١٠] ل : فى
[١١] ى : عن اللحظات وهم
[١٢] ل : الخطاب
[١٣] ى : وهم أهل التقى المحترقون بنور اللقا / ف : المحترقة

---

(1) مالك : الملك الموكل بجهنم . رضوان : ملك الجنة .
(2) الاشارة هنا الى (البقاء الثانى) وهو البقاء بعد الفناء . أو البقاء فى الله بعد الفناء عن ما سواه .

الْمُحْتَرِقُونَ بِنُورِ اللِّقَاءِ(1) .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، إِذَا جَاءَكَ(١) الْعَطْشَانُ(٢) فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ وَأَنْتَ صَاحِبُ الْمَاءِ الْبَارِدِ ـ وَلَيْسَ(٣) لَكَ حَاجَةٌ بِالْمَاءِ(٤) ـ فَلَوْ كُنْتَ(٥) تَمْنَعُهُ(٦) فَأَنْتَ أَبْخَلُ الْبَاخِلِينَ(٧) . . فَكَيْفَ أَمْنَعُهُمْ مِنْ رَحْمَتِي ، وَأَنَا(٨) أَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، مَا بَعُدَ عَنِّي أَحَدٌ بِالْمَعَاصِي(٩) ، وَلاَ قَرُبَ مِنِّي أَحَدٌ بِالطَّاعَاتِ(١٠) .

---

[١] ك : جاك
[٢] ف : عطشان
[٣] الجملة ساقطة من ك
[٤] ى : إلا بالماء
[٥] ـ ى/ ك : فان
[٦] ى : ومنعته
[٧] بقية الفقرة ساقطة من ى
[٨] ف ، ل : وأنا أشهدت (سجلت) على نفس بأنى أرحم الراحمين
[٩] ل : من المعاصى / ف : من أهل المعاصى
[١٠] ل : من الطاعات/ ف : من أهل الطاعات/ ل : بالطاعة

---

(1) يقول النفرى فى « موقف العز » : وقال لى ، طائفة أهل السموات وأهل الأرض فى ذل الحصر ، ولى عبيد لا تسعهم طبقات السماء ولا تقل افئدتهم جوانب الأرض ، اشهدت مناظر قلوبهم انوار عزتى . فما اتت على شىء إلا احرقته (المواقف ص ١ ، ٢) وقد روى اليافعى بإسناد متصل ، إن الامام الجيلانى وقف على المنبر يتحدث عن هذه الطبقة من العباد ، فوقعت خوارق وكرامات (راجع : خلاصة المفاخر ، ورقة ٤٩ ب) .

ويلاحظ هنا ان الامام الجيلانى ـ والنفرى ـ جعلا الاحتراق ناشئا عن « النور » ، وهى الفكرة التى اوضحها السهروردى الاشراقى حين عرض للمراتب النورانية التى تشرق على السالكين الكاملين فى العلم والعمل ، واثر تلك الأنوار فى النفس والبدن معا (حكمة الاشراق ، الفصل الثامن ـ اصول الفلسفة الاشراقية ص ٣٣٧ وما بعدها) .

يَا غَوْثَ[١] الأَعْظَمِ ، لَوْ[٢] قَرُبَ مِنِّى أَحَدٌ ، لَكَانَ أَهْلَ[٣] الْمَعَاصِى لأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْعَجْزِ وَالنَّدَمِ .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، الْعَجْزُ مَنْبَعُ الأَنْوَارِ(1) ، وَالْعُجْبُ مَنْبَعُ الظُّلْمَةِ .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، أَهْلُ المَعَاصِى مَحْجُوبُونَ[٤] بِالْمَعَاصِى ، وَأَهْلُ الطَّاعَاتِ مَحْجُوبُونَ بِالطَّاعَاتِ . . وَلِى [٥] وَرَاءَهُمْ قَوْمٌ ، لَيْسَ لَهُمْ غَمُّ الْمَعَاصِى ، وَلاَ هَمُّ الطَّاعَاتِ(2) .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، بَشِّرِ الْمُذْنِبِينَ بِالْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ، وَأَنْذِرِ[٦] الْمُعْجَبِينَ(3) بِالْعَدْلِ وَالنِّقَمِ .

---

[١] الفقرة ساقطة من ى – وفى الهامش توجد بعض الأشعار الفارسية

[٢] ل : ان .

[٣] ك : من أهل

[٤] ى : محجوبين

[٥] بقية الفقرة ساقطة من ى/ ف : قوم أخرون

[٦] ى ، ك ، ف : وبشر

---

(1) يقول الصوفية : سبحان من جعل الطريق الى معرفته ! بالعجز عن معرفته . وهناك عبارة صوفية تتردد كثيرا فى كتابات اقطاب التصوف ، خاصة ابن عربى والجيلى ، تقول :
[العجز عن درك الادراك ادراك] وهم ينسبونها أحيانا لأبى بكر الصديق ويجعلون منها صدرا لبيت شعرى مجهول المؤلف ، يقول :

الْعَجْزُ عَنْ دَرْكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ ... وَالْوَقْفُ فِى طُرُقِ الأَخْيَارِ إِشْرَاكُ

(كشف المحجوب للهجويرى ص ٢١٣)

(2) قوله : ليس لهم هم الطاعات .. لا يشير إلى إسقاط التكاليف الشرعية ، وانما إلى ما يعرف عند المحققين بسقوط مؤنة هذه التكاليف ، حيث تصير العبادة للمقرب مناسبة للقاء المحبوب ، فلا يشعر بمشقة فى القيام بها .

(2) المراد بالمعجبين هنا ، من يفرحون بأعمال العبادة ويظنون أنها كفيلة بالقيام بواجب العبودية لله .. انظر ما يتعلق بسقوط رؤية الأعمال فيما يلى .

يَاغَوْثَ[1] الأعْظَمِ ، أَهْلُ الطَّاعَةِ يَذْكُرُونَ النَّعِيمَ ، وَأَهْلُ الْعِصْيَانِ يَذْكُرُونَ الرَّحِيمَ .

يَاغَوْثَ الأعْظَمِ ، أَنَا قَرِيبٌ إِلَى[2] العَاصِى[3] بَعْدَ مَا فَرَغَ[4] مِنَ الْعِصْيَانِ ، وَأَنَا بَعِيدٌ عَنْ الْمُطِيعِ بَعْدَ مَا فَرَغَ[5] مِنَ[6] الطَّاعَاتِ[7] .

يَاغَوْثَ الأعْظَمِ ،خَلَقْتُ الْعَوَامَّ ، فَلَمْ يُطِيقُوا[8] نُور بَهَائِى[9] ، فَجَعَلْتُ[10] بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ حِجَابَ الظُّلْمَةِ[11] ، وَخَلَقْتُ الْخَوَاصَّ ، فَلَمْ يُطِيقُوا مُجَاوَرَتِى ، فَجَعَلْتُ الْأَنْوَارَ[13] حِجَاباً(1) .

يَاغَوْثَ[14] الأعْظَمِ ،قُلْ لَأَصْحَابِكَ مَنْ أَرَادَ[15] أَنْ يَصِلَ[16] إِلَىَّ ، فَعَلَيْهِ

---

[١] ـ ل
[٢] ك ، ى : من
[٣] مايلى ساقط من ك
[٤] ف : يفرغ
[٥] ف : اذا فرغ / ك : او يفرع !
[٦] ل : عن
[٧] ك ، ل : الطاعة
[٨] ل : فلا يطيقون
[٩] ك : مجاورتى
[١٠] الفقرة مضطربة فى ك
[١١] ل : من الظلمة
[١٢] ـ ل ، ى
[١٣] ل : الحجاب بينى وبينهم
[١٤] ـ ك /× ى
[١٥] ل : منكم / ف : منهم
[١٦] ل : يقبل

---

(1) الحديث الشريف : إن لله تعالى سبعين حجابا من نور وظلمة ، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما انتهى اليه بصره .

بِالْخُرُوجِ عَنْ كُلِّ[١] شَىْء سِوَاى[1]

يَاغَوْثَ[٢] الأَعْظَمِ ، أُخْرجْ[٣] عَنْ عُقْبَةِ الدُّنْيَا ، تَصِلْ بِالْآخِرَةِ[٤] .. وَاخْرُجْ عَنْ عُقْبَةِ الْآخِرَةِ تَصِلْ إلَىَّ .

يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ ، أُخْرجْ عَنِ الأَجْسَامِ وَالنُّفُوسِ[2] ، ثُمَّ أَخْرُجْ عَنِ الْقُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ ، ثُمَّ أُخْرجْ عَنِ الْحُكْمِ[٥] وَالأَمْرِ .. تَصِلْ إلَىَّ .

فَقُلْتُ[٦] : يَارَبِّ ، أَىُّ صَلاَةٍ أَقْرَبُ[٧] إلَيْكَ ؟

قَالَ : الصَّلاَةُ التِّى لَيْسَ فِيهَا سِوَاى ، وَصَاحِبُهَا[٨] غَائِبٌ عَنْهَا[3] !

---

[١] ل : كل سواى/ ى : كل شىء / ف : كل شىء سواى
[٢] ـ ك / × ى
[٣] ل : من اخرج .. يصل
[٤] ى : الاخرى
[٥] ـ ك / ل : الامر والحكم
[٦] ك : قال
[٧] ك : افضل واقرب
[٨] ل : والمصلى غائبا عنها / ى : غايب عنها وغايب فيها / ف : والمصلى عنها غائب

---

[1] فى هذا المعنى ، يقول البسطامى : رأيت رب العزة فى المنام فقلت : « كيف الطريق اليك » ؟ فقال : اترك نفسك وتعال (النور من كلمات أبى طيفور ، ص ٨٤) إلا أن الطريق الى الله هنا ، يتجاوز ترك النفس ، إلى ترك كل ما سوى الله .

[2] يقصد الخروج عن اسر شهوات الجسم ومطالب النفس .

[3] تشير هذه الفقرة الى ما يعرف عند الصوفية بسقوط رؤية الأعمال ، وهى فكرة مستقاة بشكل ما ، من الحديث الشريف : لا يدخل أحدكم الجنة بعمله .. قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله بمغفرة ورحمة (أخرجه البخارى ومسلم : اللؤلؤ والمرجان ٢٨٤/٣ - وابن ماجة فى الزهد ٢٠ - والدارمى فى الرقائق ٢٤ - وابن حنبل فى المسند بروايات عديدة) وقوله هنا : وصاحبها غائب عنها .. اشارة الى القيام بالصلاة على وجه خلاصها لله تعالى .

قُلْتُ[١] : فَأَىُّ صَوْمٍ أَقْرَبُ إِلَيْكَ[٢] ؟

قَالَ : الصَّوْمُ الذَّى لَيْسَ فِيهِ[٣] سِوَاى[٤] ، وَصَاحِبُهُ[٥] غَائِبُ عَنْهُ[٦] .

ثُمَّ قُلْتُ : أَىُّ عَمَلٍ أَفْضَلُ عِنْدَكَ ؟

قَالَ : مَا لَيْسَ[٧] فِيهِ سِوَاى[٨] ، مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ[٩] ، وَصَاحِبُهُ غَائِبُ عَنْهُ .

ثُمَّ[١٠] قُلْتُ : أَىُّ بَكَاءٍ أَفْضَلُ عِنْدَكَ ؟

قَالَ : بُكَاءُ الضَّاحِكِينَ(1)

---

[١] - ى

[٢] ف ، ل : أفضل عندك

[٣] - ف

[٤] ف : سوائى

[٥] ل ، ف : والصائم

[٦] ف : عنه غائب / ل : غائب عنه

[٧] ل ، ف : العمل الذى ليس

[٨] - ل / ف : سوائى

[٩] - ى

[١٠] - ك / والعبارة ساقطة بكاملها من ل

---

(1) يرتبط البكاء - والحزن - عند الصوفية بصدق الخوف من الله ، وقد ظهر البكاء كعلامة على الطريق الصوفى منذ وقت مبكر ، حيث كان نتيجة طبيعية لحال الخوف والحزن الذى لازم الزهاد الأوائل ، والذى بلغ مداه عند الحسن البصرى (نشأة الفكر الفلسفى ١٤٤/٣) وقد حفظ لنا القشيرى العديد من أقوال أوائل الصوفية فى البكاء والحزن (الرسالة القشيرية ص ٧١ ، ٧٢) إلا أن الحال الصوفى اكتمل بعد ذلك بالرجاء ، فأصبح الصوفى فى عروجه سلم المقامات ، متنقلا بين قبض الخوف وبسط الرجاء .

أما الضحك المشار إليه هنا ، فهو الضحك الذى جاء ذكره فى قوله تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة (سورة عبس ، آية ٣٩) كعلامة على أهل القرب من الله يوم القيامة .

قُلْتُ[١] : فَأَىَّ[٢] ضَحِكٍ عِنْدَكَ أَفْضَلُ ؟

قَالَ : ضَحِكُ الْبَاكِينَ[٣] .

ثُمَّ[٤] قُلْتُ : أَىُّ تَوْبَةٍ أَفْضَلُ عِنْدَكَ ؟

قَالَ : تَوْبَةُ المعصُومِينَ .

قُلْتُ : فَأَىُّ عِصْمَةٍ أَفْضَلُ عِنْدَكَ ؟

قَالَ : عِصْمَةُ التَّائِبِينَ . .

يَاغَوْثَ الْأَعْظَمِ ، لَيْسَ لِصَاحِبِ[٥] الْعِلْمِ عِنْدِى سَبِيلُ إلاَّ بَعْدَ إنْكَارِهِ ، لأَنَّهُ لَوْ[٦] تَرَكَ الْعِلْمَ عِنْدَهُ صَارَ شَيْطَاناً[٧](1)

---

[١] ى ، ل ، ف : ثم قلت

[٢] : أى

[٣] ى : الباكين التائبين

[٤] ـ ل / والفقرة ساقطة بكاملها من ى

[٥] : أى

[٦] ل : لطالب

[٧] ى : لو لم يترك !

---

(1) العلم المقصود هنا التدبير العقلى ، الذى هو سبيل للمعاش الدنيوى ، وليس طريقا لله .. فالصوفية على اختلافهم ـ متفقون على أن الطريق الى معرفة الله لايمكن عقلا ، فالعقل عقال هذه المعرفة التى لامحل لها غير القلب ، ومن هنا قالوا المدار على القلب .

أما القياس العقلى فلا يجوز مع الحقائق الالهية ، وربما كان مدخلا لتلبيس إبليس على العبد ، فقد قاس إبليس فى البدء بعلمه ، فالتبس عقله وساء ظنه ولعن وطرد من الحضرة الالهية (راجع : الطواسين ، طاسين الأزل والالتباس ص ١٣٥) وقد أوضح عبدالكريم الجيلى هذه النكتة فى النادرات حين قال :

فَلاَ تَكُ مَعْ إبْلِيسَ فى شِبْهِ سِيرَةٍ ... وَدَعْ قَيْدَهُ العَقْلَ فَالْعَقْلُ رَادِعُ

وَلاَ تَطْلُبَنْ فِيهِ الدَّلِيلَ فَإنَّهُ ... وَرَاءُ كِتَابِ الْعَقْلِ تِلْكَ الوَقَائِعُ

وَدَعْ مَا تَرَاهُ مَالَ عَنْ حَدِّ عَدْلِهَا ... إلَى أنْ تُفَاجِئَكَ الشُّمُوسُ الطَّوَالِعُ

(النادرات العينية : ٢٠٣ ، ٢١٤ ، ٢٩١)

قُلْتُ(١) : مَامَعْنَى الْعِشْقِ ؟

قَالَ : اعْشَقْ لِى(٢) ، وَقِ(٣) قَلْبَكَ عَنْ سِوَاى .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ إِذَا عَرَفْتَ ظَاهِرَ الْعِشْقِ(٤) فَعَلَيْكَ بِالْفَنَاءِ عَنِ العِشْقِ ، لأَنَّ العِشْقَ(٦) حِجَابٌ بَيْنَ العَاشِقِ وَالمَعْشُوقِ

ياغَوْثَ الأَعْظَمِ ، إِذَا أَرَدْتَ التَّوْبَةَ ، فَعَلَيْكَ(٧) بِإِخْرَاجِ هَمِّ الذَّنْبِ عَنِ النَّفْسِ ، ثُمَّ بِإِخْرَاجِ(٨) خَطَرَاتِهِ(٩) عَنِ الْقَلْبِ ، تَصِلُ إِلَيَّ(١٠) . . وَاصْبِرْ(١١) ، فَإِنْ لَمْ تَصْبِرْ ، فَأَنْتَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ(1) .

يَاغَوْثَ الأَعْظَمِ ، إِذَا أَرَدْتَ(١٢) أَنْ تَدْخُلَ حَرَمِي ، فَلاَ(١٣) تَلْتَفِتْ بِالْمُلْكِ(١٤)

---

[١] - ل / ف : قال الغوث رأيت عز سلطانه فسألته يارب .. / ى : قال الغوث يارب ..
[٢] - ف/ ل : بى
[٣] ى : وأفرغ
[٤] ى : الغير
[٥] ماسبق ساقط من ف !
[٦] ى : الغير
[٧] - ل
[٨] ك : اخرج
[٩] ى ، ف : الخطرات/ ك : الحس
[١٠] ل : الى ربك
[١١] - ك ، ى ، ف
[١٢] ك : من اراد
[١٣] ل : لا
[١٤] ك ، ى : الى الملك

---

(1) الصبر عند الامام الجيلانى : الوقوف مع البلاء بحسن الأدب . وتلقى أقضيته بالرحب والسعة على أحكام الكتاب والسنة .. وينقسم أقساما ، صبر لله تعالى ، وهو الثبات على أداء أمره وانتهاء نهيه - وصبر مع الله ، وهو السكون تحت جريان قضائه وفعله - وصبر على الله تعالى ، وهو الركون إلى وعده ووعيده فى كل شىء (بهجة الأسرار ١٢٢ - قلائد الجواهر ص ٩١)

وَالْمَلَكُوت ، ولاَ[١] بِالْجَبَرُوتِ[1] . . لأَنَّ الْمُلْكَ شَيْطَانُ الْعَالِمِ ، وَالْمَلَكُوتَ شَيْطَانُ العَارِفِ ، وَالْجَبَرُوت[٢] شَيْطَانُ الْوَاقِفِ[2] ـ فَمَنْ رَضِىَ بِوَاحِدٍ مِنْهَا ، فَهُوَ عِنْدِى مِنَ الْمَطْرُودِينَ .

يا غَوْثَ[٣] الأَعْظَم ، الْمُجَاهَدَةُ بَحْرُ[٤] الْمُشَاهَدَةِ ، وَحِيتَانُهُ[٥] الْوَاقِفُونَ[3] ! فَمَنْ أَرادَ الدُّخُولَ فِى بَحْرِ الْمُشَاهَدَةِ ، فَعَلَيْهِ بِاخْتِيَارِ الْمُجَاهَدَةِ . . لأَنَّ الْمُجَاهَدَةَ بِذْرُ[٦] الْمُشَاهَدَةِ .

يا غَوْثَ [٧] الأَعْظَم ، مَنْ حُرِمَ الْمُجَاهَدَةَ ، فَلاَ[٨] سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْمُشَاهَدَةِ .

يا غَوْثَ[٩] الأَعْظَم ، مَنْ اخْتَارَ[١٠] الْمُجَاهَدَةَ ، بِى أَوْ بِغَيْرِى ! فَلَهُ

---

[١] ـ ل/ ك : ولا الى

[٢] غير واضحة فى ك

[٣] × ك . ى

[٤] ل : من بحار/ ف ، ك : من بحور

[٥] ى : واختاره الوافقون/ ك : واختاره/ ل : وحيطانه

[٦] ف : بروية/ ى : بحر

[٧] ـ ف ر × ى . ف

[٨] ك : ولا

[٩] ـ ف

[١٠] ى : اختارنى فله مشاهدتى

---

(1) عند الصوفية . الملك : هو عالم الشهادة ، الملكوت : عالم الغيب ، الجبروت : عالم العظمة (اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ٢٦ ـ اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٨٨)

(2) يقصد : الواقف على أعتاب الحضرة الالهية على قدم المشاهدة .

(3) لا ندرى لِمَ يوصف الواقفون فى بحر المشاهدة بالحيتان .. وهو وصف لم نره فى مؤلف صوفى اخر . اللهم إلا فى رسالة [الغربة الغربية] حين يقول السهروردى فى أسلوب رمزى دقيق : وخرجت من المغارات والكهوف حتى .. عين الحياة ، فسألت عن الحيتان المجتمعة فى عين الحياة . المتنعمة المتلذذة بظل الشاهق العظيم .. فاتخذ واحد من الحيتان سبيله الى البحر سربا . فقال ذلك ما كنت تبغى . وهذا الجبل هو طورسيناء . والصخرة صومعة أبيك (الغربة الغربية ص ٨٣٧)

مُشَاهَدَتِى ، شَاءَ[١] أَوْ أَبَى[٢] .

يَا غَوْثَ[٣] الأَعْظَمِ ، لاَبُدَّ لِلْطَالِبِينَ مِنَ الْمُجَاهَدَةِ ، كَمَا لاَبُدَّ لَهُمْ مِنِّى .

يَا غَوْثَ[٤] الأَعْظَمِ ، طُوبَى لِعَبْدٍ مَالَ قَلْبُهُ إِلَى الْمُجَاهَدَةِ ، وَوَيْلٌ لِعَبْدٍ مَالَ قَلْبُهُ إِلَى الشَّهَوَاتِ .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىَّ فِى مَحَلٍّ[٥] ، فَاخْتَرْ قَلْباً فَارِغاً[٦] عَنْ سِوَاى[1] .

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، إِنَّ أَحَبَّ[٧] الْعِبَادِ إِلَىَّ . . الْعَبْدُ الَّذِى كَانَ[٨] لَهُ الْوَالِدُ وَالْوَلَدُ ، وَقَلْبُهُ فَارِغٌ مِنْهُمَا - فَلَوْ[٩] مَاتَ لَهُ الْوَالِدُ[١٠] ، فَلَيْسَ[١١] لَهُ الْحُزْنُ بِمَوْتِهِ[١٢] ، وَلَوْ مَاتَ لَهُ الْوَلَدُ ، فَلَيْسَ لَهُ هَمٌّ[١٣] بِمَوْتِهِ[١٤][2] . . فَإِذَا بَلَغَ[١٥]

---

[١] ك ، ى : ان شاء
[٢] ك : ابا
[٣] - ى ، ك
[٤] الفقرة فى غير موضعها بكافة النسخ .
[٥] ى ، ك : كل محل
[٦] ى : حزينا فارغا / ل : حزينا حن بى
[٧] ل ، ى : افضل العباد
[٨] ك : ليس
[٩] ى ، ك : لو / ف : بحيث لو
[١٠] ل : الولد
[١١] ف : فلا يكون
[١٢] ف ، ى : بموت الوالد / ل : الهم بفوات الوالد
[١٣] ك : الهم/ ل : يحزن على الولد
[١٤] ى : بموت الولد/ ف : الولد
[١٥] ف ، ى : بلغ العبد

---

(1) يتضح هنا ، ما سبق الاشارة اليه من أن القلب عند الصوفية ، هو العرش الحقيقى س

(2) فى الحديث النبوى : لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده .. [أخرجه مسلم فى الايمان ٧٠ - والبخارى فى الايمان ٢ وحب الرسول ٨ - والنسائى فى الايمان ١٩ - وابن ماجه فى المقدمة ٩ - والدارمى فى الرقاق ٢٩]

هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ[١] ، فَهُوَ عِنْدِى بِلَا وَالِدٍ وَلَا وَلَدٍ[1] . . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ[2] .
يَا غَوْثُ[٢] الأَعْظَم ، مَنْ لَمْ[٣] يَذُقْ فَنَاءَ الْوَالِدِ[٤] بِمَحَبَّتِى ، وَفَنَاءَ الْوَلَدِ[٥] بِمَوَدَّتِى . . لَمْ يَجِدْ لَذَّةَ الْوَحْدَانِيَّةِ وَالْفَرْدَانِيَّةِ[٦] .
قُلْتُ[٧] : يَارَبِّ[٨] وَمَا عِلْمُ الْعِلْمِ ؟
قَالَ : عِلْمُ الْعِلْمِ[٩] ، هُوَ الْجَهْلُ عَنِ الْعِلْمِ[3] .

---

[١] ك ، ى : المرتبة والمنزلة
[٢] الفقرة من ف ، ل فقط
[٣] ـ ف
[٤] ل : الولد
[٥] ل : الوالد
[٦] ـ ل
[٧] ل ، ف : فقلت
[٨] ى : رب
[٩] ـ ك

---

(1) يذكر اليافعى فى الحكاية السابعة والعشرين بعد الستمائة من المفاخر ـ بإسناد متصل ـ أن الامام الجيلانى كان إذا ولد له ولد ، أخذ به على يده وقال « هذا ميت . فاخرجه من قلبى » فإذا مات لم يؤثر موته شيئا ، لأنه قد أخرجه من قلبه أول ما ولد . يقول اليافعى : وكان يموت من أولاده الذكور والاناث ، فلا يقطع المجلس ، ويظل على الكرسى يعظ الناس ـ والغاسل يغسل الميت (خلاصة المفاخر ، ورقة ٨٠ ب) ونرى هذا الخبر ايضا . عند من ترجموا للجيلانى كالشطنوفى والتادفى وغيرهما .
(2) تضمين واشارة للآية الأخيرة من سورة الاخلاص
(3) يتعرض الهجويرى لهذه النقطة موضحا ، فيقول : فليكن لزاما عليك تعلم العلم ، وطلب الكمال فيه . وكمال علم العبد يكون جهلا إلى جنب علم الله عز اسمه . ويجب أن تعلم كثيرا حتى تعلم أنك لا تعلم ، لأن العبد لا يستطيع أن يعلم إلا علم العبودية . والعبودية حجاب أعظم من الألوهية (كشف المحجوب ص ٢١٣) ومن هنا قال الصوفية : سبحان من جعل الطريق إلى معرفته ، بالعجز عن معرفته .

ثُمَّ سَأَلْتُ[١] عَنِ الْمِعْرَاجِ[٢] ؟

قَالَ : هُوَ الْعُرُوجُ عَنْ كُلِّ شَىءٍ سِوَاى[٣] . . وَكَمَالُ الْمِعْرَاجِ[1] : مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى[2] .

يَا غَوْثَ[٤] الأَعْظَمِ ،

لاَ صَلاَةَ[٥] لِمَنْ لاَ مِعْرَاجَ لَهُ عِنْدِى .

---

[١] - ك/ ل : سألت تعالى/ ف : قال الغوث سألت الرب تعالى

[٢] ل : المعارج

[٣] - ى/ ف : سوائى

[٤] - ك

[٥] ى : صلات

---

(1) المعراج فى اللغة : الصعود . يقال عرج . إذا ارتقى (لسان العرب ٧٢٧/٢) وعند أهل الطريق ، ظهرت فكرة المعراج كغيرها من الأفكار الصوفية . خلال معايشة القوم الذوقية للحقائق القرآنية . وقد وردت سورة النجم مخبرة عن [المعراج النبوى] كإحدى دلائل النبوة ، فاشتق منها الصوفية فكرة [المعراج الروحى] أو ارتقاء الأولياء للسلم الروحى المعروف بالمقامات . حتى يقفوا بعروجهم على أبواب الحضرة .

وقد بدأ القول بالمعراج الروحى فى التراث الصوفى ، منذ وقت مبكر . فقد ظهرت تعبيراته الأولى على يد [سلم بن ميمون الخواص] ثم توسع الصوفية بعد القرن السادس الهجرى فى الكلام عن معارجهم الذوقية . حتى أضحت هذه الفكرة واحدة من الأفكار الصوفية الأساسية التى نجدها فى كتابات الصوفية الكبار فى الحقبة الممتدة من القرن السادس وحتى التاسع الهجرى . حيث وصفوا المعراج الروحى فى اشارات رمزية وتلويحات . تشير الى تجربة ذوقية مفردة . ومشاهدة شديدة الخصوصية . وكشفا نورانيا غير مشاع

(2) سورة النجم . اية ١٧ - وقول الامام الجيلانى [كمال المعراج . ما زاغ البصر وما طغى] نوع من تاكيد الأدب الصوفى مع النبى عليه الصلاة والسلام . وقولهم بأن غاية معارج الأولياء تقف عند بداية معارج الأنبياء . ومن هنا جاء المبدأ الصوفى القائل نهايات الولى . بداية النبى

يَا غَوْثَ الأَعْظَمِ ، اْلمَحْرُومُ مِنَ الصَّلاَةِ[1] .. هُوَ المَحْرُومُ مِنَ[2] المِعْرَاجِ[3] عندى[4] .

---

[١] ل المعراج

[٢] ك ، ى : من

[٣] ل : الصلاة

[٤] ف : الى هنا تمت الغوثية وتسمى المعراجية بتوفيق الله تعالى عز سلطانه .

ى : « تمت الغوثية والحمد لله وحده وصلى الله على النبى بعده وآله ، فى مقام الأربعين بزاوية النور بخشية فى شهر رمضان سنة ١٠٥٧ » وفى الصفحة المقابلة توجد بطاقة معهد احياء المخطوطات .

ل : والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا .. والحمد لله ، قد تمت هذه النسخة الشريفة يوم الثلاثاء صباحا لخمسة أيام مضين من شهر صفر الخير من شهور سنة الثلاثمائة وواحد بعد الألف بقلم الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير راجى عفو ربه .. محمد وفا ، ابن الحاج فتح الله الطيب ، غفر الله له ولوالديه ولجميع أحبابه ولجميع المسلمين والمسلمات ، آمين .

أما فى [ك]، فقد قام الناسخ بأمر عجيب ! إذ أكمل السياق دونما أى فواصل ، وألحق بالغوثية خليطا من العبارات الصوفية القريبة الشكل من عبارات الغوثية .. وبامعان النظر الى هذه الزيادات تبين ان الناسخ اقتبسها من مواقف النفرى ومخاطباته ! ثم يورد الناسخ حكاية عن شاب سمع جارية تنشد :

كُـلَّ يَـوْمٍ تَـتَـلَوَّن غَـيْـرُ هَـذا بِـكَ أَجْـمَـلْ

فقال الشاب : هذا والله تلونى مع الحق تعالى وشهق شهقة فخرجت روحه !! وهذه الحكاية نجدها عند السراج (اللمع فى التصوف ص ٣٥٨) وعند الغزالى (الاحياء ٢٨٨/٢) وغيرهما .. وبعد الحكاية ، كتب الناسخ : « اللهم أيقظنا من حجاب الغفلة بمنك وكرمك يا الله يارب العالمين .. تمت الغوثية !

المقالة الرابعة :

الإيمَـــــان

★ بهجة الأسرار
★ مخطوط الأزهر (رواق المغاربة ، رقم ١٢٠١)



يَا أَرْوَاحَ المُؤْمنِينَ ، طِيرى إِليهِ

بِأَجْنِحَةِ الَشوْقِ وَصِدْقِ العِشْقِ

الإيمانُ طائِرٌ غَيْبِيٌّ ، يَنزِلُ مِنْ أُفُقٍ « يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ(1) » ، يَسْقُطُ عَلَى شَجَرةِ قَلْبِ الْعَبْدِ ، يَترنَّمُ لَهُ بِلَذِيذِ لُحُونِ « يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ(2) » ، مِنْ قَفْصِ[١] صَدْرِ صَاحِبِهِ ، إِلَى « مَقْعَدِ صِدْقٍ(3) » الشَّرِيعةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ[٢] . . ثَمرَةُ شَجَرَةِ الْوُجُودِ[٣] : الْمِلَّةُ الإسْلامِيَّةُ ، شَمْسٌ أَضَاءَتْ بِنُورِهَا ظُلْمَةَ الْكَوْنِ . اتَّبِعْ شِرْعَتَهُ(4) ، تُعْطَ[٤] سَعادَةَ الدَّارَيْنِ . . احْذَرْ أَنْ تَخْرُجَ عَنْ دَائِرَتِهِ[٥] ، إِيَّاكَ أَنْ تُفَارِقَ إِجْمَاعَ أَهْلِهِ !

فِى قَلْبِ صَاحِبِ الشَّرْعِ الأَعْظَمِ ، وَدَائِعُ بَدَائِعِ الْحِكْمَةِ[٦] فِى أَسْرَارِ صَاحِبِ النَّامُوسِ الأَكْبَرِ ، خَزَائِنُ جَوَاهِرِ[٨] الْغَيْبِ .

اجْعَلْ قَبُولَ أَمْرِهِ ، طَرِيقَكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى[٩] صَيِّرْ[١٠] كَعْبَةَ عَقْلِكَ ، مَهْبِطَ

---

[١] ر : وقفص
[٢] ب : الشريعة المطهرة المحمدية
[٣] - ب
[٤] ب : اتباع شرعه يعطى !
[٥] ر : دايره
[٦] العبارة السابقة ساقطة بكاملها من ر
[٧] ر : قلب
[٨] ب : جواهر خزائن
[٩] ر : عز/ + ر : وجل
[١٠] ر : عين

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى : يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم آل عمران/ ٧٤ - البقرة/١٠٥ .
(2) قوله تعالى : يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم .. التوبة/٢١ .
(3) قوله تعالى : إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .. القمر/٥٥
(4) الشرعة : ما سن الله من الدين وامر به من صلاة وصوم .. الخ ، وهى ابتداء الطريق (لسان العرب ٢٠٩/٢) وفى الآيات القرآنية : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .

أَمْلاَكِ كَلِمَاتِ أَحْكَامِهِ . . مِنْ مَاءِ غَمَامِ أَقْوَالِهِ ، تَشْرَبُ عِطَاشُ الأَرْوَاحِ ، فِي عُيُونِ حَيَاةِ أَلْفَاظِهِ ، تَغْتَسِلُ[١] خَطَرَاتُ الْعُقُولِ[1]

نَادَى مُنَادِي الطَّلَبِ[٢] ، لِلأَرْوَاحِ الْكَامِنَةِ فِي الْقَوَالِبِ[2] ، أَثَارَ سَاكِنَ عَزْمِهَا إِلَى الْعُلَى ، طَارَتْ بِأَجْنِحَةِ الْغَرَامِ فِي فَضَاءِ الْمَحَبَّةِ ، وَقَعَتْ بَعْدَ التَّعَبِ[3] عَلَى أَغْصَانِ الشَّوْقِ[4] ، وَتَنَاغَتْ فِي السَّحَرِ بَلاَبِلُهَا بِمُطْرِبَاتِ أَلْحَانِ الْحَنِينِ إِلَى جَمَالِ « وَأَشْهَدَهُمْ[5] » ، أَزْعَجَهَا هُبُوبُ نَسِيمِ الْغَرَامِ إِلَى إِعَادَةِ لَذَاذَةِ « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ[6] » .

خَرَجَتْ بَعْضُ تِلْكَ الطُّيُورِ[7] مِنْ أَقْفَاصِ الصُّدُورِ ، تَتَلَمَّحُ أَثَراً مِنْ مَطَارِهَا الْقَدِيمِ ، تَنْتَشِقُ[٣] نَسْمَةً مِنْ مَهَبِّ التَّكْلِيمِ[8] ، تَتَذَكَّرُ عَيْشَهَا فِي ظِلٍّ

---

[١] ب : يغتسل

[٢] - ب

[٣] ب : تستنشق

---

(1) راجع ما قلناه عن القياس العقلي وتلبيس إبليس ، فيما سبق .

(2) يقصد بالقوالب : الاجساد .

(3) المراد بالتعب هنا ، طريق المجاهدات الروحية التي يتعين على السالك ان يقطعه .

(4) سئل الامام الجيلاني عن الشوق ، فقال : احسن الأشواق ما كان عن مشاهدة ، وهو لا يفتر عن اللقا ، ولا يسكن عن الرواية ، ولا يذهب عن الدنو ، ولا يزال على الأنس ! بل كلما ازداد لقاء ، ازداد شوقا . ولا يصح الشوق حتى يتجرد عن علله ، وهي موافقة روح او متابعة همة أو حفظ نفس ، فيكون شوقا مجردا عن الأسباب (قلائد الجواهر ٨٩ ، ٩٠) .

(5) قوله تعالى : وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم .. الاعراف/ ١٧٢ .

(6) بقية الآية السابقة : « الست بربكم ، قالوا بلى شهدنا » .

(7) الاشارة بتلك الطيور الى طبقة المتجردين من أهل الله ، الذين أجابوا منادى الروح !

(8) يقصد كلام الله للأرواح في عالم الذر .

أَثْلِ[1] الْوَصْلِ ، تَشْكُو جَوَاهَا[2] بَعْدَ بُعَادِ الأَحْبَابِ[3] .

فَسَمِعَتْ دَاعِيَ اللهِ ، بِلِسَانِ إِنْسَانِ عَيْنِ الْجُودِ[١] : إِنْتُقِشَ دُعَاؤُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي صَفَحَاتِ أَلْوَاحِ الأَرْوَاحِ . صَارَتْ دَعْوَتُهُ رِيحاً ، تَهُزُّ أَغْصَانَ أَشْجَارِ الْقُلُوبِ .

اضطَرَبَتْ[٢] فُرْسَانُ الْعُقُولِ بِمَا سَمِعَتْ اهْتَزَّتْ - بِأَيْدِي الْوَجْدِ - بِذَلِكَ الْعَهْدِ ، صَارَ عَيْشُهَا لَهُ سِرّاً مِنْ أَسْرَارِ الْقِدَمِ ؛ وَأَصْبَحَ وَلَهُهَا بِهِ ، لَطِيفَةً مِنْ لَطَائِفِ الْقَدَرِ .

فَإِذَا[٣] أَشْرَقَتْ عَلَى النُّفُوسِ الْحَرِيَّةِ أَنْوَارُ الْغَيْبِ ، وَحُفِظَتِ[٤] الأَسْرَارُ، وَارْتَفَعَتِ الْحُجُبُ الظَّاهِرَةُ عَنْ[٥] عُيُونِ بَصَائِرِهَا . لاَحَظَتْ جَمَالَ صَاحِبِ[٦] الْكَوْنِ؛ شَاهَدَتْهُ بِصَفَاءِ مَرَايَا[٧] الأَسْرَارِ . كَعْبَةُ كُلِّ عَارِفٍ ، مَوْضِعُ نَظَرَاتِ الْحَقِّ مِنْهُ .

---

[١] ب : الوجود
[٢] الفقرة ساقطة بكاملها من ر
[٣] - ر/ ب : اذا
[٤] : حفظت
[٥] ب : من
[٦] غير واضحة فى ر
[٧] ر : مراى

---

(1) الأثل كلمة قرآنية وردت فى سورة سبأ/ آية ١٦ . وهو شجر طويل مستقيم الخشب أغصانه كثيرة التعقيد (معجم ألفاظ القرآن ١/ ١٤) يقول ابن منظور : كان منبر رسول الله من أثل الغابة .. والغابة غيضة ذات شجر كثير ، على بعد تسعة أميال من المدينة (لسان العرب ١/ ٢١) .

(2) الجوى : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن . وهو أيضا : الهوى الباطن والمرض المتطاول (لسان ١/ ٥٣٩) وهو هنا إشارة إلى تألم الأرواح ، بعد افتقادها الأنس بالله فى عالم الذر .

(3) بعد الأحباب : هبوط الأرواح الى العالم الأرضى .

أَقْرَبُ الْطُرُقِ إِلَى اللَّهِ ،لُزُومُ قَانُونِ الْعُبُودِيَّةِ،وَالإِسْتِمْسَاكُ بِعُرْوَةِ الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ ، وَالإِسْتِقَامَةُ عَلَى جَادَّةِ التَّقْوَى . أُنْسُكَ بِاللَّهِ ، عَلَى قَدْرِ وَحْشَتِكَ مِنْ غَيْرِهِ . ثِقَتُكَ[١] بِاللَّهِ ، عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِكَ بِهِ[٢] .

الْكَدَرُ فِي الْأَعْمَالِ ، نَوْعٌ مِنَ الْحِرْمَانِ . الإِنْغِمَاسُ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ، يَثْنِي الْعَقْلَ عَنْ طَلَبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . الرِيَاءُ فِي الْمَطَالِبِ ، كُسُوفٌ فِي شَمْسِ طَلَبِ الطَّالِبِ[٣] . النِفَاقُ فِي الْمَقَاصِدِ ، خَدْشٌ فِي وُجُوهِ قَصْدِ الْقَاصِدِ[٤] .

عَذَابُ الْقُلُوبِ ، فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ .

عَذَابُ الْعُقُولِ ، عَلَائِقُ . .

زَهْرَةُ[٥] الدُّنْيَا ، حِجَابٌ يَمْنَعُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى مَلَكُوتِ[٦] الْعُلَى[٧] .

إِقْبَالُكَ عَلَى اللَّهِ[٨] بِوَجْهِ عِبَادَتِكَ ، سَبَبُ[٩] إِقْبَالِهِ عَلَيكَ بِوَجْهِ الرَّحْمَةِ .

لَوْ بَلَغَ طِفْلُ عَقْلِكَ الْأَشُدَّ - فِي حِجْرِ التَّأْدِيبِ - مَا الْتَفَتَ إِلَى الدُّنْيَا ، لَكِنْ هُوَ فِي[١٠] مَهْدِ « شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا(1)» . .

الْأَرْوَاحُ الطَّاهِرَةُ ، قَنَادِيلُ هَيَاكِلِ الْأَجْسَادِ

الْعُقُولُ الصَّافِيَةُ ، مُلُوكُ قُصُورِ الصُّوَرِ .

[١] غير واضحة فى ر
[٢] ر : له
[٣] ب : شموس الطلب/ ر : شمس طلب المطالب
[٤] ب : القصد
[٥] ب : زهد !
[٦] ب : الملكوت
[٧] ر : العلا
[٨] ب : عز وجل
[٩] ر : فى سبب
[١٠] ب : يعد فى

(1) قوله تعالى : « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا .. سورة الفتح/١١ » .

يَا غُلاَمُ(1) إِفْتَحْ عَيْنَ قَلْبِكَ لِتَرَى[١] عَرَائِسَ أَسْرَارِ الأَزَلِ(2) وَانْتَشِقْ بِهِمَّةِ[٢] رُوحِكَ هُبُوبَ نَسِيمِ لَطَائِفِ الْقَدَرِ .. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى[٣] وَضَعَ تَمَاثِيلَ الْوُجُودِ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الدُّنْيَا ، لِامْتِحَانِ عُيُونِ أَهْلِ[٤] الْبَصِيرَةِ ، فَتَسْلَمُ[٥] مِنَ الإِلْتِفَاتِ إِلَى زُخْرُفِهَا ، أَطْفَالُ أَرْوَاحٍ أُقِيمَتْ فِي مُهُودِ[٦] الثَّبَاتِ ، وَرُبِّيَتْ فِي حُجُورِ الْعِصْمَةِ[٧] ، وَأُرْخِيَتْ عَلَيهَا أَكْنَافُ آيَاتِ الأَمْرِ ،وَكُوشِفَتْ بِلَطَائِفِ مُخْبَئَاتِ القَدَرِ ، وَجُلِّيَتْ عَلَيْهَا عرَائِسُ الْغَيْبِ(3) ، وَرُدَّتْ[٩] إِلَى كَهْفِ الْكَرَمِ .

بُلْبُلُ أَسْرَارِ الْعَارِفِينَ هَيَّمَ أَفْكَارَ الْوَالِهِينَ ، زَلْزَلَ جِبَالَ عِصَمِ الْعُقُولِ ،اطَّلَعَ عَلَى مُخْبَئَاتِ الأَسْرَارِ ..

يَا أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ ، طِيرِى إِليه بِأَجْنِحَةِ الشَّوْقِ[١٠] وَصِدْقِ الْعِشْقِ ، اِطْوِى فِى صِدْقِ قَصْدِكِ إِليه أَذْيَالَ بِسَاطِ الْبَسِيطَةِ ، صِيرِى حَوْلَ شَمْعَةِ طَلَبِهِ فَرَاشاً يَتَهَافَتُ

---

[١] ر : لترا/ ب : لتلقى
[٢] ب : بمشم
[٣] توجد هنا كلمة غير مقروئة فى ر
[٤] - ر
[٥] ب : وتسلم
[٦] ر : مقام
[٧] ر : العظمة
[٨] ر : بطائف
[٩] ر : وردت فقرها !
[١٠] - ر

---

(1) غالبا ما نرى هذه الكلمة فى عبارات الامام الجيلانى ، خاصة عند خطابه للمريدين ، بحيث يمكن اعتبارها خاصية مميزة لأسلوبه .
(2) عرائس اسرار الأزل ، كناية عن مشايخ الطريق وأقطابه الكبار .. وقد وصفهم الامام فى مناسبة اخرى بانهم : عرائس الله ، لا يطلع عليهم إلا ذا محرم .
(3) عرائس الغيب ، كناية عن التجليات الالهية التى تتنزل على قلب العارف .. وهى التى وصفها الحلاج بقوله : اسرارنا بكر !

حَوْلَ النُّورِ ، حُومِى [١] حَوْلَ حِمَاهُ[٢] بِقَوَادِمِ أَقْدَامِ الْوَلَهِ ، اطْلُبِى[٣] مِنْهُ مَا طَلَبَ آدم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّمَ : رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ، وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنا ، لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ[٤](1) .

[١] غير واضحة فى ر
[٢] ر : جاهه
[٣] ر : أطلب
[٤] الى هنا تنتهى المقالة فى ب ، وفى ر : انتها كلامه فى ذلك مختصرا !

(1) الاشارة الى الآية : الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ، قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .. الأعراف/٢٢ .



المقالة الخامسة :

الإسْـــمُ الأَعْظَمُ

★ بهجة الأسرار
★ قلائد الجواهر
★ مخطوط الأزهر (رواق المغاربة/١٢٠١)



أُذْكُرونِى مِنْ حَيْثُ أَنْتُمْ ،
أَذْكُرْكُمْ مِنْ حَيْثُ أَنَا

اسْمُ اللَّهِ[١] الأعْظَمِ هو : اللَّهُ[1]

وإنَّمَا يُسْتَجابُ لَكَ ، إذَا قُلْتَ (اللَّهُ) ولَيْسَ فِى قَلْبِكَ غَيْرُهُ[2] .. بِسْمِ اللَّهِ مِنَ العَارِفِ ، بِمَنْزِلَةِ[٢] (كُنْ) مِنَ اللَّهِ[3] . هَذِه كَلِمَةٌ تُزِيلُ الهَمَّ ، هَذِه كَلِمَةٌ تَكْشِفُ الغَمَّ ، هَذِهِ كَلِمَةٌ تُبْطِلُ السُّمَّ ، هَذِه كَلِمَةٌ نُورُهَا يَعُمُّ .

اللَّهُ : يَغْلِبُ كُلَّ غَالِبٍ ـ اللَّهُ : مُظْهِرُ العَجَائِبِ

اللَّهُ : سُلْطَانُهُ[٣] رَفِيعٌ ـ اللَّهُ جَنَابُهُ مَنِيعٌ

اللَّهُ : مُطَّلِعٌ عَلَى العِبَادِ ـ اللَّهُ[٤] : رَقِيبٌ عَلَى القَلْبِ[٥] والفُؤَادِ

اللَّهُ : قَاهِرُ الْجَبَابِرَةِ ـ اللَّهُ : قَاصِمُ الأَكَاسِرَةِ

اللَّهُ : عَالِمُ السِّرِ وَالْعَلاَنِيَةِ ـ اللَّهُ : لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيةٌ

---

[١] و : الله تعالى

[٢] ر ، ب : ككن من الله

[٣] ب : سبحانه

[٤] ـ ب

[٥] ر : القلوب

---

(1) اسمه تعالى [الله] فى القرآن ، يطلق على الحقيقة الفاعلة الجامعة لحقائق الاسماء والصفات الحسنى جميعا . وقد توغلت كتب التفسير فى مفاوز هذه الكلمة واسهبت فى شرح وجوهها ومتعلقاتها (المعجم الصوفى ص ٧٨) وعن النظرة الصوفية لهذا الاسم ، يمكن الرجوع الى ما اورده الدكتور حسن الشرقاوى فى مقالة [الاسم الأعظم] ضمن الفاظ الصوفية ومعانيها ، والى البحث الرائع الذى قامت به الدكتورة سعاد الحكيم فى استشرافها لآفاق لفظ الجلالة عند ابن عربى (المعجم الصوفى ص ٧٨ : ٨٤) كما يمكن الرجوع الى تأويل عبدالكريم الجيلى لحروف الله (عبدالكريم الجيلى فيلسوف الصوفية ص ٢٤٧) وتعريفه للألوهية كما يراها الصوفية (الانسان الكامل ١/٢٧)

(2) يلاحظ هنا أن الامام الجيلانى قد جمع بين التلفظ باسم [الله] وبين [الصدق] فى الدعوة بهذا الاسم الالهى .

(3) بسم الله من العارف ، بمنزلة كن من الله : عبارة صوفية شهيرة ، تشير الى مقام العبد الربانى الذى يقول للشىء كن ، فيكون .

مَنْ كَانَ لِلَّهِ ، كَانَ فِي حِفْظِ اللَّهِ(١) . مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ ، لَا يرى غَيْرَ اللَّهِ . مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ اللَّهِ ، وَصَلَ إِلَى اللَّهِ . . وَمَنْ(٢) وَصَلَ إِلَى اللَّهِ عَاشَ فِي كَنَفِ اللَّهِ ! مَنِ اشْتَاقَ إِلَى اللَّهِ ، أَنِسَ[1] بِاللَّهِ . مَنْ تَرَكَ الأَغْيَارَ ، صَفَا وَقْتُهُ مَعَ اللَّهِ .

إِقْرَعْ بَابَ اللَّهِ . إِلْجَأْ إِلَى(٣) اللَّهِ . تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ـ يَامُعْرِضاً ـ ارْجِعْ إِلَى اللَّهِ ، هَذَا سَمَاعُ اسْمِي فِي دَارِ الشَّقَاءِ ، فَكَيْفَ(٤) عِنْدَ اللِّقَاءِ(٥) . هَذَا فِي دَارِ المِحْنَةِ(٦) ، فَكَيْفَ فِي دَارِ النِّعْمَةِ . هَذا اسْمِي وأَنْتَ عَلَى ألبَابِ ، فَكَيْفَ إِذَا كُشِفَ الحِجَابُ ، هَذَا وَقَدْ نَادَيْتُ ، فَكَيْفَ إِذَا تَجَلَّيْتُ .

القَوْمُ فِي الْمُشَاهَدَةِ(٧) ، وأَبْحُرُ(٨) الوَصْلِ عَلَيْهِمْ(٩) وَارِدَةٌ .

الْمُحِبُّ كَالطَّيْرِ ، لَايَنَامُ فِيْ الأَشْجَارِ ، يُنَاجِي(١٠) حَبِيبَهُ فِي الأَسْحَارِ ـ تَهُبُّ رَائِحَةُ القُرْبِ[2] عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَيَشْتَاقُونَ إِلَى رَبِّهِمْ(١١) .

---

[١] و : الله تعالى
[٢] العبارة ساقطة من ر
[٣] ر : جلال الله
[٤] ر : كيف
[٥] و : هذا فى دار الفناء ، فكيف فى دار البقاء
[٦] و : المحسنة !
[٧] ر : له للمشاهدة
[٨] ب : وانجز
[٩] ب ، و : الفضل اليهم
[١٠] و : يناغى
[١١] العبارة مطموسة فى و ـ وبقية المقالة ساقطة

---

[1] الانس عند الصوفية : سعادة غامرة تملأ القلب بالمحبوب [الله] فتكون الطمانينة بالله . وصاحب الانس يلازمه التوحش والغربة مع غير الله ، فهو يخالط الناس بالبدن ، لكنه منفرد فى استغراقه مع عذوبة ذكر المحبوب (الفاظ الصوفية ص ٧٠)

[2] القرب كلمة قرآنية تعنى : ان يقرب الله عبدا فيرعاه (انظر : سورة مريم/ ٥٢ ـ سورة العلق/ ١٩ ـ سورة البقرة/ ١٨٦) وعند الصوفية ، القرب هو ازالة كل ما يعترض الطريق الى الله (التعرف لمذهب اهل التصوف ص ١٢٨) حتى يصح بذلك ، الوفاء بالعهد الأزلى المشار إليه فى قوله =

اذْكُرُونِى[1] بالتَّسْلِيمِ والتَّفْوِيضِ ، أَذْكُرْكُمْ بِأَصْلَحِ الاخْتِيَارِ . . بَيَانُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ[2] .

اذْكُرونِى بِالشَّوْقِ وَالمَحَبَّةِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالوَصْلِ وَالقُرْبَةِ .

اذْكُرُونِى بِالحَمْدِ والثَّنَاءِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالمِنَنِ وَالعَطَاءِ .

اذْكُرُونِى بِالتَّوْبَةِ ، أَذْكُرْكُمْ بِغُفْرَانِ الحَوْبَةِ[3] .

اذْكُرُونِى بِالسُّؤَالِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالنَّوَالِ .

اذْكُرُونِى بِلاَ غَفْلَةٍ ، أَذْكُرْكُمْ بِلا مُهْلَةٍ .

اذْكُرُونِى بِالنَّدَمِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالكَرَمِ .

اذْكُرُونِى بِالمَعْذِرَةِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالمَغْفِرَةِ .

اذْكُرُونِى بِالإِرَادَةِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالإِفَادَةِ .

= تعالى : الست .. (اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٤٤) ويقول الامام الجيلانى : القرب هو طى المسافات بلطف المدناة (بهجة الاسرار ص ١٢٥ ـ قلائد الجواهر ٩٢)

[1] يبدأ الامام الجيلانى من هذا الموضع فى توجه ذوقى لقوله تعالى (اذكرونى اذكركم .. البقرة / ١٥٢) مستعرضا لبعض المعانى الكامنة فى الآية القرآنية . وفى مناسبة أخرى ، نرى الامام الجيلانى قد ربط بين معانى الذكر ومعانى المحبة ، فيقول : متى ذكرته فانت محب ، ومتى سمعت ذكره لك فانت محبوب (قلائد الجواهر ص ٩٣) وحين سئل الامام الجيلانى عن سر تقديم ذكر العبد على ذكر الله فى قوله [اذكرونى اذكركم] وسر تقديم محبة الرب فى قوله [يحبهم ويحبونه] أجاب بلغة الذوق : الذكر مقام طلب وقصد ، والطلب مقدمة العطاء ، فلهذا قدم ذكرنا له : أما المحبة فهى إتحاف إلهى من القدر الربانى ، فليس للعبد فيها كسب ، ولا يصح وجودها فى العبد إلا بعد بروزها من جانب الغيب (بهجة الأسرار ص ١٢٣)

[2] سورة الطلاق/ آية ٣

[3] الحوْبة ـ فى اللغة ـ لها معان متعددة (لسان العرب ٧٤٥/١ ـ القاموس ٦٢/١ ـ التكملة والذيل ١٨٦/١) والمراد من معانيها هنا : الاثم ، والضعف ، والسوء ، والظلم .. وكان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، قوله : اللهم ارحم حوبتى .

اذْكُرُونِي بِالتَّنَصُّلِ[١](1) ، اُذْكُرْكُمْ بِالتَّفَضُّلِ[٢] .
أُذْكُرُونِي بِالإخْلاَصِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالخَلاَصِ .
أُذْكُرُونِي بِالقُلُوبِ ، أَذْكُرْكُمْ بِكَشْفِ الكُرُوبِ .
أُذْكُرُونِي بِاللِّسَانِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالأَمَانِ .
أُذْكُرُونِي بِالافْتِقَارِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالاقْتِدَارِ .
أُذْكُرُونِي بِالْاعْتِذَارِ وَالإسْتِغْفَارِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالرَّحْمَةِ وِالإغْتِفَارِ .
أُذْكُرُونِي بِالإِيمَانِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالجَنَانِ .
أُذْكُرونِي بِالإِسْلَامِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالإِكْرَامِ .
أُذْكُرونِي بالقَلْبِ ، أَذْكُرْكُمْ بِرَفْعِ الحَجْبِ[٣] .
أُذْكُرونِي ذِكْراً فَانِياً ، أَذْكُرْكُمْ ذِكْراً بَاقِياً .
أُذْكُرونِي بِالابْتِهَالِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالاتِّصَالِ .
اُذْكُرونِي بِالتَّذَلُّلِ ، أَذْكُرْكُمْ بِعَفْوِ[٤] الزَّلَلِ .
اُذْكُرونِي بِالاعْتِرَافِ[٥] ، أَذْكُرْكُمْ بِمَحْوِ الاقْتِرَافِ .
اُذْكُرونِي بِصَفَاءِ السِّرِّ ، أَذْكُرْكُمْ بِخَالِصِ[٦] البِرِّ .
اُذْكُرونِي بِالصِّدْقِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالرِّفْقِ[٧] .
اُذْكُرونِي بِالصَّفْوِ ، أَذْكُرْكُمْ بِالعَفْوِ .

---

[١] ب : التفضل
[٢] ب : التفضل
[٣] ب : بكشف الحجاب
[٤] ب : بغفران
[٥] و : العفاف
[٦] و : بخلاص
[٧] و : الرزق

---

(1) يعني ، بالتنصل من الذنوب والمطالب الحسية .

أُذْكُرونِى بِالتَّعْظِيم ، أَذْكُرْكُمْ بالتَّكْرِيمِ .
أُذْكُرونِى بالتَّكْثِير[١] ، أَذْكُرْكُمْ بِالنَّجَاةِ مِنَ السَّعِيرِ[٢] .
أُذْكُرونِى بِتَرْكِ الجفَاءِ ، أَذْكُرْكُمْ بِحِفْظِ الوَفَاءِ[1] .
أُذْكُرونِى بِتَرْكِ الخطَاءِ ، أَذْكُرْكُمْ بِأَنْوَاعِ العَطَاءِ .
أُذْكُرونِى بِالجَهْدِ[٣] فِى الخِدْمَةِ[2] ، أَذْكُرْكُمْ بِإِتْمَامِ النِّعْمَةِ .
أُذْكُرونِى مِنْ حَيْثُ أَنْتُمْ ، أَذْكُرْكُمْ مِنْ حَيْثُ أَنَا . . وَلَذِكْرُ[٤] اللَّهِ أَكْبَرُ ، واللَّهُ[٥] يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ[3] .

---

[١] ب : بالتكبير
[٢] و : التوتير
[٣] و : الحمد
[٤] و : قال تعالى ..
[٥] - ب

---

[1] حفظ الوفاء : القيام بحق العبودية . ووفاء الميثاق والعهد الذى أخذه الله على الأرواح فى عالم الذر .
[2] الخدمة : العبادة والتكاليف الشرعية .
[3] سورة العنكبوت / آية ٤٥

المقالة السادسة :

الذِّكْـــــــرُ

★ بهجة الأسرار

★ مخطوط الأزهر (رواق المغاربة/١٢٠١)



الذِّكْرُ رَوْحُ جَنَابِ الرَّحْمَةِ

أَعْذَبُ[١] مَوْرِدٍ وَرَدَتْهُ عِطَاشُ العُقُولِ ، مَوْرِدُ الذِّكْرِ[1] والتَّوْحِيدِ[2] وَأَطْيَبُ نَسِيمٍ هَبَّ عَلَى مَشَامِ القُلُوبِ ، نَسِيمُ الأُنْسِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . التَّلَذُّذُ بِحَلاَوَةِ مُنَاجَاةِ اللَّهِ ، كُؤُوسُ رَاحَاتِ الأَرْوَاحِ ؛ وَذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى ، جَلاَءُ رَمَدِ العُقُولِ ؛ وَدُرَرُ حَمْدِ اللَّهِ ، لاَ يُرَصَّعُ بِهَا إِلاَّ تِيجَانُ مَفَارِقِ الأَسْرَارِ

[١] ب ، ر : وقال رضى الله عنه فى الذكر

[1] الذكر مرادف للقرآن الكريم (آل عمران/٥٨ ـ الزخرف ٤٤ ـ يس/١١) وهو يرد أيضا فى الآيات بمعنى تذكر الله (انظر ، المعجم المفهرس ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤)
وعند الصوفية ، الذكر واحد من أهم مراسم السلوك الصوفى ، الذى ينعكس اثره فى تربية النفس ، ومخالفتها للهوى (ألفاظ الصوفية ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧) وبالاضافة إلى أشكال الذكر التى فصلها الامام الجيلانى فى المقالة السابقة ، وما سيأتى تفصيله بهذه المقالة ، نراه يشير الى أن الذكر : هو ما تأثر فى الفؤاد عن إشارة الحق عز وجل وقت الاختيار .. وأحسن الذكر ما هيجته الاخطارات الواردة من الملك الجبار فى محال الأسرار (قلائد الجواهر ص ٨٩)

[2] التوحيد هو جوهر الدين الاسلامى ، وللصوفية كلام مطول فى حقائق التوحيد ، يضيق المقام هنا عن الاشارة اليه . وحين سئل الامام الجيلانى عن التوحيد ، أجاب بلغة الذوق قائلا : هو اشارات سر الضمائر ، وخفاء سر السرائر عند ورود الحضرة ، ومجاوزة القلب منتهى الأفكار ، وارتفاعه على أعلى درجات الوصال ، وتخلله أستار التعظيم ، وتخطيه إلى التقرب بأقدام التجريد . وترقيه الى التدانى بسعى التفريد ، مع تلاشى الكونين [= الدنيا والآخرة] واقتباس النورين [= كاتبا اليمين والشمال] وخلع النعلين [= الجسم والروح] تحت لمعان أنوار بروق الكشف .. (انظر البهجة ص ١٢١ ـ قلائد ص ٨٩) .. وهنا نرى التوحيد الشهودى الوارد فى قوله تعالى : شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم .. آل عمران/١٣

وَمِسْكُ شُكْرِهِ[1] ، لاَ يَعْبَقُ[١] إلاَّ فِى جُيُوبِ ثِيَابِ الأَرْوَاحِ ؛ وَوَرْدُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ، لاَيَطْلِعُ إلاَّ عَلَى[٣] شَجَرِ أَلْسُنِ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ .
إنْ ذَكَرْتَ ربَّكَ بِأَلْسُنِ حُسْنِ صُنْعِهِ ، فَتَحَ أَقْفَالَ قَلْبِكَ ؛ وَإِنْ ذَكَرْتَهُ بِأَلْسُنِ[٤] لَطَائِفِ أَسْرَارِ أَمْرِهِ ، فَأَنْتَ ذَاكِرٌ عَلَى الحَقِيقَةِ ! وَإِنْ ذَكَرْتَهُ بِقَلْبِكَ،قَرَّبَكَ مِنْ جَنَابِ[٥] الرَّحْمَةِ ؛ وَإِنْ ذَكَرْتَهُ بِسِرِّكَ ، أَدْنَاكَ مِنْ مَوَاطِنِ[٦] القُدْسِ[2] . .
وَإِنْ صَدَقْتَهُ فِى حُبِّهِ[٧] ، حَمَلَكَ بِجَنَاحِ لُطْفِهِ إلَى مَقْعَدِ صِدْقٍ[3] .

---

[١] ب : لا يفتق
[٢] ر : الا جيوب
[٣] ر : لايطلع الى
[٤] : بالسن
[٥] ر : حنان
[٦] ر : بواطن
[٧] ر : وصدقته بحبه

---

[1] الشكر : هو شكر العبد لربه .. وقد ورد بهذا المعنى فى التنزيل (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٣٨٥ ، ٣٨٦) .
أما عند الصوفية ، فالشكر مقام من أعلى مقامات الطريق . فبالرغم من تفاوت تعداد المقامات وترتيبها فى أمهات كتب التصوف ، فإنها على اختلافها لا تخلو من مقام الشكر (راجع : الرسالة القشيرية ص ٨٨ ـ قوت القلوب ٣٠٠/١ ـ احياء علوم الدين ٧٩/٤ ـ الغنية ١٣٤/٨/٣) وفى تعريف الامام الجيلانى للشكر ، يقول : حقيقة الشكر ، الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع ، ومشاهدة المنة وحفظ الحرمة [= حرمة حدود الله] على وجه معرفة العجز عن الشكر ، والشاكر الذى يشكر على الموجود ، والشكور الذى يشكر على المفقود (قلائد ص ٩١) والمراد بالمفقود ، ما لم يقدره الله على العبد من نقم ، أو ما سوف يرسل إليه من نعم !
[2] مواطن القدس : المراتب القدسية التى يرفع الله إليها خواص أوليائه ، ويعبر عنها أيضا بحضرة القدس .
[3] الاشارة لقوله تعالى : إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.. القمر/ ٥٤ ، ٥٥

مَا عَرَفَ قَدْرَ جلَالِهِ[١] ، مِنْ فَتَرَ لَحْظَةً عَنْ ذِكْرِهِ . وَلَا لَاحَظَ أَزَلِيَّةَ وَحْدَانِيَّتِهِ ، مَن التَفَتَ بِعَيْنِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ !

الذِّكْرُ : رَوْحُ جَنَابِ الرَّحْمَةِ ؛ يَهُبُّ نَسِيمُهُ عَلَى مَشَامِ أَرْوَاحِ الذَّاكِرِينَ ، فَتَهْتَزُّ مِنْ نَشَواتِهِ أعْطَافُ الأَرْوَاحِ فِى أَقْفَاصِ الأَشْبَاحِ (1) فَتَقُومُ العُقُولُ رَاقِصَةً فِى بَسَاتِينِ الصُّورِ(2) ، وَتَخْرُجُ الأَسْرَارُ هَائِمَةً فِى بَرَارِى الوَجْدِ ، وَتَنْطِقُ[٢] بَلَابِلُ السُّكْرِ بِمَا فِى خَبَايَا الضَّمَائِرِ ، وَيَحْتَرِقُ المُحِبُّ بِنِيرَانِ التَّلَهُّفِ ، وَيَغِيبُ المُشْتَاقُ عَنْ نَظَرِ ذَاتِهِ لِشِدَّةِ التَّأَسُّفِ

وَيَقُولُ لِسَانُ الوَاجِدِ ـ طَرَباً بِقُرْبِ الوَاجِدِ[٣] ـ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ(3) ؛ فَتَبْرُزُ مَوَاشِطُ القِدَمِ ، تَجْلُو عَرَائِسَ صِفَاتِ المَحْبُوبِ ، عَلَى أَعْيُنِ الأَلْبَابِ ، فِى قُصُورِ الأَفْكَارِ[٤] ، تَحْتَ قِبَابِ الأَسْرَارِ . . ثُمَّ يُجَلِّلُ عَلَيْهَا بِجَلَالِ[٥] سُتُورِ العِزَّةِ[٦] فَتَحْتَجِبُ بِرِدَاءِ العَظَمَةِ(4)

فَتَرْمَدُ[٧] عُيُونُ البَصَائِرِ مِنْ[٨] حَرِّ يُبْسِ[٩] العِشْقِ ، وَتَسْقُطُ[١٠] قَوَادِمُ أَقْدَامِ

---

[١] مطموسة فى ر

[٢] ر : فتنطق

[٣] ب : الوجد

[٤] مطموسة فى ر

[٥] ر : الاحلال

[٦] ب : الغيبة

[٧] ب : فرمدت

[٨] ر : فى

[٩] غير واضحة فى ر

[١٠] ب : وسقطت

---

(1) الأشباح : الأجسام .

(2) الصور : المخلوقات

(3) قوله تعالى (ولما فصلت العير قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف .. سورة يوسف/ ٩٤) ويوسف هنا كناية عن المحبوب .

(4) الحديث : الكبرياء ردائى والعظمة ازارى (انظر تخريجه فيما يلى)

شَوْقِهَا لِطُولِ سَفَرِهَا فِى هَجِيرِ بَرَارِى[١] الهَجْرِ[1] ، فَيُرْسِلُ[٢] إِلَيْهَا سَفِيرَ الكَرَمِ طَبِيبَ القَدَرِ ، فَيُدَاوِى[٣] رَمَدَها بِكُحْلِ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

فَلَمَّا[٤] طَلَعَتْ طَلائِعُ هَذَا الإِسْمِ ، فِى جَبَرُوتِ الْجَلاَلِ ، وَسَطَعَتْ[٥] سَطْوَةُ العِزِّ تَحْتَ خَفَقَاتِ رَايَاتِ جُنُودِ[٦] الكِبْرِيَاءِ . بُهِتَتْ عُيُونُ العُقُولِ وَدُهِشَتْ نَوَاظِرُ الأَفْهَامِ[٧] ، وَوَقَعَتْ[٨] أَطْيَارُ الأَفْكَارِ[٩] ، وَطُمِسَتْ سُطُورُ كِتَابَاتِ[١٠] الكَائِنَاتِ .

---

[١] ب : برارى الهجرة

[٢] ب : فأرسل / ر : ويرسل

[٣] ب : فداوى

[٤] ر : لما

[٥] ر : وسعت

[٦] ب : خفقات بنود

[٧] ر : الاوهام

[٨] ب : ووفقت

[٩] ر : الاوكار

[١٠] ر : كتابة

---

(1) فى الهجر يقول الامام الجيلانى : هجر المحبوب نار يضرمها مالك [= الملك الموكل بجهنم] الصد فى جهنم الوجد ، وفقد المطلوب صواعق ترسل من غمام الغرام على غريم البعد ، وتوارى المشهود فصل تذبل فيه أغصان الوصال فى حدائق الاتصال ، واستتار المتجلى سيف سله المحبوب من غمد الدلال بيد الملال .. (انظر البهجة ص ٤٤) ومطلق لفظ الهجر فى الاصطلاح الصوفى ، إشارة الى غياب التجليات الالهية عن قلب المحب ، وهذا ما لا طاقة له باحتماله والصبر عليه ، ولذا قالوا : الصبر فى المحبة محو المحبة (المقدمة فى التصوف ص ٣٠) وأنشدوا :

الصَّبْرُ عَنْكَ فَمَذْمُومٌ عَوَاقِبُه ... وَالصَّبْرُ فى سَائِرِ الأَشْيَاءِ مَحْمُودُ

ومما يروى فى هذا ، أن رجلا سأل الشبلى (أبو بكر دلف بن جحدر ، المتوفى ٣٢٠ هجرية) عن اشق الصبر ! فقال : الصبر فى الله تعالى ، فقال الرجل : لا ! قال : فالصبر مع الله ، قال الرجل : لا ! قال : فالصبر لله ، قال الرجل : لا ! فغضب الشبلى وقال : ويحك ، فماذا ؟ قال : الصبر عن الله ، فصرخ الشبلى صرخة كادت تتلف روحه (اللمع فى التصوف ص ٧٦)

وَقَالَ لِسَانُ هَيْبَةِ الأَحَدِيَّةِ(1) ، وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ(2) . فَتَزَلْزَلَتْ جِبَالُ عُصَمِ(3) الأَلْبَابِ(١) ، وَدُكَّتْ بِبَهَاءِ(٢) نُورِ « تَجَلَّى(4) » نُعُوتُ البَشَرِيَّةِ ، وَقُصَّتْ أَجْنِحَةُ الأَرْوَاحِ ، فَلَا مَطَارَ لَهَا فِى فَضَاءِ عِلْمِ التَّفْرِيدِ(5) .. وَتُيِّمَتِ(٣) القُلُوبُ بِأَشْوَاقِ عِشْقِهِ ، وَهَامَتْ الأَسْرَارُ بِوَلَهِ حُبِّهِ ، وَتَبَلْبَلَتْ الأَفْكَارُ فِى بَرَارِى بُعْدِهِ وَقُرْبِهِ .

---

[١] ر : عصمة الألباب
[٢] غير واضحة فى ر
[٣] ر : ونبهت

---

(1) الأحدية ، اسم لصرافة الذات الالهية المجردة .. وتجلى الاحدية ، أول تنزلات الذات من ظلمة العماء الذى كان فيه الحق تعالى قبل أن يخلق الخلق (انظر الحديث الشريف الوارد فيه ذكر العماء فى : صحيح الترمذى ، تفسير هود/١ ـ سنن ابن ماجة ، مقدمة ١٣ ـ مسند ابن حنبل ٤/١١ ، ١٢) ويمنع الصوفية اتصاف المخلوق بالاحدية ، لأنها صرافة الذات المجردة عن الحقية والخلقية معا ، والعبد محكوم عليه بالمخلوقية ، فلا سبيل الى ذلك ، فتظل الاحدية ابدا لله .. يقول الجيلى : فإن شهدت نفسك فى هذا التجلى ، فإنما شهدت من حيث إلهك وربك ، فلا تدعيه بخلقيتك (الانسان الكامل ٢٦/١)
(2) قوله تعالى : وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا .. طه/١٠٨
(3) الاشارة من الآية : قال سآوى إلى جبل يعصمنى ، قال لا عاصم اليوم .. هود/٤٣
(4) قوله تعالى : فلما « تجلى » ربه للجبل جعله دكا .. الاعراف/١٤٣
(5) يقترن التفريد فى لغة الصوفية ، بالتجريد .. وكلاهما مصطلح دقيق يلزم التوقف عنده بشىء من التفصيل .

ـ التجريد : هو تجريد القلب ، إذا صفا من كدورات البشرية ، بشواهد الالوهية (اللمع ص ٤٢٥) فيتجرد القلب عن الاعراض ، ويسقط التدبير مع الله (ألفاظ ص ٩٦) وقد أوجز ابن عربى فى تعريف التجريد ، فقال : هو إماطة السوء والكون ، عن القلب والسر (اصطلاح ص ١٦) اما الامام الجيلانى فيقول : هو تجريد السر [= القلب] عن التدبر ، بثبات السكون عن طلب المحبوب [= مطلوب النفس] وتعريه عن التزمل بلباس الطمأنينة [= الركون الى الدنيا] والرجوع من الخلق الى الحق (البهجة ص ١٢١ ـ قلائد ص ٨٩)

ـ التفريد هو إفراد الحق تعالى ، بوجوب الحقائق الربانية ، كما فى قول الحلاج : حسب الواجد إفراد الواحد (اللمع ص ٤٢٥) وحين سئل الامام الجيلانى عن التفريد ، أجاب بقوله : هو إشارة من المفرد [= الواصل = القطب] الى الفرد ، بعد تفرده عن الكونية ، وتعريه عن الملكية ، وانخلاعه عن وصف وجوده وحكم ذاته ، مطالعا لما يرد على سره من الخواطر من الحق ، تحريا لتصحيح التفريد ، وطلبا لصدقه فى وصفه .. (البهجة ص ١٢١)

وعلى ذلك ، فالتفريد مرحلة يصلها السالك بعد التجريد .. فإذا جرد السالك عن كونه وعن السّوى ، افرد الواحد (المعجم الصوفى ص ٨٧٨)

فَحِكَمُهُ مَبْثُوثَةٌ فى كُلِّ ذَاتٍ ، وَآثَارُ صُنْعِهِ لَائِحَةٌ فِى كُلِّ مَصْنُوعٍ ، وَعَجَائِبُ قُدْرَتِهِ ظَاهِرَةٌ فِى كُلِّ كَائِنٍ ، وَبَرَاهِينُ وَحْدَانِيَّتِهِ قَائِمَةٌ[١] عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ.وَأَنْوَارُ اقْتِدَارِهِ بَاهِرَةٌ لِعَيْنِ كُلِّ عَقْلٍ ، وأَلْسُنُ صُنْعِهِ تُخَاطِبُ أَهْلَ الْوُجُودِ بِإِشَارَاتِ[1] شَوَاهِدِ الْهَيْبَةِ[٢] .

قَابَلَ مَرَايَا الْعُقُولِ بِأَشْخَاصِ[٣] أَعْيَانِ[2] عَجَائِبِهِ ، وَجَلَى عَلَى عُيُونِ قُلُوبِ عِبَادِهِ عَرَائِسَ أَسْرَارِ الْغَيْبِ . . ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ، وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَايَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ[3]

---

[١] مطموسة فى ر
[٢] ب : هيبته
[٣] ب : باشخاص بيان

---

(1) الاشارة هى لغة أهل الطريق الصوفى ، وهى ما يخفى كشفه بالعبارة من الحقائق الذوقية المتجلية على قلوبهم . وتسمى علوم الصوفية بعلوم الاشارة ، حتى ان القشيرى جعل لتفسيره للقرآن عنوان (لطائف الاشارات) وبخصوص دوافع الصوفية لاستخدام الاشارة دون العبارة ، يمكن الرجوع الى : الرسالة القشيرية ص ٣٣ ـ اليواقيت والجواهر ١٩/١ ـ الفاظ الصوفية ص ٥٤ .

(2) الأعيان ـ فى الاصطلاح الصوفى ـ هى حقائق الممكنات .. وقد توسع الشيخ الاكبر فى الكلام عن الأعيان [الثابتة] فى معظم مؤلفاته ، مشيرا بها الى حقائق الممكنات فى علم الحق تعالى (راجع : الأعيان الثابتة فى مذهب ابن عربى ، مقالة للدكتور ابو العلا عفيفى ـ ضمن الكتاب التذكارى لابن عربى ص ٩٣)

(3) سورة فاطر/ آية ١٣



المقالة السابعة .

الوصَــــــــال

★ بهجة الأسرار
★ مخطوط الأزهر (رواق المغاربة/ ١٢٠١)



يَا رَكَائِبَ الأَرْوَاحِ جِدِّى فِى طَلَبِ هَذِهِ المَنَازِلِ
وَيَا نَجَائِبَ القُلُوبِ أَسْرِعِى إِلى نَيْلِ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ

نَسَمَاتُ[١] أَسْحَارِ[٢] الوِصَالِ.. إِذَا اجْتَازَتْ[٣] بِرُبُوعِ [1] الْمَطْرُودِينَ حَنُوا، وَطَيْفُ[٤] لَيَالِى الاتِّصَالِ .. إِذَا طَرَقَ مَضَاجِعَ المَهْجُورِينَ أَنُّوا،وَأَوْتَارُ الشَّوْقِ.. إِذَا رُكِّبَتْ عَلَى عِيدَانِ المُشَاهَدَةِ فِى مَجْلِسِ الأُنْسِ ، عَلَى نُدَمَاءِ عُشَّاقِ الأَزَلِ ورُضَعَاءِ أَثْداءِ المَحَبَّةِ .. اهْتَزَّتْ أَشْجَارُ العُقُولِ فِى بَسَاتِينِ القُلُوبِ ، وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُ النُّفُوسِ فِى دَوْحِ [2] الهَيَاكِلِ ،[٥] وَرَقَصتْ جَوَاهِرُ الخَوَاطِرِ [3] طَرَباً فِى قُصُورِ الصُّورِ ، وَتَوَاجَدَتْ أَلْبَابُ[٦] الأَحْبَابِ سُرُوراً فِى مَغَانِ[٧] المَبَانِى [4] ، وَقَدَحَ زَنْدُ الكَشْفِ فِى حِرَاقِ شَرَرِ نَارِ[٨] العِشْقِ ، واحْتَرَقَتْ بِصَوَاعِقِ الْهَيْبَةِ ذَرَّاتُ أَجْزَاءِ الذَّوَاتِ ، وَمَاجَ

---

[١] ب : وقال رضى الله عنه/ ر : وقال ايضا .
[٢] ر : اصحاب
[٣] ر : اجتازت على ربوع/ ب : اجتازت بربوع !
[٤] ر : وصيف
[٥] ر : روح الهياكل/ ب : در الهياكل
[٦] غير واضحة فى ر
[٧] ب : معانى
[٨] ب : شرارنا

---

(1) الربوع : جمع ربع ، وهو المنزل ودار الاقامة .
(2) الدوح : الشجرة العظيمة من أى الشجر كانت (لسان ١/١٠٣٠) وقوله دوح الهياكل ، اشارة اجسام أهل المحبة .
(3) الخواطر : خطاب يرد على الضمائر ـ فإذا كان من قبل الملك سمى [الالهام] وإذا كان من قبل الشيطان فهو [الوسواس] واذا كان من قبل النفس فهو [الهاجس] واذا كان من قبل الحق تعالى فهو : خاطر الحق !
والمراد بجواهر الخواطر هنا خواطر اليقين ، التى هى روح الايمان ونبع العلم .. وهى مخصوصة بخواص الأولياء الموقنين ، ولا ترد إلا بحق (بهجة الأسرار ص ٦٨) .
(4) المغانى : الأرض المخصبة بالعشب والشجر ـ المبانى : إشارة إلى أجسام أهل المحبة ، فيكون المعنى المراد : إذا مر طيف الشوق بالمحبين ، اهتزت الأعضاء وجدا وفرحا .

الكَوْنُ بِأَهْلِهِ ، وَجَرَحَ رَامِى الْغَرَامِ أَسْرَارَ الْمُحِبِّيْنَ بِنَبْلِهِ ، وَتَزَلْزَلَتْ قَوَاعِدُ أَرْكَانِ السَّرائِرِ ، وَهَامَتْ بِسُكْرِ تَوْقِ رَمَقِهَا[2] الْبَصَائِرُ ، وَقَامَتْ الأَرْوَاحُ عَلَى أَقْدَامِ إِقْدَامِ سُؤَالِ : مَا الْخَبرُ[3] .. وَاشْتَغَلَتْ الأَعْيُنُ - بِسَحِ [١] سُحْبِ الْعَبرَاتِ - عَنِ النَّظَرِ[4] .

وَوَقَفَ آدَمُ[5] الأَحْوَالِ عَلَى قَدَمِ [٢] الاعْتِرافِ بِالاقْتِرَافِ[6] .

وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ الْهِمَمِ عَلَى بَابِ : أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي[7] .

وَخَرَّ مُوسَى الْعَزَائِمِ صَعِقاً عَلَى قِمَّةِ طُورِ : تُبْتُ إِلَيْكَ[8] .

وَأَشَارَ أَيُّوبُ الْوَلَهِ بِيَدِ : مَسَّنِىَ الضُرُّ[9] .

---

[١] ر : تسمح
[٢] غير واضحة فى ر

---

(1) ماج الكون بأهله : إشارة الى واحدة من أمواج بحار المشاهدات التى تتجلى على بصيرة العارفين .. وكان الامام كثيرا ما يستخدم هذا التعبير .

(2) التوق : الشوق - والرمق : بقية الحياة والروح (لسان العرب : ١٢٢٦/١)

(3) إشارة الى خبر النار التى شاهدها موسى عليه السلام ، كما ورد فى قوله تعالى : سآتيكم منها بخبر .. النمل/٧ ، وقوله : قال لأهله امكثوا إنى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر .. القصص/ ٢٩ - وقد كان خبر النار إيذانا بلقاء موسى - عليه السلام بربه .

(4) النظر : الطلب المستحيل الذى أراده موسى حين قال : ربى أرنى انظر إليك .. الاعراف/١٤٣

(5) أدم - فى الاصطلاح الصوفى : رمز للنوع الانسانى كافة ، والاعتراف بالاقتراف ، اشارة الى الذنوب الانسانية التى بدأها أدم النوع الانسانى ، بأكله - وزوجه - من الشجرة المحرمة التى نهاهما عنها ربهما .

(6) يستخدم الامام الجيلانى هنا أسماء الأنبياء ، كرموز الى المعانى الصوفية ، فإبراهيم يشير إلى الهمة ، وموسى إلى العزم ، وأيوب إلى الوله والمحبة .. ألخ ، وهذه الرموز نجدها ايضا عند أقطاب التصوف المتأخرين على الامام الجيلانى . فقد استخدمها ابن عربى فى الفصوص ، والجيلى فى الانسان الكامل ، وابن الفارض فى التائية الكبرى .

(7) سورة الشعراء/ آية ٨٢

(8) سورة الاعراف/ آية ١٤٣ - والطور ، طور سيناء

(9) سورة الانبياء/ آية ٨٣

وَمَرَّ سُلَيْمَانُ الهَيَمَانِ عَلَى بِسَاطِ انْبِسَاطِ صَوْلَةِ دَوْلَتِه ، مَحْمُولاً بِريحِ :(1) إنَّ لِرَبِّكُمْ فِى أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ(2) .
وَقَالَتْ نَمْلَةُ القَلْبِ لِرَعَايَا الخَوَاطِرِ ، عِنْدَ انْتِشَارِ عَسْكَرِ[١] سُلْطَانِ الجَلَالِ ، واسْتِيلَاءِ جُيُوشِ مَلكِ الكَمَالِ : ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ(3)[٢] .
فَبَدَتْ[٣] أَنْوارُ القُرْبِ . . وانْبَسَطَتْ أَشِعَّةُ الدُّنُوِّ ، وَمُدَّ رُوَاقُ اللِّقَاء، وَفُرِشَ بِسَاطُ الحَضْرَةِ[٤] عَلَى أَرائِكِ بَسِيطِ القُدْسِ(4) ، وَعُقِدَ مَجْلِسُ الخَلْوَةِ(5) تَحْتَ لِوَاءِ المَلِكِ فِى حَرَمِ الأَمْنِ ، وانْتَظَمَ حَالُ العَاشِقِ ، واجْتَمَعَ

---

[١] ب : عساكر
[٢] ر : لا يحطمنكم سليمان
[٣] غير واضحة فى ر
[٤] ر : الخمرة
[٥] كلمات هذا الموضع مطموسة فى ر

---

(1) الاشارة الى الريح المسخرة لسليمان عليه السلام ، كما فى قوله : فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث اصاب .. سورة ص/ آية ٣٦
(2) الحديث الشريف : إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها .. حديث مشهور ، ذكره الغزالى فى بداية (المنقذ من الضلال) ولم نجد له تخريجا فى فهرس الكتب التسعة !
(3) سورة النمل / آية ١٨
(4) البسيط من الارض ، كالبساط من الثياب . فيقال ارض بساط وبسيطة إذا كانت مستوية (لسان ٢١٣/١) وبسيط القدس المشار اليه هنا ، إشارة الى عالم القدس .
(5) راجع الخلوة فيما سبق .
(6) إذا كانت الخلوة هى انفراد مع الله ، ومحادثة السر معه . فإن الجلوة هى خروج العبد من الخلوة بالنعوت الالهية (اصطلاح ص ٢٢) فالجلوة هى الكشف والجلاء وإشراف القلب بنور الله ، وهى خروج الصوفى من الخلوة وقد اتصف بالكمالات الالهية .ويرى الدكتور حسن الشرقاوى ان لفظ الجلوة مشتق من التجلى الوارد ذكره فى الآيات القرآنية (ألفاظ ص ١٢٤)

الحِبُّ مَعَ المَحْبُوبِ(1) . .

وَدارتْ كُؤُوسُ شَرابِ الشَّارِبِ فِي أَقْدَاحِ الأَفْرَاحِ ، وَعَطِرَ الوَقْتُ ، وَسَعُدَ البَخْتُ ، وَارْتَفَعَ المَقْتُ[١] ، وَتَجَلَّتْ أَسْرَارُ غَيْبِ القِدَمِ مِنْ بَيْنِ أَكْنَافِ مَسَالِكِ أَوْصَافِ الأَزَلِ .

يَالَهَا مِنْ[٢] مَسَالِكَ دَقَّتْ(2). فَظَلَّ الوَهْمُ دَهِشاً عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّتِهَا ، وَمَعَانٍ رَقَّتْ ، فَضَاقَتْ هَوَاجِسُ الفِكْرِ عَنْ[٣] عِلْمِ مَاهِيَّتِهَا . . فَهِيَ كَالبُرُوقِ[٤] ، لَامِعَةٌ(3) لِحَدَقِ الخَوَاطِرِ ، مِنْ سُحُبِ الأَبَدِ . وَكَالشُّمُوسِ ، طَالِعَةٌ(4) مِنْ مَدَارَاتِ بُرُوجِ الحَالِ .

وَتَاللَّهِ . . لَقَدْ[٥] تَاهَتْ البُرُوقُ - عِنْدَ بُرُوزِهَا - وَبِيصاً(5) وَغُمُوضاً[٦] ، وَخَجِلَتْ الشُّمُوسُ عِنْدَ ظُهُورِهَا تَلْوِيحاً وَتَعْرِيضاً . .

---

[١] ما بين القوسين ساقط من ب

[٢] - ر

[٣] ر : فى

[٤] ر : كالبرق اللامعة

[٥] غير واضحة فى ر

[٦] : وميضا وغموضا

---

(1) مطلق لفظ [المحبوب] حين يرد فى كلام الصوفية ، فالمراد به : الذات الالهية (راجع المعنى الصوفى للمحبة فيما سبق) وقد جعل أبو طالب المكى عنوان كتابه الصوفى الشهير : قوت القلوب فى معاملة المحبوب .

(2) دقت : خفيت وبعدت عن الادراك .

(3) اللوامع : انوار التجليات الشهودية .

(4) الطوالع : انوار التوحيد التى تطلع على قلوب أهل المعرفة ، فتطمس سائر الانوار (اصطلاحات الصوفية لابن عربى ص ١٨) .

(5) الوبيص : البريق . يقال وبص البرق ، إذا لمع وبرق (لسان العرب ٨٦٩/٣ - القاموس ٣٣٣/٢) والمعنى المراد هنا ، ان انوار التجليات الالهية إذا سطعت توارت كل الأنوار الحسية .

حِينَ أَسْفَرَتْ يَدُ الإِرَادَةِ ـ لأَبْصَارِ خُطَّابِهَا ـ عَنْ[١] جَبِينِ جَمَالِهَا ، نِقَابَ الحِجَابِ ، وَصَفَّفَتْهَا[٢] مَوَاشِطُ الأَزَلِ عَلَى سَرِيرِ الاسْتِجْلَاءِ ـ عَلَى اسْتِهْزَازِ عُشَّاقِ الطُّلَّابِ ، وَأَظْهَرَهَا اللَّوْحُ النُّورَانِيُّ مِنْ أَقَاصِى مَكَامِنِهَا وَأَدَانِيهَا ، وَكَشَفَ الوَصْفُ الوِجْدَانِيُّ نُعُوتَ مَعَالِيهَا وَمَعانِيهَا ، وَغَامَزَتْ لَحَظَاتُ جَمَالِهَا صَبَابَاتِ التَّوَّاقِينَ المُشْتَاقِينَ ، وَغَازَلَتْ نَظَرَاتُ سَبَحَاتِهَا حَيْرَةَ الشَّاخِصِينَ العَارِفِينَ .

فَلَمَّا قَدِمُوا لِنَظَرِ جَلَائِهَا ، وَحَضَرُوا لِمُشَاهَدَةِ بَهَائِهَا . . اهْتَزَّ تَاجُ جَمَالِهَا فِى مَجْلِسِ كَمَالِهَا ، فَنَثَرَ عَلَى رُؤوسِهِمْ[٣] جَوَاهِرَ القَبُولِ وَدُرَرَ الرِّضْوَانِ . ثُمَّ تَوَارَتْ بِأَسْتَارِ العِزَّةِ وَرِدَاءِ الكِبْرِيَاءِ وَإِزَارِ العَظَمَةِ(1) ، فَقُطِّعَتْ القُلُوبُ وَجْدَاً واشْتِيَاقَاً ، وَهَامَتْ الأَرْوَاحُ عَطْشَاً وَاحْتِرَاقَاً ، وَتَمَايَلَتْ أَغْصَانُ الغَرَامِ تُغَازِلُ نَسَائِمَ الوَجْدِ ، وَتَنَاثَرَتْ أَوْرَاقُ الصَّبْرِ تَشْكُو قَلَقَ الفِرَاقِ .

يَا رَكَائِبَ الأَرْوَاحِ : جِدِّى فِى طَلَبِ هَذِهِ المَنَازِلِ .

وَيَا نَجَائِبَ القُلُوبِ : أَسْرِعِى إِلَى نَيْلِ هَذِهِ الدَّرَجَاتِ .

وَقُلْ اعْمَلُوا ، فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَه وَالمُؤْمِنُونَ(2) .

---

[١] ر : على

[٢] ر : ونصفها/ ب : ونصصتها

[٣] ر : رسهم

---

(1) الحديث : الكبرياء ردائى والعظمة ازارى . (أخرجه أبو داود ، اللباس ٢٥ ـ وابن ماجه ، زهد ١٦ ـ وابن حنبل ، المسند ٣٧٦/٢ ، ٤١٤ ، ٤٢٧ ، ٤٤٢) .

(2) سورة التوبة/ آية ١٠٥

المقالة الثامنة :

الحَـــــلَّاج

★ بهجة الأسرار
★ مخطوط الأزهر (رواق المغاربة/١٢٠١)



عَثَر الحَلاَّجُ ، وَلَمْ يَكُنْ
فِى زَمَانِهِ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ

[أ]

طَارَ طَائِرُ[١] بَعْضِ ٱلعَارِفِينَ مِنْ وَكْرِ شَجَرَةِ صُورَتِهِ ، وَعَلاَ إِلَى السَّمَاءِ خَارِقاً صُفُوفَ ٱلمَلاَئِكَةِ . . كَانَ بَازِيّاً مِنْ بُزَاةِ ٱلمَلِكِ ، مُخَيَّطَ ٱلْعَيْنَيْنِ بِخَيْطِ : وَخُلِقَ ٱلإِنْسَانُ ضَعِيفاً(1) .

فَلَمْ يَجِدْ فِي السَّمَاءِ مَا يُحَاوِلُ مِنَ الصَّيدِ ، فَلَمَّا لاَحَتْ[٢] لَهُ فَرِيسَةٌ : رَأَيْتُ رَبِّي(2) . . إِزْدَادَ تَحَيُّرُهُ فِي قَوْلِ مَطْلُوبِهِ : أَيْنَمَا تَوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ(3) .

وَعَادَ[٣] ـ هَابِطاً ـ إِلَى حَظِيرَةِ حَظِّهِ الأَرْضِي[٤] ، طَلَبَ مَا هُوَ أَعَزُّ مِنْ وُجُودِ النَّارِ فِي قُعُورِ الْبِحَارِ ، تَلَفَّتَ بِعَيْنِ عَقْلِهِ ، فَمَا شَاهَدَ سِوَى الإِرَادَةِ . . فَكَّرَ فَلَمْ يَجِدْ فِي الدَّارِينِ مَطْلُوباً ، سِوَى مَحْبُوبِهِ[٥] فَطَرَّبَ . . فَقَالَ بِلِسَانِ سُكْرِ قَلْبِهِ :

أَنَا الْحَقُّ(4) .

---

[١] ب : طائر عقل
[٢] مطموسة في ر
[٣] ب : عاد
[٤] ب : حضيرة خطه الأرضى/ غير واضحة في ر
[٥] ر : حبيبه

---

(1) سورة النساء/ آية ٢٨ .
(2) الحديث : « رأيت ربي في صورة شاب أمرد » يرد كثيرا في كتابات الصوفية (أنظر : الفتوحات المكية ١١٤/٢ ـ الانسان الكامل ٣٣/١) وهذا الحديث ـ الذي رواه عكرمة ـ ليس بالصحيح ! وقد ورد في صحيح البخاري (كتاب التوحيد ٤ ـ بدء الخلق ٧) وصحيح الترمذي (تفسير ٥/٦ ، ٣/٥٣ ، ٤ ، ٢٧) ومسند الامام ابن حنبل (الجزء الخامس ١٤٧ . السادس ٤٩) انه قال :
مَنْ حدثك أن محمدا رأى ربه ، فقد كذب .
(3) سورة البقرة/ آية ١١٥ .
(4) أنا الحق .. هي القولة الحلاجية الشهيرة ، التي شطح بها الحلاج ، فأخذت بيده إلى السياف ، وكانت سببا مباشرا لمقتله ببغداد سنة ٣٠٩ هجرية .

تَرَنَّمَ بِلَحْنٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ[١] مِنَ الْبَشَرِ ، صَفَّرَ فِى رَوْضَةِ الوُجُودِ صَفِيراً لاَ يَلِيقُ بِبَنِى آدم ، لَحَّنَ بِصَوْتِهِ لَحْناً عَرَّضَهُ لِحَتْفِهِ . . وَنُودِىَ[٢] فِى سِرِّهِ : يَا حَلاَّجُ ، اعْتَقَدْتَ أَنَّ قُوَّتَك بِكَ ! قُلْ الآنَ نِيَابَةً عَنْ جَمِيعِ العَارِفِينَ « حَسْبُ الوَاحِدِ[1] إِفْرَادُ الوَاحِدِ » .

قُلْ : يَا مُحَمَّدُ ، أَنْتَ سُلْطَانُ الحَقِيقَةِ . . أَنْتَ إِنْسَانُ عَيْنِ الوُجُودِ ، عَلَى عَتَبَةِ بَابِ[٣] مَعْرِفَتِك ، تَخْضَعُ أَعْنَاقُ العَارِفِينَ ، فِى حِمَى جَلاَلَتِك ، تُوضَعُ جِبَاهُ الخَلاَئِقِ أَجْمَعِينَ .

[ب]

طَارَ وَاحِدٌ مِنَ العَارِفِينَ إِلَى أُفْقِ الدَّعْوَى[2] بِأَجْنِحَةِ « أَنَا الحَقُّ » . . رَأَى[٤] رَوْضَ الأَبَدِيَّةِ خَالِياً مِنْ الحَسِيسِ والأَنِيسِ ، صَفَّرَ بِغَيْرِ لُغَتِهِ تَعْرِيضاً لِحَتْفِهِ ، ظَهَرَ عَلَيْهِ عُقَابُ[3] الْمَلِكِ[٥] مِنْ مَكْمَنٍ : « إِنَّ اللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ العَالَمِينَ[4] » أَنْشَبَ فِى إِهَابِهِ مَخْلِبَ : كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ[5] .

---

[١] مطموسة فى ر
[٢] ر : نودى
[٣] غير واضحة فى ر
[٤] العبارة ساقطة بكاملها من ر
[٥] ر : من الملك

---

(1) حسب الواجد [الواحد] افراد الواحد .. عبارة اخرى من عبارات الحلاج الشهيرة قالها ضمن كلام طويل لما ازفت نهايته (انظر : ديوان الحلاج ص ٥١ ـ اخبار الحلاج ص ١٢) .
(2) الدعوى : التصريح بحقيقة ذوقية دون اذن إلهى ، وهى قريبة فى معناها من الشطح .. وللحلاج فى الطواسين ، مقالة صوفية شديدة الرمزية بعنوان : فى صحة الدعاوى بعكس المعانى (الطواسين ص ٤١) .
(3) العقاب : طائر كاسر حاد البصر ، لا يقعد إلا على الاماكن المرتفعة ـ يقول الدميرى عن طيور العقاب : وهى من اشد الجوارح واقواها حركة ، خفيفة الجناح سريعة الطيران (حياة الحيوان ٢/١٢٧) وهو هنا كناية عن شرع الله .
(4) سورة العنكبوت/ اية ٦ .
(5) سورة آل عمران/ اية ١٨٥ ـ والاشارة الى نهاية الحلاج .

قَالَ لَهُ شَرْعُ سُلَيْمَانَ(1) الزَّمَانِ ، لِمَ تَكَلَّمْتَ(١) بِغَيْرِ لُغَتِكَ(٢) ؟ لِمَ تَرَنَّمْتَ بِلَحْنٍ غَيْرِ مَعْهُودٍ مِنْ مِثْلِكَ ؟ أُدخُلِ الآنَ فِى قَفَصِ وُجُودِكَ ، ارْجِعْ مِنْ طَرِيقِ عِزَّةِ القِدَمِ إِلَى مَضِيقِ ذِلَّةِ الحُدُوثِ . . قُلْ بِلِسانَ اعْتِرَافِك ، لِيَسْمَعَكَ أَرْبَابُ الدَّعَاوى : « حَسْبُ الوَاجِدِ إِفْرَادُ الوَاحِدِ » . .

مَنَاطُ حِفْظِ الطَّرِيقِ ، إِقَامَةُ خِدْمَةِ(٣) الشَّرْعِ .

[جـ]

الحَلاَّجُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى البَابِ ، وَطَرَقَهُ ، نُودِىَ :

يَا حَلاَّجُ ، لاَ يَدْخُلُ هَذَا البَابَ إِلاَّ مَنْ تَجَرَّدَ عَنْ صِفَاتِ البَشَرِيَّةِ ، وَفَنِىَ عَنْ سِمَاتِ الآدَمِيَّةِ ! فَمَاتَ حُبًّا وَذَابَ عِشْقاً ، وَأَسْلَمَ(٥) رُوحَهُ لَدَى البَابِ ، وَجَادَ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الحِجَابِ . .

فَوَقَفَ فِى مَقَامِ الدَّهْشَةِ عَلَى أَقْدَامِ الحَيْرَةِ . فَلَمَّا أَخْرَسَهُ الفَنَاءُ ، أَنْطَقَهُ السُّكْرُ ، فَقَالَ : أَنَا الحَقُّ . . فَأَجَابَهُ حَاجِبُ الهَيْبَةِ : اليَوْمَ قَطْعٌ وَقَتْلٌ ، وَغَداً قُرْبٌ وَوَصْلٌ . . فَقَالَ بِلِسَانِ حَالِهِ :

فَمَا غَلَتْ نَظْرَةٌ مِنْهُمْ بِسَفْكِ دَمِى.

---

[١] ر : تتكلم
[٢] ر : لغتكم
[٣] ب : وظائف خدمة
[٤] الفقرات التالية غير واردة فى ر
[٥] ب : عشقا وسلم !

---

(1) سليمان هنا رمز للحكمة والفهم كما فى قوله تعالى : ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما .. الأنبياء/٧٩ .

(2) العبارة الصوفية : فما غلت نظرة منهم بسفك دمى .. هى الشطرة الثانية من بيت شعرى ، وهى عبارة مشهورة تتردد فى العديد من المؤلفات الصوفية ، وقد استشهد بها اليافعى .. انظر (نشر المحاسن الغالية ص ٤٣٠) .

[د]

لَمَّا هَاجَتْ بَلَابِلُ أَشْوَاقِهِ ، واضْطَرَمَتْ نِيرانُ إِحْرَاقِهِ ، طَلَبَ الوُصُولَ فَأُجْلِسَ عَلَى بِسَاطِ الامْتِحَانِ ، وَقِيلَ لَهُ[١] : يَاابْنَ مَنْصُورٍ ، إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَوْ مُحِبًّا بَائِعاً[1] ، فَابْذُلْ نَفْسَكَ النَّفِيسَةَ وَرُوحَكَ الشَّرِيفَةَ فِى الفَنَاءِ ، لِتَصِلَ إِلَيْنَا . فَقَابَلَ الأَمْرَ بِالطَّاعَةِ ، وَقَالَ « أَنَا الحَقُّ » لِيَقْبَلَ فِى هَذِهِ السَّاعَةِ « وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذَّينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً[2] » .

[هـ]

الحَلاَّجُ ، غَلَبَ عَلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ سُكْرُ المَحَبَّةِ ، وَقَهَرَ سِرَّ سَرَائِرِهِ سُلْطَانُ العِشْقِ ، فَقَالَ مِنْ حَيْرَةِ الطَّلَبِ[٢] : أَنَا . .

وَإِبْلِيسُ[3] دَخَلَتْ نَخْوَةُ الكِبْرِ فِى هَامَةِ هِمَّتِهِ ، وَجَرَتْ خِزَانَةُ السِّرِّ مَعَ أَنْفَاسِ

---

[١] - ب

[٢] ب : الطلبة

---

[1] يقصد : بائعا فى محبته كل شىء

[2] سورة آل عمران / آية ١٦٩

[3] جاء ذكر إبليس هذا لأمرين .. الأمر الأول ، أن الحلاج كان قد قرن نفسه بإبليس - فى تعلقه بأهداب التفريد ! بل وبالغ الحلاج فجعل من إبليس وفرعون أستاذين له فى عدم الرجوع عن الدعوى (انظر : الطواسين ص ٥١) والأمر الآخر الذى استوجب ذكر إبليس ، أن كلا من الحلاج وإبليس ، قال : أنا ..!

قال الحلاج : أنا الحق .

وقال ابليس : انا خير من آدم .

لكن الامام الجيلانى يفرق هنا بين القولين ، فالحلاج قال(أنا) بلسان سكر المحبة والوله الغالب على قلب المحب ، حين وجد بقلبه أثرا من تجليات الحق تعالى : أما إبليس ، فقد قالها بلسان الكبر وإعلاء النفس !

نَفْسِهِ .. فَقَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ[1] .

فَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ سُكْرُ حُبِّ مَوْلَاهُ ، جَدِيرٌ أَنْ يُمْنَحَ ـ بِوَصْلِهِ وَقُرْبِهِ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ بِعَيْنِ العُجْبِ ، حَقِيقٌ أَنْ يُقْطَعَ رَأْسُ كِبْرِهِ بِسَيْفِ الطَّرْدِ .

[و]

الحَلَّاجُ قَطَعَ طَرِيقَ العِشْقِ ، وَأَخَذَ[١] جَوْهَرَةَ سِرِّ المَحَبَّةِ ، وَأَوْدَعَهَا فِي أَخْفَى مَكَامِنِ خِزَانَةِ قَلْبِهِ .. مُشِيراً لِحَالِهِ .. فَلَمَّا قَابَلَ بَصَرَ بَصِيرَتِهِ، شُعَاعُ نُورِ جَمَالِهَا ، عَمِيَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى المَوْجُودَاتِ ، فَظَنَّ خُلُوَّ المَكَانِ مِنَ الأَعْيَانِ ، فَاعْتَرَفَ بِالأَخْذِ .. فَاسْتَحَقَّ قَطْعَ اليَدِ وَالقَتْلَ !

وَحَيَاتِكَ ، مَنْ مَلَكَ تِلْكَ الجَوْهَرَةَ ، لَا يَقْنَعُ إِلَّا بِأَوْفَى دَرَجَاتِ المَحَبَّةِ ، وَهِيَ : الفَنَاءُ[2] .

---

[١] ب : واخذ منه

---

(1) الآية : انا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين .. سورة ص/ ٧٦

(2) يقصد الفناء في المحبوب .. والملاحظ هنا ان عبارات الامام الجيلاني في الحلاج قد اتخذت في جملتها الطابع الرمزي ولغة الاشارة الصوفية الدقيقة، ويرجع ذلك إلى خصوصية موقف الحلاج .
وحين سئل الامام الجيلاني عن سر قول الحلاج (انا الحق) وقول البسطامي (سبحاني) اجاب : ما ارى كفوا اجلو عليه هذه الافكار ، ولا امينا اكشف له هذه الأسرار .. (بهجة الأسرار ص ١٢٢)

المقالة الأخيرة :

الوَصِـــــيَّة

★ فتوح الغيب
★ الفيوضات الربانية
★ مخطوط الأزهر (رقم ٧٤١ / حليم)



أَمِتْ نَفْسَكَ .. حَتَّى تَحْيَا

أُوصِيكَ[١] بِتَقْوَى اللَّهِ[٢] وَطَاعَتِهِ[٣] ، وَلُزُومِ الشَّرْعِ[٤] وَحِفْظِ حُدُودِهِ ، وَتَعْلَمُ[٥] يَاوَلَدِى ـ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ[٦] وَالْمُسْلِمِينَ[٧] أَجْمَعِينَ ـ أَنَّ[٨] طَرِيقَتَنَا هَذِهِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ[٩] ، وَسَخَاءِ الْيَدِ[١٠] وَبَذْلِ النَّدَى وَكَفِّ[١١] ٱلْجَفَا ، وَحَمْلِ ٱلْأَذَى[١٢] ، وَالصَّفْحِ[١٣] عَنْ عَثَرَاتِ ٱلْاِخْوَانِ[1] .

---

[١] ف : هذه الوصية لحضرة الغوث قدس سره . اعلم أنه قد سأله حضرة سيدنا وشيخنا ومخدومنا الشيخ عبدالرزاق قدس الله تعالى سره الوصية، فقال حضرة الغوث.
ز : هذا كتاب وصية الغوث الفرد الجامع الربانى ، السيد الجليل سلطان الاولياء الشيخ محيى الدين بن عربى قدس الله سره العزيز ، وقد سئل بعض أولاده الوصية . قال رحمة الله .
غ : المقالة الخامسة والسبعون ، فى التصوف وعلى اى شىء مبناه . قال رضى الله عنه وأرضاه .

[٢] ز : عز وجل

[٣] ـ ز

[٤] بقية الفقرة ساقطة من غ

[٥] ز ، غ : تعلم العلم

[٦] ز : وفقك الله وانا

[٧] ـ ف

[٨] ـ ز

[٩] ف : الصدور

[١٠] غ : النفوس

[١١] ز : كره الجفا، غ : كف الاذى

[١٢] ـ ز/ غ : تحمل الأذى والفقر

[١٣] ـ غ

---

[1] الأخلاقيات المذكورة هنا ، هى عين صفات وموجبات الفتوة التى يقررها اهل الطريق الصوفى (راجع التعليق الخاص بالفتوة فيما سبق) ونلاحظ هنا أن ما يقرره الامام الجيلانى من قواعد للطريقة لا يخرج عما جاء به الاسلام من عقائد ومعاملات .

وَأُوصِيكَ يَاوَلَدِى بِالْفَقْرِ(١) ؛ وَهُوَ حِفْظُ حُرُمَاتِ الْمَشَايخِ ، وَحُسْنُ(٣) الْعِشْرَةِ مَعَ الإِخْوَانِ[1] ، وَالنَّصِيحَةُ لِلأَصَاغِرِ وَالأَكَابِرِ ، وَتَرْكُ الْخُصُومَةِ إلَّا فِى أُمُورِ(٤) الدِّينِ .

وَتعَلَمْ يَاوَلَدِى - وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ(٥) - أَنَّ حَقِيقَةَ الْفَقْرِ ، أَنْ لَا تَفْتَقِرَ إِلَى(٦) مَنْ هُوَ(٧) مِثْلُكَ[2] . وَحَقِيقَةُ الْغِنَى ، أَنْ تَسْتَغْنِىَ عَمَّنْ هُوَ مِثْلُكَ . وَأَنَّ(٨) التَّصَوُّفَ حَالٌ ، لَا لِمَنْ يَأْخُذُ بِالْقِيلِ وَالْقَالِ[3] ، لَكِنْ إِذَا رَأَيْتَ الْفَقِيرَ(٩) ، فَلَا تَبْدَأْهُ بِالْعِلْمِ وَابْدَأْهُ بِالرِّفْقِ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ يُوحِشُهُ وَالرِّفْقَ يُؤْنِسُهُ[4]

---

[١] - غ .
[٢] ز : الشيوخ
[٣] - غ
[٤] - غ/ ز : فى ترك أمور
[٥] - غ ، ز
[٦] غ : على
[٧] - ز
[٨] ز : وان التصوف لم / غ : والتصوف ليس
[٩] - ف/ والفقرة مضطربة جدا فى غ

---

(1) الاخوان : لفظة صوفية يراد بها الأقران فى كل مرتبة ، ولذا يضاف اليها فيقال فى كلام الصوفية (اخوان الابتداء ، اخوان الطريق ، اخوان التجريد .. الخ)

(2) يقصد : سائر المخلوقات .

(3) من مأثورات الجنيد - أبو القاسم الجنيد بن محمد ، المتوفى ٢٩٧ هجرية - عبارة شهيرة تقول : ما أخذنا التصوف من القيل والقال ، ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات .. (طبقات الصوفية للسلمى ص ٣٦)

(4) يؤثر عن الجنيد - أيضا - قوله : إذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وأبدأه بالرفق ، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه (طبقات الصوفية ص ٣٧)

وَتَعْلَمُ[١] يَاوَلَدِى ـ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ[٢] ـ أَن التَّصَوُّفَ مَبْنِىٌّ عَلَى ثَمَانِى[٣] خِصَال[٤] : أَوَّلُهَا السَّخَاءُ ، وَالثَّانِى الرِّضَا ، وَالثَّالِثُ الصَّبْر وَالرَّابِعُ الإِشَارَةُ ، وَالْخَامِسُ الغُرْبَةُ ، وَالسَّادِسُ لُبْسُ الصُّوفِ ، وَالسَّابِعُ السِّيَاحَةُ ، وَالثَّامِنُ الْفَقْرُ .

فَالسَّخَاءُ لِنَبِىِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلاَمُ(1)

وَالرِّضَا لِنَبِىِّ اللَّهِ إِسْحَقَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ(2)

وَالصَّبْرُ لِنَبِىِّ اللَّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ(3)

وَالإِشَارَةُ لِنَبِىِّ اللَّهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلاَمُ(4)

وَالْغُرْبَةُ لِنَبِىِّ اللَّهِ يُوسُفَ[٥] عَلَيْهِ السَّلاَمُ(5)

---

[١] ـ غ / ز : أعلم
[١] ـ غ ، ف
[٢] ز : ثمانية
[٣] بقية الفقرة ساقطة من غ
[٤] غ : يحيى

---

(1) السخاء لابراهيم عليه السلام الذى عرف بكرمه ، ولما جاءت إليه الملائكة فى صورة آدمية . تقول الآية : فما لبث أن جاء بعجل حنيذ (سورة هود/ ٦٩)

(2) ربما يشير الامام الى اسحاق عليه السلام هنا ، باعتباره الذبيح القائل : ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين (سورة الصافات/ ١٠٣) وإن كان المشهور ، اعتبار اسماعيل عليه السلام هو الذبيح الذى نزلت فى قصته الآيات القرآنية ، وفى الحديث الشريف : أنا ابن الذبيحين ـ يعنى عبدالله واسماعيل .

(3) نسبة الصبر إلى أيوب عليه السلام ، معروفة ومتفق عليها (انظر : سورة الانبياء/ ٨٣ ـ سورة ص/ ٤١)

(4) الاشارة والرمز لزكريا عليه السلام ، كما فى الآية : قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا (سورة آل عمران/ ٤١)

(5) الغربة ليوسف عليه السلام ، الذى أغترب عن والده بديار مصر ـ وقصته فى ذلك معروفة .

وَلُبْسُ الصُّوفِ لِنَبِيِّ اللَّهِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ(1)
وَالسِّيَاحَةُ لِنَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، حَبِيبِنَا وَسَيِّدِنَا وَشَفِيعِنَا ، عَرِيضِ الْجَاهِ ، مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ وَمَجَّدَ [٢] وَعَظَّمَ.(3)
وَأُوصِيكَ [٣] يَاوَلَدِى [٤] ـ وَفَّقَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ [٥] ـ أَنْ تَصْحَبَ الْأَغْنِيَاءَ بِالتَّعَزُّزِ(4) ، وَالْفُقَرَاءَ بِالتَّذَلُّلِ . وَعَلَيْكَ بِالإِخْلَاصِ [٦] ، وَهُوَ نِسْيَانُ

---

[١] غ : عليه وعلى إخوانه من النبيين والرسل والمرسلين وآل كل وصحب كل وسلم أجمعين ـ وبهذا تنتهى المقالة الخامسة والسبعون .
[٢] ز : وجمل
[٣] غ : المقالة السادسة والسبعون فى الوصية ، قال رضى الله عنه وأرضاه اوصيك ..
[٤] ف : وعليك ياولدى
[٥] ـ ف ، غ
[٦] غ : التذلل والاخلاص

---

(1) عرف لبس الصوف والخشن ليحيى عليه السلام ، كعلامة على زهده وبعده عن زخارف الدنيا .
(2) عرف عن عيسى عليه السلام ، سياحاته فى أودية فلسطين متجردا ، يأكل من نبت الارض . يقول الهجويرى : وكان عليه السلام لا يملك غير وعاء ومشط . وحين رأى شخصا يشرب بحفنتيه رمى الوعاء . وحين رأى شخصا يخلل شعره بيده .. رمى المشط (كشف المحجوب ص ٢٣٥)
(3) انظر الاحاديث النبوية العديدة الواردة فى الفقر وفضل الفقراء (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ١٨٥/٥ وما بعدها) وقد روى الترمذى فى الصحيح (كتاب الزهد/ ٣٦) وابن حنبل فى المسند (الجزء الثالث/٤٢) أن رجلا جاء للنبى وقال : إنى أحبك . فقال صلى الله عليه وسلم : ان كنت تحبنى ، فأعد للفقر تجفافا .
(4) يقول الامام الجيلانى فى معنى التعزز ، والفرق بينه وبين التكبر : التعزز ما كان لله وفى الله ، ويفيد ذل النفس وارتفاع الهمة إلى الله عز وجل . والتكبر ما كان للنفس وفى الهوى ، ويفيد هيجان الطبع (بهجة الاسرار ص ١٢٣ ـ قلائد الجواهر ص ٩١) ويقول الامام فى الغنية : واما الصحبة مع الاغنياء فبالتعزز عليهم ، وترك الطمع فيهم وقطع الامل مما فى ايديهم ، واخراج جميعهم من قلبك ، وحفظ دينك عن التضعضع لهم لنوالهم ، كما جاء فى الحديث الشريف : من تضعضع لغنى لأجل ما فى يديه ، ذهب ثلث دينه (الغنية لطالبى طريق الحق ١٢٩٣/٣)

رُؤْيَةِ الْخَلْقِ[١] وَدوامُ رُؤْيَةِ الخالقِ . وَلاَ تَتَّهِمِ اللَّهَ فى الأَسْبَابِ ، وَاسَتكِنْ[٢] إِلَيْهِ فى جَمِيعِ الأَحْوَالِ ، وَلاَ[٣] تُضِعْ حَقَّ أَخِيكَ[٤] اتِّكَالاً عَلَى[٥] مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَالصَّدَاقةِ[٦] .

وَعَلَيْكَ بِخِدْمَةِ[٧] الْفُقَرَاءِ بِثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ[٨] :

أَحَدُهَا[٩] التَّواضُعُ

وَالثَّانِى حُسْنُ الخُلُقِ(1)

وَالثَّالِثُ صَفَاءُ النَّفْسِ[١٠]

---

[١] - غ
[٢] ز : واشكر
[٣] ز : وألا
[٤] ف ، غ : حوائجك
[٥] ف : بأحد
[٦] - غ / ز : فإن الله فرض لكل مؤمن حقا
[٧] غ : بصحبة
[٨] - غ
[٩] ف : أولها .. ثانيها .. ثالثها
[١٠] ز : استخفاف النفس / غ السخاء

---

(1) سئل الامام الجيلانى عن حسن الخلق فقال : هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق ، بعد مطالعتك الحق (بهجة الاسرار ص ١٢٣ ـ قلائد الجواهر ص ٩١) وقد جعل الامام من حسن الخلق ، واحدا من الاسس السبعة للطريق الصوفى .

وامتْ نَفْسكَ حتَّى تَحْيَا[1] . . وأَقْرَبُ الْخَلْقِ إلَى اللَّهِ تَعالَى ، أَوْسَعُهُمْ[1] خُلُقاً . وأَفْضَلُ الأَعْمَالِ ، رِعَايَةُ السِّرِّ عَنِ الإلْتِفَاتِ إلَى شَىء سِوَى[2] اللَّهِ تعالى[3] .

وعليك[4] إذَا اجتَمَعتَ مَعَ الْفُقَرَاءِ ، بِالتَّوَاصِى بِالصَّبْرِ وَالتَّوَاصِى[5] بِالْحَقِّ[2] . . وَحَسْبُكَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئَانِ[6] :

صُحْبَةُ فَقِيرٍ ، وَخِدْمَةُ وَلِىٍّ .

وتعْلَمْ ياوَلَدِى ، أنَّ الصَّوْلَةَ عَلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ ضَعْفٌ ، وَعَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَخْرٌ[8] ، وَعَلَى مَنْ هُوَ مِثْلَكَ سُوءُ خُلُقٍ[9] . وَأَنَّ الْفَقْرَ وَالتَّصَوُّفَ جِدَّانِ[10] فلا تُخْلِطْهُمَا بِشَىءٍ مِنَ الْهَزْلِ[3] .

هذه[11] وَصِيَّتِى إِلَيْكَ ،

---

[١] ز : أحسنهم

[٢] ز : إلى ما سوى

[٣] - ف

[٤] غ : وعليك بالحق والصبر/ ز : وعليك اذا جمعت بالفقر بالتوصى

[٥] - ز

[٦] ز : واوصيك من شيئين/ ف : وحرمة ولى

[٧] ز : التصوف

[٨] ز : قحط

[٩] العبارة من غ فقط

[١٠] ز : كله جدك

[١١] ف غ زيادة طويلة عن بقية النسخ ، كلها وصايا بمكارم الاخلاق والقيام بفروض الشريعة وسمة الوضع بارزة على هذه العبارات الزائدة .

---

(1) موت النفس فى الاصطلاح الصوفى . يقصد به خمود الاهواء والشهوات والمطالب الحسية ويشار إليه ايضا بقولهم : قتل غلام النفس

(2) قوله تعالى : إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . سورة العصر ٣

(3) التصوف كله جد . فلا تخلط به شيئا من الهزل : عبارة صوفية شهيرة ، تنسب إلى غير واحد من

وَلِمَنْ يِسْمَعُهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ـ كَتَبَكَ اللَّهُ مِنْهُمْ[١]
وَهُوَ يُوَفِّقَكَ وَإِيَّانَا لِمَا[٢] ذَكَرْنَاهُ وبيَّنَّاهُ . وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَقْتَفِى[٣]آثَارَ السَّلَفِ وَيَتَّبِعُ آثارهم ـ بِحُرْمَةِ سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا وَشَفِيعِنَا ، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّين .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ .[٤] .

---

[١] ف : ولمن يسمعها من المريدين كثرهم الله تعالى
[٢] ز : كما
[٣] ز : يتفق
[٤] ز : قال ناسخها رحمه الله رحمة واسعة ، تمت فى اواسط رمضان سنة ١٠٣٤

= الصوفية ، فقد ذكرها القشيرى للروزبارى ـ ابو على احمد بن محمد المتوفى ٣٢٢ هجرية (الرسالة القشيرية ص ٢٨) وذكرها الهجويرى للمرتعش ـ ابو محمد عبدالله بن محمد النيسابورى المتوفى ٣٢٨ هجرية (كشف المحجوب ص ٢٣٨)

فهارس التحقيق

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث
- فهرس المصطلحات
- فهرس القوافي

فهرس الآيات

- أ -

- ب -

- ذ -

- ر -

- س -

- ش -

- ع -

- ف -

- هـ -

- و -

فهرس الأحاديث

فهرس المصطلحات [١]

ـ أ ـ

[١] رقم الصفحة الوارد بين القوسين ، يشير الى موضع شرح المصطلح والتعليق عليه .

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- س -

- ش -

- ع -

- غ -

ـ ف ـ

ـ ق ـ

- ن -

- هـ -

- و -

فهرس القوافي

أهم مراجع التحقيق

١ ـ ابن تَيْمية : مجموعة الرسائل والمسائل (دار الكتب العلمية ـ بيروت)

٢ ـ قاعدة فى المحبة (ضمن : جامع الرسائل ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم ـ مكتبة المدنى ، جدة ـ الطبعة الثانية)

٣ ـ شرح كلمات من فتوح الغيب (ضمن : جامع الرسائل)

٤ ـ رسالة فى المعجزات والكرامات (تحقيق محمود بن امام ـ مكتبة الصحابة بطنطا ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦)

٥ ـ ابن جِنِّى الخصائص ، تحقيق محمد على النجار (الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ الطبعة الثالثة)

٦ ـ ابن الجُوزى : تلبيس إبليس (دار الطباعة المنيرية ـ القاهرة ١٣٦٨ هجرية)

٧ ـ ابن حجر العَسْقلانى : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه (الهيئة المصرية العامة للكتاب)

٨ ـ الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (دائرة المعارف ـ حيدر آباد الدكن ، الهند ١٣٥٠ هجرية)

٩ ـ ابن شاكر : فوات الوفيات (مكتبة النهضة ـ القاهرة ، بدون تاريخ)

١٠ ـ ابن عربى : الفتوحات المكية (طبعة دار الكتب العربية ـ القاهرة ، بدون تحقيق)

١١ ـ الفتوحات المكية ، بتحقيق د/ عثمان يحيى (الهيئة المصرية العامة للكتاب)

١٢ ـ فصوص الحكم ، تحقيق د/ أبوالعلا عفيفى (دار الكتاب العربى ـ بيروت)

١٣ ـ ذخائر الاعلاق شرح ترجمان الاشواق ، تحقيق محمد الكردى (مطبعة السعادة ـ القاهرة ، بدون تاريخ)

١٤ ـ اصطلاحات الصوفية (مكتبة عالم الفكر ـ القاهرة ١٤٠٧ هجرية)

١٥ ـ رسالة الانوار (مكتبة عالم الفكر ـ القاهرة ١٤٠٧ هجرية)

١٦ ـ الوصايا (منشورات مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ـ بيروت)

١٧ ـ مالا يعول عليه (مكتبة عالم الفكر ـ القاهرة ١٤٠٧ هجرية)

١٨ ـ العجالة (مكتبة عالم الفكر ـ القاهرة ١٩٨٧)

١٩ ـ ابن عطاء الله : الحكم العطائية بشرح الشيخ زروق ، تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود (دار الشعب ،

القاهرة ١٤٠٥ هجرية)

٢٠ ـ ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (مكتبة القدس ١٣٥٠ هجرية)

٢١ ـ ابن الفارض : الديوان ، تحقيق د/عبدالخالق محمود ـ دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى)

٢٢ ـ أبوالمواهب الشاذلى: قوانين حكم الاشراق الى الصوفية بجميع الآفاق (مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ١٩٦٧)

٢٣ ـ أبونعيم الاصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (دار الكتاب العربى ـ بيروت ، الطبعة الرابعة)

٢٤ ـ أبوريان (دكتور محمد على) أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى (دار النهضة العربية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية)

٢٥ ـ الاسفراييني : التبصير فى الدين (طبعة الازهر ١٩٤٠)

٢٦ ـ بدوى (دكتور عبدالرحمن) : شطحات الصوفية (وكالة المطبوعات ـ الكويت ـ الطبعة الثانية)

٢٧ ـ شخصيات قلقة فى الاسلام (وكالة المطبوعات ـ الكويت ـ الطبعة الثالثة)

٢٨ ـ بركة (دكتور عبدالفتاح) الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية (مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧١)

٢٩ ـ البغدادى (اسماعيل) : هدية العارفين (بيروت ـ بدون تاريخ)

٣٠ ـ البُوصيرى : البردة (ضمن كتاب السفينة القادرية ـ المطبعة الرسمية ، تونس ١٣٠٥ هجرية)

٣١ ـ البُونى : شمس المعارف الكبرى (المكتبة الثقافية ـ بيروت ، مصور عن نسخة الازهر ـ بدون تاريخ)

٣٢ ـ التادفى : قلائد الجواهر فى ترجمة الشيخ عبدالقادر (المطبعة العثمانية ١٣٠٣ هجرية)

٣٣ ـ الترمذى(الحكيم) بيان الفَرْق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، تحقيق نقولا هير (مكتبة الكليات الازهرية ـ القاهرة ، بدون تاريخ)

٣٤ ـ الجيلانى (الامام عبدالقادر) الغُنية لطالبى طريق الحق ، تحقيق فرج توفيق الوليد (مكتبة الشرق الجديد ـ بغداد ١٩٨٨)

٣٥ ـ فتوح الغيب (البابى الحلبى ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية)

٣٦ ـ الفتح الربانى (البابى الحلبى ـ القاهرة ـ الطبعة الاخيرة !)

٣٧ ـ الجيلى (عبدالكريم) : الانسان الكامل فى معرفة الاواخر والأوائل (مطبعة صبيح ـ القاهرة ١٩٦٠)

٣٨ ـ المناظر الالهية (مكتبة الجندى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ)

٣٩ ـ النادرات العينية ، تحقيق يوسف زيدان (دار

الجيل ـ بيروت ١٤٠٨ هجرية)

٤٠ ـ حَاجى خَليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (طبعة در سعادت ـ الهند ـ بدون تاريخ)

٤١ ـ الحَلّاج : الطَواسين ، نشرة ماسينون (باريس ١٩١٣)

٤٢ ـ : أخبار الحلّاج ، نشرة ماسينون وكراوس (باريس ١٩٣٦)

٤٣ ـ الذهبى : سير اعلام النبلاء تحقيق شعيب الآرناؤوط وآخرين (مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠١ هجرية)

٤٤ ـ الرُّومى (مولانا جلال الدين) المَثنوى ، ترجمة د/محمد عبدالسلام كفافى (المكتبة العصرية ـ بيروت ١٩٦٦)

٤٥ ـ الرفاعى (الشيخ أحمد) البُرهان المؤيد ، تحقيق صلاح عزام (دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧١)

٤٦ ـ الزرقانى (الشيخ أحمد) ديوان أهل الذكر (دار المعارف بمصر ١٩٨١)

٤٧ ـ السامرانى (يونس) الشيخ عبدالقادر الكيلانى (مطبعة الأمة ـ بغداد الطبعة الثالثة)

٤٨ ـ السَراج الطُوسى : اللُمع فى التصوف ، تحقيق د/عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى سرور (دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ١٩٦٠)

٤٩ ـ السلمى (أبوعبدالرحمن) طبقات الصوفية ، بعناية أحمد الشرباصى (كتاب الشعب ـ القاهرة ١٣٨٠ هجرية)

٥٠ ـ المُقدمة فى التصوف ، تحقيق يوسف زيدان

(مكتبة الكليات الازهرية ـ القاهرة ١٤٠٧ هجرية)

٥١ ـ سهام الفريح (دكتورة) الوصايا ومدى تطورها فى العصر العباسى الأول (حوليات كلية الآداب ـ الكويت ١٤٠٥ هجرية)

٥٢ ـ السَهْجَلى : النور من كلمات أبى طَيْفور ، تحقيق د/ عبدالرحمن بدوى (ضمن : شطحات الصوفية)

٥٣ ـ السهروردى (شهاب الدين يحيى) حكمة الاشراق ، نشرة كوربان (مجموعة دؤم مصنفات ـ طهران ١٩٥٢)

٥٤ ـ : الغربة الغربية ، نشرة كوربان (مجموعة دؤم مصنفات ـ المجلد الثانى)

٥٥ ـ السهروردى (شهاب الدين عمر) عوارف المعارف (المجلد الخامس من إحياء علوم الدين ـ دار الندوة الجديدة ، بيروت)

٥٦ ـ شتا (دكتور ابراهيم الدسوقى) التصوف عند الفرس (دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٨)

٥٧ ـ الشرقاوى (دكتور حسن) الحكومة الباطنية (الاسكندرية ـ الطبعة الأولى ١٩٧٥)

٥٨ ـ الجدل فى القرآن (منشأة المعارف ـ الاسكندرية ١٩٨٦)

٥٩ ـ ألفاظ الصوفية ومعانيها (دار الكتب الجامعية ـ الاسكندرية ١٩٧٥)

٦٠ ـ الشَّطنوفى : بهجة الاسرار ومعدن الأنوار (دار الكتب العربية ـ القاهرة ١٣٣٠ هجرية)

٦١ ـ الشَّعْرانى : الكوكب الشاهق فى الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق ، تحقيق د/حسن الشرقاوى (دار المعارف ـ الاسكندرية ١٩٨٣)

٦٢ ـ الشَّنْشورى : تحقيق المختصر من مصطلح الاثر ، تحقيق محمد أحمد بدوى الشنشورى (نشرة مجلة الازهر ـ القاهرة ١٤٠٥ هجرية)

٦٣ ـ الشَّهْرستانى : الملل والنحل ، تحقيق د / عبداللطيف العبد (مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٧)

٦٤ ـ الشِّيبى (دكتور كامل) : الصلة بين التصوف والتشيع (دار المعارف بمصر ـ الطبعة الثانية)

٦٥ ـ عامر النجار (دكتور) : الطرق الصوفية فى مصر دار المعارف ـ القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٨٦)

٦٦ ـ عبدالسَلَام هَارُون : تحقيق النصوص ونشرها (مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٧٧)

٦٧ ـ عبدالقادر (دكتور محمد) عقيدة البعث والآخرة (دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ـ بدون تاريخ)

٦٨ ـ عطا (عبدالقادر أحمد): التصوف الاسلامى بين الاصالة والاقتباس فى عصر النابلسى (دار الجيل ـ بيروت ، ١٤٠٧ هـ)

٦٩ - عفيفى (دكتور أبوالعلا) الملامتية والصوفية وأهل الفتوة (مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية - القاهرة ١٩٤٥)

٧٠ - العيدروس (عبدالقادر) النور السافر عن أخبار القرن العاشر (اليمن - بدون تاريخ)

٧١ - الغزالى (أبو حامد) احياء علوم الدين (دار الندوة الجديدة - بيروت)

٧٢ - مشكاة الأنوار ، تحقيق د / ابو العلا عفيفى (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٨٣ هجرية)

٧٣ - القادرى (ظهير الدين) الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين (القاهرة ١٣٠٦ هجرية)

٧٤ - القادرى (الحاج سعيد) الفيوضات الربانية فى المآثر والاوراد القادرية (مطبعة المشهد الحسينى - القاهرة ، بدون تاريخ)

٧٥ - القاشانى اصطلاحات الصوفية ، تحقيق د / محمد كمال جعفر (الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨١)

٧٦ - قريبُ اللّه رسالة فريدة فى الأوراد (جامع الاوراد - بيروت الطبعة الثالثة)

٧٧ - القُشيرى — الرسالة القشيرية (البابى الحلبى - القاهرة ١٣٧٩)

٧٨ - الكَلاَبَاذِى — التَعَرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق د/ محمود النواوى (مكتبة الكليات الازهرية - الطبعة الثانية)

٧٩ - الكيلانى (محمد الأمين) — شرح حزب الوسيلة (ضمن : سفينة القادرية المطبعة الرسمية - تونس ١٣٠٥ هجرية)

٨٠ - النشار (دكتور على سامى) — نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام (دار المعارف بمصر - الطبعة الثامنة)

٨١ - النِّفَّرِى — المواقف والمخاطبات ، تحقيق آربرى (مكتبة الكليات الازهرية - بدون تاريخ)

٨٢ - النووى (يحيى بن شرف) — بُستان العارفين ، تحقيق محمد الحجار (دار الصابونى - دمشق ، بدون تاريخ)

٨٣ - الهجْويرى — كشف المحجوب ، ترجمة د / اسعاد قنديل (المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٣٩٤ هجرية)

٨٤ - الهُروى الأنْصَارى — منازل السائرين (البابى الحلبى - القاهرة ١٩٦٩)

٨٥ - اليافعى (ابن أسعد) — نَشْر المحاسن الغالية فى فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية (البابى الحلبى

١٣٨١ هجرية)

٨٦ـ ياقوت (دكتور أحمد سليمان) الدرس الدلالى فى خصائص ابن جنّى (دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ١٩٨٩)



فهرس الديوان

